من المسرح العالمى

هرنانى

تأليف : فيكتور هيجو

ترجمة وتقديم : زكى طليمات

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها
أحمد مشاري العدواني

المراسلات باسم :

وزارة الإعلام
الكويت - ص.ب: ١٩٣

من المسرح العالمى
أول يونيه ١٩٧٤
شهرية
٥٧

هرنانى

تأليف : فيكتور هيجو
ترجمة وتقديم : زكى طليمات

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة بقلم المترجم

١ ــ تعريف بالمؤلف :

مؤلف هذه المسرحية ، فيكتور هوجو (١) يأخذ مكانه بجدارة في الصف الاول بين شعراء الأدب الغربى ، كما يعتبر القمة السامقة التى لا تطاولها قمة بين أدباء فرنسا فى القرن التاسع عشر ، اذ سيطر عليه بطول حياته ، ثم بخصب انتاجه ، بحيث يذهب أكثر مؤرخى الأدب الى تسمية الزمن الذى عاشه « عصر فيكتور هوجو » .

ولا عجب ..

ففى هذه الشخصية تجمعت مواهب وقدرات أتاحت لصاحبها أن يكون الشاعر ، والكاتب المسرحى ، والقاص ، والناقد الأدبى والفنى الضارب بقلمه فى مختلف شئون الفلسفة والاجتماع ، وأن يخوض المعارك الأدبية الى جانب المنازعات السياسية ، ثم ..

ثم هو الى جانب ذلك .. صاحب قلب ينبض بالحب ، ويستجيب له ، ولا يبالى أحيانا ، بما يبذله فى سبيل هذه الاستجابة !!

ونعتذر للحب ، باعتبار اننا فى أول الحديث عن الشاعر المسرحى ، على أن نعود اليه بعد ذلك .

والشاعر هو الاصل فى كل انتاجه ، حتى فى الحب ، وهو الشاعر القوى الطبع الطويل النفس ، الذى يتفجر احساسا بفيوض من انسانية رحيمة وخيرة ، تفاعلت مع مؤثرات بيئته وعوامل زمنه .

ثم هو فى انتاجه الأدبى ــ وذلك بعد أن استقام عوده فيه ــ لم يكن متبعا للقيم والمعايير التى كان عليها الأدب والفن ، وكلها كلاسية (٢) منحدرة من القرن السابع

---

١ ــ ولد بمدينة بيزانسون فى فرنسا عام ١٨٠٢ وتوفى بباريس ١٨٨٥ وحمل رفاته الى (البانتيون) حيث يرقد عظماء فرنسا ، وكان والده قائدا فى الجيش الامبراطورى ، جيش نابليون بونابرت .

٢ ــ يطلقون اسم الكلاسية بالأدب الفرنسى على ذلك الجيل من الشعراء الذين قدموا انتاجهم ابتداء من أواخر القرن السابع عشر ويربط بينهم مزاج ينزع الى تقليد الأقدمين من أغريق ورومان .

عشر بفرنسا ، وانما كان مجددا ومبتدعا ، ويحمل لواء اتجاه أدبى مستحدث فى فرنسا ودق أبوابها منذ أواخر القرن الثامن عشر ، وأعنى بهذا الاتجاه (الرومانسية) الأوروبية وامتد أثره الى الشرق العربى ، كما سنوضح ذلك فيما بعد .

تنقل مستمر ونضج مبكر :

وأول ما يبعث على التأمل عند النظرة الشاملة الى انتاج مؤلفنا ، هو هذا التنوع فيه .. وهو أيضا هذا التوغل فى قطاعاته ..

كما أن أول ما يلفت النظر أيضا فى هذا الانتاج هو أن ينابيعه تفجرت فى وجدان الشاعر ، وهو لم يزل فتى غض الاهاب !!

والأمران ، يؤلفان ولا شك ظاهرة ، لها ما وراءها .

ونبادر فنقرر أن الأمر الأول فيما تقدم ذكره يرجع الى أن شاعرنا ــ وذلك طيلة طفولته ومراهقته ــ لم يكن يستقر فى مكان واحد ، اذ كان مقضيا عليه أن يكون دائم الانتقال بين أماكن عدة ، عاشها وعايشته ، وذلك بحكم أن والده رجل الحرف . كان يطوف بين فرنسا وايطاليا واسبانيا تبعا لمقتضيات الغزو البونابارتى ، فامتلأت مخيلة الصبى الناشىء برؤى عدة ودفيوات مختلفة ، خلفت كل منها رواسب فى وجدانه .

هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى .. فان الشاعر عاصر ألوانا مختلفة من الحكم فى وطنه .

خرج الى الدنيا وانتصارات (بونابرت) تملأ أسماع الدنيا وتداعب المخيلة ..

وما أن تجاوز الصبى سن المراهقة حتى قامت رجعة للملكية مطلقة تحكم البلاد (١) ثم جاءت ملكية دستورية (٢) لتخلى مكانها لحكم جمهورى ، أنظمة من الحكم ، لكل منها ماله ، وكان على الشاعر أن يعايشها ، وأن يلتحم بناسها ليكسب عيشه وليثبت ذاتيته .. فكان أن اشترك بقلمه فى أحداث هذه الأنظمة ، وجاء شعره يردد الكثير من أصدائها وينقل انطباعاته عنها .

بل ان العصر الذى عاشه الشاعر ، من صميم القرن التاسع عشر ، وهو القرن الذى تزاحمت فيه تيارات مختلفة من الفكر ومن المزاج العام ، وتوانبت ، لينفض

---

١ ــ تولى الملك لويس الثامن عشر الحكم باسم اسرة البوربون الملكية التى أطاحت بها الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ .

٢ ــ هذه الملكية الدستورية قامت بقيام (لويس فيليب) ملكا بعد شارل العاشر .

بعضها البعض الآخر في قيمه ومضامينه وقوالبه . قرن نزق دائم التغير ، ولا يقيم على حال (١) .

فلا عجب ، والحالة هذه ، وذلك فى عامل من عوامل البيئة ، أن يجىء انتاج شاعرنا فى مثل طاقة مختلفة الألوان من حديقــة جمعت أنواعا متباينــة من الورد والزهر !!

طفولة مضطربة ومراهقة ممزقة

والى جانب ما تقدم يجىء عامل آخر مأتاه الظروف التى شكلت قالبا من قوالب حياته الخاصة .

عرف هوجو ضيق العيش بل ضنكه وذلك فى نشأته الأولى ..

وقاسى الكثير من تمزق الحياة العائلية حوله . اذ كانت هناك امرأة ثانية ، الى جانب الأم هى عشيقة الأب !!

ان الوالد ذا المنصب الكبير في الجيش ، واللقب المرموق فى الحياة الإجتماعية(٢) .. كان مبذرا يعول امرأتين ، زوجة وعشيقة ، هذا فضلا عن التنقل الذى لا يهدأ من بلد الى بلد ... ثم ...

ثم هذا الخلاف الدائم بين الزوج ذى العشيقة ، والزوجة التى أنجبت ثلاثة أولاد (٣) وهو خلاف أشبه ما يكون بالحية ذات الرؤوس السبعة،و اذا بتر رأس منها، عاد ينبت مكانه رأس جديد !! وقد انتهى هذا الخلاف بانفصال الوالدين .

ويبدو أن (هوجو) كان شديد الالتصاق بوالدته ، فقد أورد فى مذكراته :

« كان لى فى طفولتي الناعمة الشقراء ثلاثة أساتذة أخذت عنهم ، وهم حديقة المنزل ، وراهب عجوز ثم أمى » .

والأم هى المدرسة الاولى ، وقد تلقى (هوجو) عنها شغفه بالقراءة والاطلاع وحرية التفكير . كانت الأم مولعة بالاطلاع وتأخذ بالحرية فى تنشئة أولادها ، وقد

---

(١) ــ قامت بفرنسا فى هذا القرن ثورتان ١٨٣٠ ، ١٨٤٨ ثم انقلاب عام ١٨٥١ . وعدد آخر من الانقلابات السياسية والعسكرية ، والمؤامرات ومظاهرات العنف . هذا وفى الفنون التشكيلية تتابعت ثورات فى مفاهيم الفنون ، بين الواقعية ، والانطباعية ، والتكعيبية ، والرمزية ، والتعبيرية والوحشية ... ألخ .

(٢) ــ كان والد الشاعر يحمل لقب (كونت) في الحياة المدنية .

(٣) ــ وهم ابيل وايوجين وفيكتور .

تعرف الابن من طريق الأم الى أهم كتاب القرن الثامن عشر ، وفى مقدمتهم (فولتير) و (جان جاك روسو) و (ديدرو) . وكلهم من رواد الثورة فى الأدب الفرنسى وممن مهدوا لقيام الثورة الفرنسية الكبرى التى قلبت أوجه الحياة فى فرنسا .

الصبى العاشــق

وعرف الصبى العشق المبكر ..

أحب ابنة الجيران (أديل فوشيه) وتدله كل منهما فى حب صاحبه الى حد بعيد حتى أن أسرتيهما عملتا على الا يتم لقاء بين الصبى والصبية ، حرصـا على كيان كل منهما ..

ولعل هوجو أحب فى فتاته الملامح والسمات التى كانت عليها فتاته الاولى (١) التى تعلق بها فى اسبانيا ، وكانت فى السادسة عشرة وكان هو على أبواب العاشرة !!

ان كل شيء في هذا الصبى يبدأ مبكرا .. حتى المعاتبات الغرامية .

عقــدة التفــوق

وأدخل الصبى المزق ، والعاشق الولهان قبل أوانه مدرسة داخلية ، فانطوى على نفسه وقد اضطرب احساسه بمنزلته الاجتماعية ، وهى منزلة كان يرى انها لا تيسر له أمر الزواج من (أديل فوشيه) .

ثم ان فى رأس الفتى أخيلة ذهبية تتجاوب بما يجب أن تكون عليه حياة ابن يشغل والده مركزا اجتماعيا مرموقا ، وقد تذوق ألوانا منها قبل أن يقع الشقاق بين والديه ، الا أن الواقع القائم الذى يحياه الفتى بعد ذلك ، لا يبعث الا أحلام الكآبة .

لهذا لم يكن عجبا أن يلهب الفتى احساس لاشعورى يدفعه دائما الى أن ينشد التفوق على أقرانه ، والى أن يستعرض قدراته على أوسع نطاق .

الصبى النابغ

كان الفتى هوجو فى الرابعة عشرة حينما أرسل الى الأكاديمية الفرنسية قصيدة تتألف من ثلاثمائة بيت من الشــعر ، فأجازته الأكاديمية بالمذاكر الطيب واكتفت بتسجيل اسمه بين الشعراء وهى فى شك من أمر هذا الفتى ..

---

(١) ـــ كانت تدعى (بيبيتا) وهى ابنة المركيز دى مونت هاربوزا ، أحد أشراف (مدريد) وسراتها حيث أقام هوجو مع والدته ، ردحا من الزمن .

الا أن قصائد أخرى أخذت تتتابع وتثير الاعجاب ، كما تبعث على العجب من هذا (الصبى النابغة) كما أسماه الشاعر الكبير (شاتوبريان) (١) .

ودفعه سوء الأحوال المعيشية الى أن يعتمد على قلمه ، فأخذ يمدح النظام الملكي وقد عاد الى الحكم ، وعلى رأسه لويس الثامن عشر ، فتوالت عليه المنح المالية من جانب الملك وحكومته .

وأصدر مع شقيقه صحيفة دورية(٢) تتضمن انتاجه الأول فى الشعر وفى القصة وفى البحوث الأدبية والفنية . وقد جاء كل هذا يحمل الطابع الكلاسى فى الأدب ، ويعبر عن وجهة نظر الكلاسيين . أن (هوجو) يفضل (كورنى) و (راسين) (٣) على (شيلر) الألمانى و (شكسبير) الانجليزى والأخيران من الرواد الذين عملوا على تحرير الأدب من القيود الكلاسية !!

ان (هوجو) ما برح حتى الساعة لا يؤمن (بالرومانسية) التى ارتسمت طلائعها فى الأفق ، وان كان الشعر الذى صاغه فى محبوبته (أديل فوشيه) تطغى عليه شحنات عاطفية يجفوها الاعتدال ، والأخذ بالاعتدال فى اطلاق العاطفة وتغليبها على العقل ورصانته ، كما هو معلوم من صفات الكلاسية والكلاسيين !!

كما جاء ديوانه الأول (أغانى وقصائد مختلفة) عام ١٨٢٢ يحمل نكهة ومذاقا من عنصر جديد لم تتبلور معالمه بعد !!

زواج كئيب

وفى العام التالى تم زواجه من (أديل فوشيه) وبدأت ملحمة زوجية كان الفصل الأول منها كئيبا ومذهلا .

فبينما كانت حفلة العرس تدق أجراسها البلورية بالكؤوس يتبادل بها المدعوون أنخاب العروسين ، حدث أن (أوجين) شقيق العريس وقع مغشيا عليه ، وقد صرعته نوبة عصبية ذهبت بكامل عقله بعد ذلك !!! والسبب ؟!

كان (أوجين) يكتم حبا ضاريا للعروس ، زوج شقيقه المحتفل بزواجه ، ولكنه لم يبح بهذا الحب وأخفاه عن كل الناس ، احتراما لشعور شقيقه !!

---

١ ـ شاعر وكاتب فرنسى كبير (١٧٦٨ ـ ١٨٤٨) عاصر الثورة الفرنسية وما بعدها ، واستطاع بمخيلته الخصبة وبأسلوبه البيانى القوى أن يغير من القوالب الأدبية وأن يمهد لقيام الحركة الرومانسية .

٢ ـ اسمها (المحافظ الأدبى) .

٣ ـ كورنى وراسين من أكبر شعراء المسرح بالقرن السابع عشر ، وهما من أقطاب الكلاسية .

الحب ـ قـدر

ان الحب ـ كما يبدو ـ مولع بأن يطبع كفه القادرة على الحائط أمام عيني الشاعر الناشيء ، بل هو ـ وكما سنرى بعد ذلك ـ عنصر ذو شأن في تطور مراحل حياته .

شاهد هوجو أباه وهو ينصرف عن حب والدته ويعشق أخرى تغلبه على أمره ، وتزف اليه في النهاية ..

ورأى الحب ـ وهو الحب للحب والقبلة للقبلة ـ وهو دون العاشرة ..

ثم اكتوى بالحب بعد ذلك بيد من أصبحت زوجته اليوم ...

وأخيرا رأى الحب يقتل شقيقه !!

ولم تنته القائمة بعد ...

ارهاصات للرومانسية

ومن يكن على قلب اكتوى بكل هذا ، فسرعان ما يسكن الى العاطفة ، ويستجيب الى الهزة ، ويرحب بالانفعالات القوية ، ويميل الى التحرر من القيود .

لهذا لم يكن أمرا مستغربا أن نرى شاعرنا مهيئا لاستقبال هذه التيارات الأدبية الوافدة من المانيا ومن انجلترا تحمل في طياتها فيوضا من الانفعالات ، ومن النزعات التحررية وهي تتدفق في أوصال الأدب الفرنسي الكلاسي ، وتغير من معالمه لتعرف بعد ذلك باسم (الرومانسية) .

وأصدر هوجو صحيفة (الهة الشعر الفرنسي) La Muse Francaise تعكس هذه الحركة وتعبر عن آراء القائمين بها . وهم شباب متحمسون من الشـعراء (١) والكتاب .... صاروا يعقدون ندوات دورية ، بعد أن أطلقوا على جماعاتهم اسم (المجمع) ليتناقشوا في الأدب والفنون ويتصايحوا .

الحركة الرومانسية

ولكن ما ماهية هذه الصيحة الجديدة في الأدب ؟

واضح انها تمرد على الأوضاع القديمة في الأدب وفي الفنون ، ورغبة في تحرير الشعر خاصة من قيوده القديمة ، وشوق الى الانطلاق نحو آفاق جديدة تكون الكلمة العالية فيها للعاطفة المشبوبة ، وهي تستمد وحيها من الطبيعة مباشرة وليس من

(١) ـ جدير بالذكر أن من بين هؤلاء الشعراء والنقاد والفنانين : الفريد دى فينى ، اميل ديشان ، شارل نوديه ، تيوفيل جوتيه ، اسكندر دوماس ، ألفريد دى موسيه ، سانت بييف ، الموسيقار ، ليست المصور ديلاكروا .

خلال قوالب مصنوعة وأوضاع مجتلبة الا أن هذه الصيحة ، وان تمخضت عن حركة ونشاط ، فانها كانت مائعة رجراجة ، يعوزها صلابة ورسوخ تنتظم فيهما القواعد المحكمة ، والأبعاد الواضحة ، والاهداف المحددة ..

كان الرباط الأول الذى يجمع بين هؤلاء الثوار ، هو ايجاد نهضة حديثة فى الأدب وفى الفنون !!! ولكن ..

ولكن ما ماهية هذه النهضة ؟ وما عناصرها ؟ وما أهدافها ؟؟

مسرحية كرومويل دستور الرومانسيه

وفى عام ١٨٢٧ خرج أول عطاء مسرحى لشاعرنا ، هو مسرحية كرومويل وهى تاريخية تعالج حياة العملاق الانجليزى الثائر اوليفر كرومويل (١) .

وقد صدرت المسرحية (بمقدمة) طويلة ، تؤلف بحثا دقيقا وشاملا فى ماهية هذه الحركة الجديدة ، من حيث قيمها ، وأوضاعها ، ومفاهيمها ، وأهدافها .

والمسرحية تؤلف بحق النموذج الأول للمسرحية الرومانسية بفرنسا اذ أن فى تناولها الموضوع ، ومعالجة سياقه ، شكلا وأسلوبا ، تطبيقا لما ورد فى (المقدمة) نظـرا .

الا أن هذه المسرحية ، على جدتها فى المعالجة وجرأتها فى الاسلوب لم تكن على حظ موفور من المشوقات والمفاجآت التى تكفل لها النجاح أمام الجمهور ، كما جاءت فى اطالة يضيق بها المسرح ، ولهذا لم تطالع أضواءه .

ولعل حرص الشاعر على اجراء أوسع تطبيق وأدقه للنظريات التى أتى بها فى المقدمة ، وذلك فى ماهية الرومانسية ، شغله عن أن يعنى بالمسرحية العناية التى تؤكد لها نجاحا مسرحيا .

وهكذا وضع (هوجو) دستور الحركة الصاعدة كما تولى زعامتها .

وستكون لنا وقفة مع هذه (المقدمة) عندما نعالج ماهية الرومانسية على نطاق واسـع .

بوادر معركة :

وقامت معركة قلمية حامية بين أنصار هذه الرومانسية التى رفعت رايتها عالية بما جاء فى (المقدمة) ، وأنصار الأدب الكلاسى القديم ، أولئك الذين تألبوا يقذفون الجيل الصاعد من الادباء بالانحراف ، وبأنهم همج وبرابرة !!

---

١ ــ أوليفر كرومويه (١٥٥٩ ــ ١٦٥٨) أطاح برأس الملك شارل الاول من أجل تدعيم الحياة البرلمانية بانجلترا ، واعلاء كلمة الشعب . وبهذا قضى على أسطورة (الحق الالهى) التى كانت تعصم الملوك من محاسبة الشعب لهم اذا أخطأوا وتجرموا .

وجاء عطاء آخر من جانب (زعيم الهمج والبرابرة) ، هو ديوان شعر يحمل عنوان (الشرقيات) (١) أعلى من شأنه اذ كشف عن ناحية من انسانية رحيمة واسعة الرحاب ، فقد جاءت الاكثرية الغالبة مما تضمنه الديوان تشيد (بالثورة اليونانية) ضد الأتراك ، وهى ثورة تحررية ناصرها أصحاب الفكر الحر والنزعة التحررية فى أوروبا .

وجاء عطاء ثالث ، ولكنه جاء فى عالم القصة الطويلة ، يحمل عنوان (آخر يوم لمحكوم عليه بالاعدام) حمل فيها الشاعر القاص على عقوبة الاعدام ، مناديا بوجوب الغاء (هذا القتل الذى يتم فى رعاية القانون وباسمه) .

وتعتبر هذه القصة ارهاصا لقصة (البؤساء) التى جاءت بعد ذلك ، الا أن كل هذه الانتصارات وما يتبعها من تهجم القدامى عليها وانتقاصهم من قدرها لم يكن يتجاوز أمر المناوشات لمعركة قادمة ، ستكون ، ولا شك الضربة القاضية التى تحسم الأمر لأحد الطرفين القدامى والمحدثين .

ان هوجو لم ينس أن مسرحية **كرومويل** لم تطالع أضــواء المسرح ، كما انه يعرف أن الحكم على المسرحية لا يتأتى الا بأن يطالعها الجمهور فوق المسرح وقد تجسمت معانيها تجسيما ماديا بوساطة الممثلين والأستار والأضواء .

ماريون دى لورم

وانكب هوجو يكتب للمسرح ..

وأنجز فى مدى ثلاثة اسابيع ، مسرحية تاريخية تحمل عنوان **ماريون دى لورم** الا أن الرقابة الملكية على المصنفات الفنية ، لم تجز تمثيلها ، برغم أن الملك لويس الثالث عشر ، وهو أحد شخوص المسرحية ، يبدو بالفصل الرابع ، فى مظهــر لا يشرف الملكية ، بل هو يحط من كرامة الملك لويس نفسه ، وهو من أسلاف الملك شارل العاشر القائم على العرش اذ ذاك ؟

ولم تفت هذه الخيبة فى عضد الشاعر الذى يريد أن ينازل الكلاسيين فى عقر دارهم وفي اثرى مجالاتهم الادبية ، وهو المسرح !!

هــرنانى

وخرجت مسرحية جديدة أخرى فى عام ١٨٢٩ ، هى **هرنانى** لتلقى بوقـود فى المعركة ويعتبر تقديمها بمسرح الكوميدى فرنسيز فى فبراير عام ١٣٨٠ حدثا فى تاريخ المسرح الفرنسى ، اذ اكتسب الرومانسيون نصرا مبينا ، بعد أن تهافتت الجماهير على رؤية المسرحية تهافتا لم يكن مألوفا من قبل .

---

١ ــ وفى مقدمتهم الشاعر الانجليزى الكبير (لورد بيرون) .

كان لهذا النصر دوى كبير فى جميع المحافل الأدبية والفنية ، بحيث أطلقوا على ما جرى فى الحفلة الأولى من حفلات هذه المسرحية ، اسم (معركة هرنانى) ، اذ هب الجمهور فى فترات الاستراحة بالحفلة ، وقد انقسم الى فريقين : ـ

الكلاسيين القدامى ، والرومانسيين المحدثين ، وأخذوا يتراشقون بالهتافات ، وبالعبارات الشديدة ، وبما انطوت عليه الأيدى ، هذا وكل فريق يعلى من وجهة نظـره .

وهكذا جاء للرومانسية نموذجها الكامل فى عالم المسرح . بل ان اسـم هذه المسرحية دخل تاريخ الأدب المسرحى العام ، بوصفه عنوانا لأطول نضال أدبى ، اذ استمر من عام ١٨٢٥ الى ١٨٤٣ .

وماذا فى هذه المسرحية ليثير كل هذا الشغب ؟!

اكتفى فى هذا المقام بتسجيل موجز الموجز من موضوعها ، على أن تكون لى رجعة اليه :

ـ كان هناك ثلاثة عشاق ينشدون حب حسناء :

* شاب قاطع طريق ..

* وثانيهم نبيل عجوز ذو جاه وثراء ..

* وثالثهم ملك ذو حول وطول ..

* وحينما وقع الهجوم ، فاز بالحسناء قاطع الطريق !!

موضـوع له نظائر وأشـباه فى قصص الحب وسفه الشيخوخة ، ولكن تناول الموضوع ومعالجته ، ولكن خروج السياق على المألوف ، ولكن القالب .. كل هذا جاء فى أسلوب جديد لم يكن مألوفا فى كتابة المسرحية الفرنسية (١) .

أحدب نوتردام :

ولم يمض عام حتى استقبل هوجو نجاحا مماثلا بنشر قصة (أحدب نوتردام) التى تعتبر معجزة قصصه ، وأكثرها طرافة ، وأمعنها غرابة فى الحوادث وفى سلوك شخوصها ، وأية شخصية أوغل فى الغرابة من شخصية (كوزمودو) المحب الوامق

---

(١) ـ يذهب بعض نقاد الادب المسرحى الى أن مسرحية **السيد** للشاعر (كورنى) بالقرن السابع عشر ، سبقت مسرحية (هرنانى) من حيث الخروج على وحدة الزمان والمكان . وهم على صواب اذا كانت الرومانسية مجرد تحطيم لهاتين الوحدتين ، أما اذا أريد بها الى جانب هذا الخروج على القالب ففيها أكثر بكثير من هذا من حيث المضمون .

والأحدب الدميم الذى يحمل بين جوانبه قلبا غير دميم ، ويقدم بسلوكه أروع آيات السمو بحيث يمثل بهذه الأضداد التي يحملها فى كيانه الظاهر والباطن ، ذلك التناقض الذى يميل الكتاب الرومانسيون الى الأخذ به فيما يصنفون وينادون الى وجوب الأخذ به ، باعتبار أن الطبيعة في جوهرها الدائم تجمع بين النقائض : الجمال والقبح ، النور والظلام .

ماريون دى لورم .. والملك يلهو

وفى عام ١٨٣١ ألغيت الرقابة على المصنفات الأدبية عامة ، فكان أن طالعت هذه المسرحية أضواء المسرح ، وكان أن تقبلها الجمهور بحماس شديد ، على الرغم من أن موضوعها دمغه الكلاسيون بأنه خروج على الآداب ، وجرح للوقار ..

وأى موضوع أشد جرأة من أن يتولى فى ذلك الوقت ، كاتب الدفاع عن المرأة العاهرة بدعوى أن الحب النبيل فى مواقفه الانسانية الكريمة يطهرها من أرجاس الرذيلة !!

وجاءت مسرحية الملك يلهو لتقيم شجارا جديدا .. ولكنه فى هذه المرة شجار يقع بين المؤلف وبين السلطات التنفيذية بالدولة ..

أوقفت السلطات تمثيل هذه المسرحية ، بعد الحفلة الأولى ، بزعم أنها تحرض على قتل الملك ، بطريق غير مباشر !!

وثار الشاعر وأقام دعوى على الحكومة .. ولكنه خسرها .. وما الحيلة .. ان الشاعر يسبق عصره بحرية تفكيره !!

مسرحيات نثرية ١٨٣٣ ــ ١٨٣٧

وجاءت مسرحيات من طراز جديد من حيث أسلوب حوارها .. ان الشاعر يكتب الحوار بالنثر ، بدلا من الشعر .

وكانت مسرحية **لوكريس بورجيا** الاولى (١) من هذا النوع ..

كما أنها أيضا الأولى من ناحية الحدث الذى أسفرت عنه ..

احدى الممثلات بالمسرحية ، أصبحت امرأة المقدور فى حياة الشاعر بعد أن تدخلت فيها ..

كما أن الشاعر بلغ القمة من حيث رصيده من اعجاب الجمهور ، قد وقع حينما غادر الشاعر المسرح بعد أن انتهى تمثيل المسرحية ، واستقل عربته عائدا الى منزله ،

---

١ ــ وجاءت بعدها مسرحيات **مارى تيودور** و **انجيلو** ، **ازمرالد** وهى مقتبسة من قصة (أحدب نوتردام) ، وكلها مكتوبة بالنثر .

أن أحاط الجمهور بالعربة وسرحوا الجياد التى كانت تجرها ، ليتولوا هم دفعها بسواعدهم حتى منزل الشاعر وهم يزيطون ويهتفون !!

حياة جديدة بدأت تدق فى قلب الشاعر بعد أن قامت علاقة مشبوبة بينه ، وبين احدى الممثلات بالمسرحية ، هى (جولييت درويه) بل هى علاقة جامحة من حب (رومانسى) من ناحية انه فى اندفاعه لا يعرف الاعتدال ولا يبالى بالقيود والأوضاع !

ونترك الى حين ، قصة هذا الحب العاتى ..

ونقرر أن من أهم الأسباب التى جعلت الشاعر ينصرف عن كتابة حوار هذه المسرحيات بالشعر هو أنه أصدر خلال هذه الفترة الزمنية أربعة دواوين (١) من الشعر ، تضمنت انطباعاته بأحداث عصره ، وتأثره بمزاج ناسه ، بحيث تؤلف هذه الدواوين (ملحمة) عصر عن حق وجدارة .

روى بلاس ــ والغطاريف

ويؤلفان آخر عطاء للشاعر المسرحى وقد عاد فيهما الى كتابة الحوار بالشعر .

والمسرحية الاولى ، قصة التابع والخادم الذى ترفعه مواهبه ، عن جدارة ، لأن يتولى تصريف شئون الحكم ، وبعبارة أخرى هى قصة المواطن ابن الشعب ، وليس سليل بيت الشرف والنبل ، المواطن البسيط الذى يتولى أكبر المناصب ، ليكتب بسلوكه أن الأمانة والشرف ، ليسا وقفا على أبناء الأمراء والنبلاء ..

وهى أيضا قصة الحب الكبير الذى يسمو بصاحبه ، بعد أن يفجر طاقاته فيكون لفعل الخير ولاسعاد الغير . وتجرى حوادث المسرحية فى أسبانيا مثل هرنانى .

والمسرحية الأخرى **الغطاريف** Les Bu Rgraves وتجرى أحداثها فى تلك القصور الاقطاعية بألمانيا .. حيث النور ينازل الظلمة ، بلا انقطاع فى حنايا هذه القصور الحصينة المعتمة .

ولم تنجح هذه المسرحية النجاح الذى قدره الشاعر ولعل أهم أسباب هذا الفشل هو أن المدّ الرومانسي اخذ يهبط تدريجيا وأن الجمهور يتطلع الى أسلوب جديد . وكانت تجربة مريرة له هجر بعدها (المسرح الصغير) الذى قدم عليه خمس مسرحيات مكتوبة بالشعر المونق الآسر ، هجر المسرح الصغير الى المسرح الكبير .. « الدنيا » .

الشعر رسالة

واتجه هوجو الى عالم السياسة ، وكانت فرنسا فى أشد الحاجة الى السياسى صاحب القلم البليغ ، والذهن اللامع ، والجرأة الشديدة ..

---

(١) ــ هى (اوراق الخريف) و (أغانى الغسق) و (الهاتف الداخلى) و (الأشعة والظلال) .

وأقبل على عالمه الجديد ، فقد كان (هوجو) يؤمن بأن الشعر رسالة لا تقف طاقتها عند انتاج شعر طريف يهز الاعطاف، وتقديم مسرحيات تلهب الأكف بالتصفيق، بل هي رسالة تتجاوز هذا ، الى تناول شئون الحياة في الواقع ، واقامة موازين فيها ابتغاء الارتفاع بها وتجميلها ، ولكنه نسي ولا شك ان الشعر شيء وان السياسة شيء آخـر !!

انتخب رئيسا للأكاديمية الفرنسية ..

وانتخب عضوا في المجلس النيابي ..

وصار خطيب المجلس .. ورشح أكثر من مرة لتلقي دست الوزارة

وأصبح الشاعر الرسمي للدولة .. مناصب تلو مناصب ..

ودار في قدر السياسة مثل ملعقة الطاهي .. ولكنه ...

ولكنه نفي في عام ١٨٥١ الى احدى الجزر ببحر المانش ، وبقي هناك سبعة عشر عامـا .

غير أنه بقي صاحب الحب الكبير .. والقلب الكبير حتى النهاية .

هوجو والحب

والمتقصي حياة هوجو ، لا بد أن يقف وقفات تأمل أمام (حالة) نفسية كانت تلابس الشاعر في فترات من حياته فتعصف بقلبه وتفجر فيه ينابيع كلما غاض الماء فيه .

هذه (الحالة) هي الحب ، وهي حالة أثرت في انتاج الشاعر والقت ظلالا على حياته .

وقد أتينا ، فيما تقدم ، على ذكر هذه الحالة ، والقلب فيها ــ قلب الشاعر ــ تشغله امرأة واحدة ، ولا تنهشه فيه أنياب الغيرة .

الا أننا نحن الآن أمام حالتين جديدتين ، كل منهما تؤلف مسرحية لا تقل طرافة عما دبجته يراعة الشاعر في عالم القصص !!

القصة الاولى ، ويقف هذا الثالوث المعروف في حياة بعض المتزوجين ، وهو الثالوث الذى يتألف عادة من الزوج ، ومن الزوجة ، ثم من الرجل الثاني (١) وقد يكون محبوبا من الزوجة ، بحيث تسكن اليه وتمنحه كل ما يريد ، أو يكون غير محبوب من جانبها فلا تعطيه شيئا الا أن ترثي لحاله .

ونأخذ بالتفصيل ..

---

(١) ــ ويقع أحيانا ان يتألف هذا العنصر الثاني من امرأة أخرى دخيلة فاذا

كان بين رفاق هوجو ومريديه في الريادة الرومانسية الناقد (سانت بيف) ، ناصره بقلمه ودافع عنه بقوة بيانه أثناء سنوات الجهاد الاول فى معركة الرومانسية، حيث يختلط النصر بالهزيمة ، فكان أن توطدت صداقة قوية بين الاثنين ، وكانت زوجة الشاعر (أديل فوشيه) تحضر اجتماعهما بالمنزل وتشترك فى حديثهما ، بحيث قامت ألفة بينها وبين الناقد .

وسانت بيف ، على قبح خلقته ، كان بفطرته قوى الشخصية ، ذلق اللسان يملك طاقة شديدة فى التأثير على مخاطبيه ، فكان أن تأثرت الزوجة بهذه الشخصية تأثرا بريئا . الا أن الذى وقع ، هو أن الناقد تدله حبا بزوجة صديقه الشاعر ، هذا فى حين أن الزوجة لم تكن تشعر نحو هذا الحب الوامق الا بالشفقة ، يبعثها فى قلبها هذا الذلق اللسان وهو يحكى من أيام طفولته الكئيبة التعسة ، ومما يكابده الآن من الوحشة ، والوحدة والحرمان .

ويبدو أن هذه الشفقة تحولت تدريجيا الى عطف ، والعطف مدخل من مداخل الحب اذا لم توصد فى وجهه الابواب .

وأحس الزوج بأن هناك من يشاركه عطف زوجه ، كما لاحظ أن صديقه الناقد يكثر من التردد على المنزل اثناء غيابه عنه ، فكان أن طلب اليه ألا يحضر الى المنزل أثناء غيابه .

كانت صدمة للناقد ، ولكنه تحايل على الامر بأن طلب الى الزوجة أن تقابله خلسة فى كنيسة مجاورة للمنزل .. فكانا يجتمعان هناك فى حرم الكنيسة .. معصومين من الخطيئة .

ولكن يبدو أن هذا اللقاء لم يعد يشبع جوع العاشق الولهان ، هذا ولم يدر بخلد الزوجة يوما أن تستجيب الى العاشق فى أن تقدم له الزاد الذى يتوق اليه، بل حرصت دائما على أن تجعل ما بينها وبينه نقيا طاهرا .

ودامت هذه الحال ثلاث سنوات وانتهى الامر بأن طرد الشاعر صديقه من منزله ونحاه عن المنزلة التى كان يحتلها في قلبه ، وأسدل الستار .

وهكذا نكب الشاعر فى صديقه ورفيق الجهاد ، كما نكب فى زوجته ، وان لم يقم دليل على انحرافها عن جادة الشرف فى موقفها من الصديق .

حب فى الطريق !!

وفى أثناء ذلك ، كتب الشاعر مسرحيته **لوكريس بورجيا** وقدمها الى مسرح (سان مارتان) وأسند دورا صغيرا فيها الى ممثلة ناشئة تدعى (جولييت دوبيه) .

كانت الممثلة التى تشق طريقها في السابعة والعشرين من عمرها ، ذات جمال وانوثة طاغية ، وذات دل وخطر ، يتهافت عليها الكثيرون من أصحاب الثراء والجاه وفي مقدمتهم أمير روسي أنفق عليها أموالا طائلة ..

الا أنها ، حينما رأت هوجو فى جلسات التدريب على المسرح ، وهو يقدم ارشاداته الفنية الى ممثلى وممثلات مسرحيته ، استحوذ عليها ذهول ، وعصف بها لاعج من هيام ، تمنت معه أن يكون هذا (الاله الآدمى) صديقها وخليلها ، وكل شيء مما يربط بين الرجل والمرأة .

وكانت نظرة هوجو اليها ، فى أول الأمر ، غير ذات بال .. الا أن اهتمامها بأمره ، في كل مناسبة جعله يلتفت اليها ويستجيب الى أشواقها .

وساعد على تدعيم ما قام بينهما ، تلك الحالة النفسية التى كان عليها الشاعر بتأثير ما وقع له مع صديقه وزوجته .. فقد كان الشاعر مهيأ لان يخوض مغامرة عاطفية تغذى كبرياءه كرجل ، وتعيد اليه الثقة بنفسه فى مجالات الفحولة .

وانعكس هذا الحب الكبير فى شعر الشاعر ، فكتب فى محبوبته القصائد الطوال والقصار مستنزلا شآبيب الرحمة على بنات التفريط اللواتى قضي عليهن سوء الطالع بأن يصبحن زهرات تعيش فى الوحل ، مهيبا بالمجتمع أن يمد يده اليهن ليعيدهن الى النور .

وقطعت (جولييت) علاقتها بأصدقائها جميعا وانقطعت للشاعر بكليتها ، وتركت المسرح وتفانت مع الشاعر في العمل الذى كان ينهض به .

رجل بين امرأتين :

والسؤال الذى يفرض نفسه الآن : وماذا كان موقف الزوجة ؟ وماذا كان موقفه هو مع الزوجة ؟

ألم على ألم من جانب الزوجة ، ثم استطاعت أن تستكين الى هذا الانم ، وأن تحيله لونا من التضحية فى سبيل من تحب ، ولم تكف يوما عن حبها ، وظلت تفاخر به فى كل مجال ، وقد أدركت بوجدانها أن لكل رجل عظيم محاسنه ، وله أيضا مواطن ضعفه ، وأن المجد لا يعصم العظيم عن التردى فى الاخطاء ، بل ان العظيم هو المجد والأخطاء معا !!

وتحول حبها الى أمومة رحيمة وصداقة كريمة .

وفى احدى رسائلها الى الشاعر كتبت تقول : —

« لا تحرم نفسك شيئا ، أنا لم تعد لى رغبة في الحياة الا أن أرى من حولى يسعدون ، أن سعادتى من سعادتهم ، فافعل ما يحلو لك فانى سعيدة ما دمت أنت سعيدا » ..

ووقع حادث اذ ذاك له دلالة ...

ظهر الناقد (سانت بيف) فجأة على مسرح الحوادث ..

أعتقد أن الفرصة قد واتته لان يتأثر من الشاعر ، فأخذ يتردد من جديد على الزوجة (اديل فوشيه) يوغر صدرها على الزوج الذى هجرها . وأطلق لسانه في كل المحافل يشنع على الزوج ذى الخليلة .

وعندما أصدر الشاعر ديوانه (الاشعة والظلال) انحى عليه سانت بيف وعلى صاحبه بالنقد المسموم المغرض بدعوى أنه ما كان يليق أن يجمع الشاعر بين الزوجة والخليلة فيما صافه على شرف كل منهما من قصائد فى ديوان واحد .

وثارت الزوجة لهذا الموقف غير الكريم من جانب الناقد وأخذت تسلقه بلسان جارح وذكّرته أنها ما برحت تحب زوجها ، على الرغم مما حدث ، وأنها تعجب بعبقريته ، ثم اغلقت الباب نهائيا فى وجه الناقد !!

وبهذا ازداد هوجو تعلقا بزوجته وبأولاده منها ، واستطاع بحذقه ولباقته أن يرضي الزوجة والخليلة ، بأن يعطى لكليهما — ولو فى الظاهر — أقساطا متساوية من العطف والحنان ، وأن يحفظ على كليهما كرامتها وكيانها الآدمى .

وحينما نفى الشاعر الى جزر بحر المانش طيلة حكم نابليون الثالث ، تبعته خليلته مثلما تبعته زوجته ، وأقام كل منهما في بيت يواجه بيت الاخرى ، ليتبادلا التحية والابتسام من غير كلام !!

هذا الشيء الذى لا يهدأ ؟

وموضع النظر ، أن الشاعر على حبه لهما ، لم يستطع أن يهدأ ، وأن يقطع ما بينه وبين مغامراته العاطفية !!

اقترن اسمه من جديد بأسماء نساء حاذقات وممثلات جميلات ولكل منهن قصة تنبيء أن هذا الشاعر له فحولة تمتد الى كل شيء وانه على حيوية لا ينضب لها معين ..

ووقع أن زاحمه ابنه الاكبر (شارل) فى حب ممثلة حسناء .. وحينما أحس الشاعر أن النصر سيكون الى جانب الشباب ، خلع قبعته محييا ولده وانصرف !!

ان الحب ، كما نرى ، مكتوب على جبين هذا الشاعر ، بحيث أنهما يلتقيان في كل مرحلة من مراحل العمر ، بل ان الحب يؤلف جزءا من كيان الشاعر الذى لا يطيق حياة هادئة لا يضربه فيها الحب ضرب العواصف ، ولا يقتلعه اقتلاع الاعصار .

ومن يدرى .. فربما كان هذا الحب هو العامل الاول فى تفجر مواهب هذا العملاق الذى خلف وراءه انتاجا ادبيا ضخما ، ما برح يشغل اذهان الدنيا ، لانه بابعاده وأعماقه ، وصدقه ، وانسانيته من صميم الدنيا ، ومن حنايا قلوب ناسها .

٢ ــ هذه المسرحية

هرناني ؟

اسم .. مدلوله يتسع لاكثر من مسمى واحد !!

هرناني : اسم لمسرحية خرجت فى أسلوب يحمل الثورة على ما كان متبعا فى كتابة المسرحية ...

وهرناني ، اسم علم لقاطع طريق وطالب ثأر لا يلين ، وهو محب وامق كتب بحبه وبجرأته قصيدة شائقة في عالم الحب والفتوة ..

وهرناني ، معركة أدبية ، تؤرخ انقضاء عصر فى عالم الادب والفن ، وقيام عصر آخر .

وهرناني ، اسم لقرية فى احدى مقاطعات اسبانيا (١) أمضي فيها المؤلف فيكتور هوجو حقبة قصيرة من الزمن أثناء تجواله باسبانيا بصحبة والده ، وخلفت انطباعا خاصا فى مخيلته ، بحيث أطلق اسمها على هذه المسرحية ..

فنحن والحالة هذه ، أمام مسرحية يثير طابعها الكثير من الفضول ..

وأبادر بأن اشبع بعض هذا الفضول بالكشف عما وراء الظاهر منه فى هـذه المسرحية التى تجرى حوادثها في اسبانيا وكان يحكمها اذ ذاك الملك شارل ، أو ، دون كارلوس ..

أقول .. نحن أمام حسناء شابة ، هى دونيا سول التى يتعشقها ثلاثة رجال فى وقت واحد ...

عجوز متصاب جاوز الستين من عمره ، هو عظيم من عظماء اسبانيا ، عظيم بثرائه وبأمجاده ، وبشرف عائلته .. وهو « روى جوميز دى سيلفا » .

« وكارلوس » ملك اسبانيا الذى قبل انتهاء المسرحية يجرون انتخابه أمبراطورا للدولة الرومانية المقدسة باسم (شارلكان) أو شارل الخامس ..

ثم قاطع طريق ، ثائر على الملك ، فهو طلبته العدالة والمشنقة .

---

١ ــ تقع هذه القرية بالقرب من (سان سبستيان) وهى مدينة كبيرة فى مقاطعة (الباسك) باسبانيا .

ولكن (لهرناني) اللص وحده يخفق قلب الحسناء ، ولا عجب فنحن عادة لا نختار حين نحب !!

ويضع القدر ، مرتين ، الملك وقاطع الطريق وجها لوجه ، وذلك في أحداث المسرحية وفي المرة الاولى ينقذالملك حياة اللص،لا لسبب سوى أن للشرف مقتضيات، وللمروءة آدابا ..

وفي المرة الثانية ، يكون قاطع الطريق هو المتفضل بانقاذ الملك ، لنفس الاسباب السابقة ..

وفي الفصل الثالث ، نرى نفس الأسباب تقضي على العجوز (روى جوميز) بأن يمتنع عن تسليم قاطع الطريق الى الملك ، وكان اللص قد نزل عليه ضيفا قبل أن يكشف عن حقيقة حالة .. ويمعن العجوز في هذا الاباء وان اغضب الملك وأثار حفيظته .

وقبل أن يهبط الستار في الفصل الرابع ، نجدنا أمام مظهر آخر من مظاهر النبل والشهامة .. العفو عند المقدرة والأمر بالمعروف ، وانكار الذات اذ يعفو الملك، وقد أصبح الامبراطور ، عن جميع المتآمرين ، كما يرد الى هرناني ألقابه الملغاة ومكانته الاجتماعية ويسلمه دونيا سول ليقترن بها ..

نهاية سعيدة ولا شك لمواقف مثيرة وغير سعيدة ، وختام مقبول وهادىء لأحداث كان يجفوها الاستقرار والهدوء .

ولكن المؤلف لم يشأ هذا ..

اذ هو يجيء بفصل خامس ، وهو الاخير ، فاذا نحن مع ابطال المسرحية ، فيما عدا دون كارلوس ، في مواقف يحكم بعضها السمو الخلقي والخير وانكار الذات ويقضي في بعضها الآخر ، التسفل والشر (1) والانانية .

مواقف تؤكد انه من أعجب النقائض في الدنيا نقيضة القلب الانساني ، اذ يجمع في وقت واحد صفتي التسامي والتسفل معا !!

ان المؤلف يقدم هذا القلب بوجهيه ، مثلما يقدم العملة المعدنية !!

فنحن والحالة هذه أمام مسرحية ينزع شخوصها نزعة مثالية رفيعة في أكثر تصرفاتهم ..

هذه النزعة نطالع لها وجوها ، وألوانا كثيرة في الادب الكلاسي الفرنسي الذى يعتبر المسرح في احدى نواحيه جامعا ومدرسة وكنيسة .

---

1 ــ تسجيل التناقض في الأشياء من صميم النزعة الرومانسية باعتبار انها تستمد ايحاءاتها من الطبيعة ومن الحياة وكلتاهما يتألف من متناقضات .. النهار والليل ، الحر والبرد ، الخير والشر .

هوجو كورنى (١)

ولعل مسرحية (السيد) Iceid التى كتبها (بيير كورنى) فى القرن السابع عشر ، من أمتع النماذج وأكملها فى هذا الصدد ، كما أنها تحمل أكثر من مشابهة واحدة بينها وبين مسرحية (هرنانى) .

واذا ركنا المشابهة بين المسرحيتين فى النزعة المثالية التى عليها أبطال المسرحية، طالعتنا مشابهة أخرى .. ان التاريخ وأحداثه فيهما ليس لذاته ، وانما هو وسيلة، انما هو خلفية تجرى أمامها صراعات نفسية ، وتأزمات عاطفية عنيفة .

هذا والمسرحيتان تجرى حوادثهما فى قطر واحد . « اسبانيا » .

هذا والمسرحيتان تتفقان فى أنهما خرجتا فى الصياغة على (وحدتى الزمان والمكان (٢) وهما من دعائم المسرح الكلاسي .

ثم تجىء مشابهة بين المسرحيتين من ناحية أن كلا منهما أثارت عند ظهورها شغبا أدبيا ، وتحزبات قلمية ، مأتاهما ما تحمله كلتا المسرحيتين من جديد لم يألفه الجمهور ، ويجافى ما عليه اقلام كتاب المسرح ، ويصبح أن نعتبر مسرحية (هرنانى) عام ١٨٣٠ بمعاركها الادبية ، هى عين مسرحية (السيد) فيما أثارته بالنسبة للجمهور وللادباء المعاصرين ولمؤلفها (كورنى) بالقرن السابع عشر .

وقيام هذا التشابه بين المسرحيتين فى أكثر من موضع ، ليس فيه غمز بأن (هوجو) نقل عن (كورنى) ، أو استلهم بعض مواقفه ، فالموضوع في كل من المسرحيتين يختلف عن الآخر ، مضمونا وأسلوبا ، وكل ما يمكن أن نقوله ، أن « هوجو » برومانسيته التى يحمل لواءها ، لم يكن فى منجاة عن مثالية الأدب الكلاسي ، وهى مثالية تحرص على أن يتغلب العقل على شطحات العاطفة وأن يتحكم فى الهوى ، هذا فى حين أن الرومانسية فى صميمها تعلى دفعات العاطفة على مراجعات العقل والنهى .

وأنصف ما يمكن أن يقال في هذا الصدد ، انه اذا صح أن نعتبر مسرحية

---

(١) ـ مسرحى فرنسي (١٦٠٦ ـ ١٦٨٤) كان ينزع نزعة خلقية ومثالية في مسرحياته ، مصورا الحياة كما يجب أن يكون ، وليس كما هى عليه . ومن أهم مسرحياته السيد ، وهو رأس ، وسنا . وهو يعتبر رأس الأدب الكلاسي في المسرح الفرنسي .

(٢) ـ (وحدتا الزمن والمكان) أن تجرى المسرحية فى مكان واحد وفى يوم وليلة، ثم هناك (وحدة الفعل) وهو أن يشغل (الفعل) موضوعا واحدا ، ولا يماشيه موضوع جانبى . وأطلق الكلاسيون على هذه القيود (الوحدات الثلاث) .

(السيد) جاءت من رومانسية متقدمة (١) وقبل أن تصلب لها أرض فى الادب الفرنسي فانه يصح أن نعتبر (هوجو) هو (كورنى) القرن التاسع عشر !!

حب يناضل

وهناك ناحية أخرى تلقى على مسرحيتنا ظلا من الكلاسية .

ان أبطال مسرحيتنا صرعى الحب ، أو هم ، على الاقل فى نضال معه ولكل منهم لون من الحب يخالف فى توعيته الحب لدى الآخر .

فالحب عند (الملك) جنس ومتعة ، وهو عند (روى جوميز) أنانية وشهوة امتلاك .

ثم هو مع (هرناني) بذل وعطاء ، وايثار ، وكذلك الحال مع (دونيا سول). وهذا الحب مع اختلاف ألوانه يناضل عن كيانه ليعيش ، وهذا الحب يؤلف قدرا محتوما يهيمن على حياة كل منهم ولا يفنى هذا الحب الا بأن يحترق القلب من غير أن يندلع منه لهب ، أو أن يموت صاحبه ..

هذا النضال الذى قوامه (ثلاثة رجال يحبون امرأة واحدة ، ويتعاركون فى سبيلها) يثير في مخيلتنا أطيافا من معارك غرامية عالجها المسرحى الكلاسي (جان راسين) (٢) على نطاق واسع !!

ولم يكن (هوجو) أيضا فى منجاة من التأثر بالادب الاوروبى عامة ، ان الانجليزى (وليم شكسبير) بمخيلته المجنحة ، وبوشاته المفاجئة فى التعبير ، ثم

---

١ — الرومانسية في أكثر اوضاعها كانت لها ملامح الانتاج الادبى والفنى ، قبل أن تخطط لها الاوضاع وتقام الحدود فى الأدب الفرنسي بالقرن التاسع عشر . اذ الرومانسية فى صميمها تحرر من الاوضاع القائمة ، وتشوق الى جديد ، هى نوع من الليبيرالية : فلوليم شكسبير رومانسيته ، وكذلك لشيلر الالمانى و (جوته) رومانسيته ، وهؤلاء يعتبرون من الرواد الاوائل للرومانسية . أما الرومانسية عند (كورنى) فحالة طارئة بحكم أن كل مسرحياته — فيما عدا مسرحية (السيد) تنحو نحوا كلاسيا صريحا .

٢ — أحد الثلاثة الكبار من الشعراء الكلاسيين بالقرن السابع عشر ١٦٣٩ — ١٦٩٩ أتحف الأدب الفرنسي بمسرحيات مأساوية محورها الاول هو الحب فى مختلف وجوهه ، وفى منفوان جبروته ، كما جاءت شخوص مسرحياته بعيدين عن مثالية (كورنى) .

باستغراقاته العميقة التى تعتصر المعانى ، يقف وراء شاعرنا فى بعض مشاهـــد مسرحيته (١) .

والالمانيان (شيلر) (٢) و (جوته) يطلان احيانا من ثنايا المسرحية لفترات قصيرة .

الحبكة المسرحية

فاذا انتقلنا الى الحبكة المسرحية ، وهى أن تتابع مشاهد المسرحية وتنتظم في تخطيط محسوب تتصاعد فيه فاعلية الاحداث ، بحيث تتأزم ، وتؤلف عقدة تثير انتباه الجمهور وتستبد بفضوله ، في ترقب الانفجار أو الحل ، فاننا نلحظ تأثر « هوجو » مما كانت عليه هذه (الحبكة) فى الكثرة الشاملة من المسرحيات التى كتبت فى نهاية القرن الثامن عشر والتى تؤلف نوع (الميلودرام) (٣) .

ان هوجو ينحو نحوهم ، ويملى أمر هذه الحبكة على تشكيل شخوص مسرحيته تشكيلا انسانيا وقد يجنح فى سبيل ذلك الى أن يركب المبالغة والافتعال .

الا أن خصب الخيال في (هوجو) ، وسحر الحوار — وقد جرى في شعر نباض بمعاني الوجود — يضفيان على هذا الافتعال ما يمسح من طابعه ويخفف من أثره .

الشاعر ابن بيئته

ولن نعدم العثور على مؤثرات اخرى انقاد لها هوجو من حيث لا يشعر ، لان الشاعر ، مهما أوتى من ملكة الابتداع والاصالة ، فهو ابن بيئته الادبية والفنية ، وهى ، فى أحد وجوهها ، اخلاط من مخلفات قديمة ذات جذور فى الوعى العــام ،

---

١ — بالمشهد الرابع من الفصل الثالث وذلك فى الحوار الذى يجرى بين هرنانى ودونيا سول أطياف من مسرحية (هملت) اذ انبرى هملت يقنع أوفيليا بأن تنصرف عن حبه وان تدخل الدير . وبالمشهد الثالث من الفصل الخامس ما يذكرنا بموقف لورنزو وجيسكا فى مسرحية تاجر البندقية وهما يتحدثان عن سحر الموسيقى وهداة الليل .

٢ — شاعر مسرحى المانى ١٧٥٩ — ١٨٠٥ تأثر بشكسبير المتحرر ، وبروسو الطليق من قيود الكلاسية ، وكان أول عطاء له بالمسرح **اللصوص** ، وهى صرخة تدعو الى التحرر من قيود الاستبداد كما أن آخر عطاء مسرحى له **غليوم** تل وهى اعلاء للتحرر الوطنى .

٣ — نوع من المسرحيات يقوم على المبالغة فى رسم الحبكة المسرحية بايراد المفاجآت وبافتعال المشوقات أكثر مما يعلى الصدق الفنى وتحليل شخوص المسرحية.

ومن مستحدثات صاعدة تحاول أن تزحم هذه المخلفات لتعيش الى جانبها ، أو لتأخذ مكانها .

الا أن كل هذا ، وما عسي أن يجيء على غراره ، لا يتجاوز أن يرسم انطباعات المؤلف بالبيئة المسرحية المحلية ، وأن يحدد أيضا مبلغ تأثره بالتيارات الادبية التى ترد من الخارج ، كما ينزل المسرحية مكانها الحق بالنسبة الى غيرها اذا أخذنا بأسباب المقارنة .

وليس فى ذكر ما تقدم ، ما يسلب مسرحيتنا هذه اصالتها فى تناول الموضوع ثم في معالجته بابتداع أحداثه ومواقف الاثارة فيها ، ثم بتقويم شخوصها .

نقول ان الموضوع سهل ، وهو يجول فى الكتب وفي ادمغة الناس ، وتجرى به الالسن ، ولكن معالجة الموضوع أمر صعب وعسير ، وبه تتفاوت أقدار الكتاب .

مستند ضائع

وليس أدل على ما نذهب اليه ، من أن نورد الاصل موضوع مسرحيتنا هذه .

أذاع هوجو ، قبيل أن يطالع الجمهور بمسرحيته ، أنه استعار لباب موضوعها من مستند قديم عثر عليه بين المستندات التاريخية . ويحكى أن (دون كارلوس) : كان أيام شبابه الاول ، وهو ملك على اسبانيا ، نزقا مستهترا يجرى وراء المغامرات الغرامية ، وينشد الاناشيد الليلية تحت شرفات الحسان فى مدينة سرقسطة ، ولا يبالى أن يجرد سيفه للمبارزة ولدفع من يقف في سبيله ، ولكن الامر تغير تغيرا تاما حينما اختاروه امبراطورا ، اذ لبسته حالة من التعقل والحجا جعلته يزهد فى هذه العابثات ، ويخلد الى الجد والوقار .

من هذه الحكاية القصيرة التى لا تقول كثيرا ، استطاع (هوجو) أن يقول كثيرا .. أن ينشيء مسرحية ذات خمسة فصول مليئة بالاحداث ، وتنتظم فيها المفاجآت ويصول ويجول فيها نماذج بشرية ، نرى فى تصرفاتها اصداء لبعض ما هو قائم فينا .

هذا والحوار يجرى فى شعر مونق آسر تتيه به المعانى ، ويشيع الضـوء الساطع في كل ما يتناوله ، فاذا للحصا بريق الجوهر ، واذا الجوهر ، نور على نور !!

ان الشعر فى المسرحية الرومانسية هو المصدر الاول فى بهائها ، وهو العنصر الرئيسى الذى كتب البقاء لهذا النوع من المسرحية ذات النطاق الضيق ، من حيث انها تسجيل لعالم زمنها ، وتقويم شخوصها التقويم النفسي الذى يجعل منها نماذج انسانية تعيش فى كل مكان وعلى الزمن بل ان الشعر هو الباب الاوحد الذى دخلت منه هذه المسرحية عالم الأدب الرفيع . طابع كلاسي ، مضمون وقالب رومانسي :

ونخلص مما تقدم ذكره الى أن نقرر أن مسرحيتنا ، وان كنت رومانسية المضمون والقالب فانها على الرغم من ذلك ، تحمل طابعا كلاسيا بما يعصف بنفوس أبطالها من مشاعر تنزع نزعة مثالية وتسكنها شحنات عنيفة من الانفعال الذي تضيق به الطاقة البشرية أحيانا .

الا أن الصراع أو (الفعل) في الموضوع ، يجرى تبعا لقيم غير كلاسية ، لم ينسج المسرحيون الكلاسيون على منوالها (١) واليك بعضا من هذه الموضوعات : —

ففى مسرحيتنا يختلط عنصر الفكاهة (٢) بالعنصر المأساوى هذا فى حين أن المسرح الكلاسي ، اما أن يكون فكاهيا أو مأساويا خالصا .

و فى مسرحيتنا هذه ، نرى الاشخاص فيها يعبرون عما فى نفوسهم بألسنتهم وبأفعالهم وليس بما يحكى عنهم بلسان شخصيات اضافية . فأحداث القصة ، والحالة هذه ، نراها رأى العيان ، ولا تصل الينا منقولة على ألسنة الآخرين .

واذا كان بالمسرحية أربع مقطوعات فردية طويلة تتخلل فصولها الخمسة وبها ينقطع الحوار — وهذه من مميزات المسرح الكلاسي — الا أن هذه المقطوعات جاءت لضرورات شعرية وانطلاقات بلاغية ، أكثر مما تؤلف مشاهد ترسم أحداثا فى المسرحية ، ثم ان فى الامكان الاستغناء عنها .

وان تسلسل حوادث المسرحية وتتابع أحداثها يعوق انطلاقها احيانا في خط مستقيم ومحسوب ، بتدخل مشاهد جانبية وطفيلية (٣) يجافيها المنطق السليم وتعمل على تباطؤ فى الحركة المسرحية وعلى انحرافها ايضا . .

فلو لم يعمد المؤلف الى تدخل (البوق) وذلك فى نهاية الفصل الثالث ، وجعله عاملا يتحكم فى حياة (هرنانى) لانتهت المسرحية بهبوط الستار بالفصل الرابع . ولكانت نهاية سعيدة للمسرحية ، ونهاية سياسية موفقة لدون كارلوس اذ أصبح امبراطورا !! .

الا أن المؤلف زاد فصلا خامسا ليلعب هذا (البوق) دوره لينهى المسرحية نهاية عاطفية ومأساوية !! .

والفصل الرابع يجيء عادة فى بناء المسرحية الكلاسية ليمهد لحل (العقدة)

---

١ — هذه القيم والاوضاع تضمنتها مقدمة مسرحية **كرومويل** وسنتناولها فى حديثنا عن ماهية الرومانسية .

٢ — كما هو وارد في المشهد الاول من الفصل الاول ، والمشهد الاول من الفصل الثانى ، ثم فى الاول من الفصل الخامس .

٣ — المشهد الاول في كل من الفصول الثانى والرابع والخامس بالمسرحية .

عقدة الموضوع التي تكون قد أخذت تتعقد وتتأزم ، وتنهى المسرحية ، ولا يجيء نهاية لاحداث المسرحية .

واذا انتقلنا الى الناحية الاستعراضية ، وهى الناحية التى تخاطب الرؤية بما تتراءى فيه المسرحية من مناظر وأستار ، وملابس ، ومهمات ، وبما غني أن يتخللها عزف موسيقى وعرض عسكرى الخ .. وجدنا أنفسنا أمام مظاهر أخاذة منها . فلكل فصل من الفصول الخمسة منظر قائم بذاته ، ومتفرد بفخامته ، ويأخذ بمجامع البصر والسمع بما يجرى فيه ، مشاعل تضيء ظلمة الليل ، حاشية الملك تزهو فى ملابسها وأسلحتها ، أجراس تدق ، وكل هذا يعمل على احياء صبغة محلية ذات معالم محددة وواضحة .. وفي هذا ما فيه من تنوع فى تشكيل الاطار المادى الذى تخرج فيه المسرحية ، هذا التنوع الذى يضيف متعة الى العين الى جانب متعة الاذن بسماع حوار المسرحية ، وكل هذا امر لم تكن تعرفه الكلاسية .

ونضيف الى ما تقدم ـ وهو قليل من كثير مما يصح أن نزفه فى التفريق بين الكلاسية والرومانسية ـ نضيف ، أن شخوص المسرحية فى أبطالها ، تعصف بهم أهواء جامحة ، وانفعالات ملتهبة يعوزها الاعتدال والرزانة ، وهما من أبين ملامح الادب الكلاسي .

هذا ، وهؤلاء الشخوص فى مسرحيتنا ، يتناقضون فيما بينهم سنا ، وعقلية ، ومركزا اجتماعيا .. مثل الالوان التى لا تناسق بينها ولا يجمع بينها رباط !!

ان المذهب الرومانسي ، يعنى بابراز (التناقض) فى كل شيء وهو في هذا يستجيب الى وجهة نظره في أن كل شيء فى الدنيا له نقيضه وعكسه !!

شرخ فى المرآة :

الا أن المأخذ على هذه الرومانسية فى المسرح الفرنسي هو أن كتابها لا يتوفرون على تناول شخوص مسرحياتهم بالتحليل النفسي الدقيق الذى يجعل منهم نماذج بشرية عامة ، وليس مجرد شخصيات تعيش في اطار المسرحية .

فالملك دون كارلوس ملك .. ولكن أى ملك فى أبعاده النفسية وفى (عمومية) مشاعره الانسانية ؟!

والثائر هرنانى ..

وكذلك العجوز روى جوميز ..

والحسناء دونيا سول ..

كلهم مجرد شخوص فى دنيا المسرحية فحسب ، وليس فى دنيا العالم الكبير ، هذا اذا استثنينا بعض لمسات هنا وهناك تضفى عليهم دفئا انسانيا من وقت لآخر .

ومرجع هذا ، فيما أظن ، أن هذه الرومانسية ليست أصيلة في الأدب الفرنسي، بل هي احدى الوافدات الأجنبية عليه ، وقد شغل الكتاب الفرنسيون بمباهجها ، وبما تحمله من طريف وجديد فيها ، شغلوا بها عن الجوهر فى كتابة المسرحية ، وهو التقويم الانسانى لشخوصها .

وقد ساعد على قيام هذه الحال ، ولا شك ما كان يسود التأليف المسرحى عامة بفرنسا فى أواخر القرن الثامن عشر ، من حيث الاهتمام بالحبكة المسرحية وايراد المفاجآت ، والتأثير على الجمهور بايراد ما هو عجيب يثير الغرابة وليس بايراد مشوقات مأتاها الغرابة والتناقض فى سلوك شخوص المسرحية .

وفى هذا تفترق رومانسية هوجو ، خاصة عن رومانسية شكسبير .

الا أن مواطن الضعف هذه ، كان يخفى معالمها جدائل وباقات من الزهر ، ينتظمها ذلك الرواء اللفظى الحاذق الذى يتدفق شعرا مونقا آسرا في حـــوار مسرحياتها (١) .

من روح العصر

ويجىء تساؤل مشروع ..

الى أى حد تعكس هذه المسرحية صورا من عصر مؤلفها ، ثم من حياته فى تفكيره ، وقد تأثر بأحداث عصره ؟؟

نقرر في هذا ، أول ما نقرر، أن مسرحية **هرنانى** ليست فكاهية نماذج بشرية ، كما أنها ليست لتسجيل سمات جيل ونقد أحواله ، ومحاولة اصلاح ناسه بطريق السخرية واثارة الضحك من سلوكهم .

ان مسرحيتنا لغير هذا ، ومجالها ليس مجال التفكه والسخرية ، انها مسرحية جدية ذات نهاية مأساوية دامية ، اذ يسقط قبل هبوط الستار النهائى على أحداثها، ثلاثة من ابطالها موتى .. انها مسرحية (ميلو درامية) (٢) اذا أردنا الدقة فى التعبير .

مسرحيتنا ، فى أقصر عبارة ، مجالها الاول اصطخاب صراعات نفسية ، لتكشف عن مواجهات عاطفية تتسم بالعنف والشدة ، وقد تتساقط من خلالها عبر لمن يبحث عن العبرة في المسرح ، ولعل أهم هذه العبر ، التى تلتقطها النظرة العجلى ، أن الاعتدال فى تناول شئون الحياة ، حتى فى الحب وفى رغبة الامتلاك ، أمر محمود ،

---

١ ـ نسج على منوال هوجو شعراء وكتاب مسرحيون جاءوا بعده ، وفى مقدمة الشعراء منهم (فرانسوا كوبيه) بمسرحيته **عابر الطريق** و (ادمون روستان) بمسرحيته **سيرانو دى بيرجيراك** بل تشكلت مدرسة رومانسية فى النثر ، سيطرت على الانتاج المسرحي طوال القرن التاسع عشر ، ولعل أهم كتابها (فيكتوريان ساردو) الذى ترجمت له كثير من المسرحيات قدمها المسرح العربى .

٢ ـ ذكرنا فيما تقدم ماهية هذا النوع من المسرحيات .

ثم .. ثم انه « لا يغنى حذر من قدر » أى أن المكتوب على الجبين لا بد أن تراه العين !! »

ويجرى كل هذا أمام خلفية تاريخية لا تخلو من مشابهة لما كان عليه عصر مؤلف المسرحية نفسه ، من حيث الاصطراع في نظم الحكم ، وما يتبعه من الانقلابات العسكرية .

ان أكثر فقهاء الادب والاجتماع يذهبون الى أن (الرومانسية) فى نزعتها الهدامة والبناءة فى وقت واحد ، انما هى من انعكاسات الثورة الفرنسية الكبرى ١٧٨٩ .

والزمن الذى عاشه (هوجو) انما هو حلقة من الحلقات التى تتابعت فى اعقاب هذه الثورة بل هى حقبة تؤلف ثورة بدورها .. فبعد الثورة الكبرى ، جاء (بونابرت) القنصل ، ثم (بونابرت) الامبراطور ، وجاءت بعد ذلك ملكية رجعية ، تبعتها أخرى دستورية الخ (١) . ثم عاد الحكم الامبراطورى مرة ثانية (٢) .

ولم يكن عجبا أن يتعاطى الجمهور شئون السياسة كما يتعاطى الطعام ، بعد أن تفرق أحزابا وشيعا ، حزب يناصر النظام القائم ، الى جانب آخر ، يتوق الى أن تعيد فرنسا سيرتها الحربية تحت النظام الامبراطورى ، هذا الى جانب حزب يعمل على قيام الجمهورية .

عاش المؤلف كل هذا ، ودار فى أحداثه وانطبع بمؤثراته ، هذا والمؤلف شاعر ، وأى شاعر ! ، ولهذا لم يكن عجبا أن تراه يخلق فوق المرئيات والمحسوسات الصغرى القائمة فى سلوك الناس ، ليعيش وليعنى بالمرئيات والمحسوسات الكبرى .

وهو الشاعر الذى يتكلم :

ونسمع صوته عاليا يجلجل خلف شخصية الملك دون كارلوس ، وذلك فى الفصل الرابع ، وقد وقف الملك غارقا فى تأملات عميقة أمام ضريح الامبراطور شارلمان الذى صنع أوروبا ، وهى تأملات بعضها سياسى مبعثه ما هو قائم وما يجب أن يقوم فى أنظمة الحكم ، وبعضها الآخر غير سياسي مما يدخل فى بدهيات الحياة وحقائق الوجود ، مما يحسها الجمهور فى نطاق زمنة .

هو يحبذ قيام النظام الملكى بعودة أسرة البوربون ، وأن يكون هذا النظام وراثيا (٣) .

---

١ ــ أوردنا هذا فى المقدمة الأولى

٢ ــ وهو الامبراطورية الثانية وعلى رأسها نابليون الثالث .

٣ ــ كان فيكتور هوجو محط رعاية من جانب لويس الثامن عشر ، ومن شقيقة شارل العاشر ، وهما من أسرة البوربون وقد ظهرت هذه المسرحية فى أيام حكم شارل العاشر عام ١٨٣٠ .

وهو يلوح فى مكان آخر بمشروعية قيام السلطة الزمنية ، وعلى رأسها الملك أو الامبراطور ، ثم السلطة الدينية ، وعلى رأسها البابا فنسمعه يقول : –

« فالبابا والامبراطور يتمثل فيهما كل شيء ، ويعود اليهما كل شيء ، لأن فيهما سرا علويا ، ومن السماء هبطت عليهما الحقوق الالهية » .

بل ان (هوجو) ليحيى ذكر « الحق الالهى » الذى هو (طوق النجـاة) والذى تتمسك به الملكية حينما يجتاحها غضب الشعوب ويزحزحها عن العرش .

و (هوجو) فى الوقت نفسه لا يغفل أمر الشعب ، بل هو يعلى من شأنه وينبه الى خطره فيقول :

« أيها الملوك أحرى بكم أن تنظروا الى ماتحت أقدامكم هناك الشعب .

الشعب ؟ المحيط .. أمواه لا تنقطع عن الحركة .

الشعب ؟ الموجه العاتية التى تسحق عرشا وتحفر قبرا ..

المرآة التى قل أن يرتسم على صفحتها وجه وسيم الملك !! »

وواضح أن الشاعر مقسم بل هو ممزق بين النظام الملكى الذى لا يمكن أن يعيش الا على هضم حقوق الشعب ، والشعب الذى قلما يسترد حقوقه المشروعة فى ظل هذا النظام .

لماذا تركنا هذه التلويحات السياسية – وقد أوردنا منها قليلا من كثير مما جاء فى مناجاته ، فاننا نجدنا أمام سبحات شاعر ، ولمحات مفكر يتلفسف ويجرى الحكمة على لسانه .

حتمية التطور – الجبرية :

أسمعه يقول « تكفى أن تطل برأسها يوما فكرة تستولدها حاجة من حاجات العصر حتى تراها تنمو ، وتعظم ، وتسعى على قدمين وتجرى ، بل هى تتمثل كائنا انسانيا يحفر فى المجتمع خطوطا ويشق أخاديد » .

وفى الوقت الذى نسمع فيه الشاعر يؤكد ايمانه (بفكرة العصر) أو داعى التطور ، نسمعه بعد ذلك معربا عن ايمانه بان هناك يدا علوية تدبر شئوننا الكبرى ، وتسخر من تقديراتنا ، نسمعه وهو يوجه كلامه الى المجلس الذى اجتمع لينتخب من سيتولى أمر الامبراطورية الرومانية المقدسة ، هذا ومعلوم أن دون كارلوس يتوق ويعمل على تولى هذا المنصب :

« أيها الناخبون تختالون فى الأردية يوشى الذهب حوافيها ، ان شأنكم فيما تبرمونه لا يتجاوز شأن من يمثلون استعراضا مسليا ومحسوبا اذ أن الله ، وحده ، هو من يفعل ما يشاء »

والى التراب نعود :

ويبلغ تأثر الشاعر مبلغا كبيرا بما يرى حوله فى هذا المكان من أسباب الفناء ، وقد تضاءلت عظمة هذا العملاق (شارلمان) فصارت ضريحا من حجر يتوارى بين أعمدة من حجر ، فنسمعه يقول :

« اعمل ما استطعت فى طلب الامبراطورية ، ثم انظر الى التراب الذى صار اليه امبراطور !! املأ الخافقين ، املأهما جلبة ودويا،وارفع البناء ، ودعم امبراطوريتك ولا تقنع بشىء .

أتدرى ما يتبقى منك يوما ؟؟

لن يتبقى — وياللجنون — غير هذا الحجر القائم على موقدك !! »

ان هوجو ، يذكر ولا شك — ولو بطريق غير مباشر — ما انتهى اليه أمر الامبراطور نابليون بونابرت ، وقد كان الشاعر من أشد المعجبين به ، وفى أمجاده صاغ أروع قصائده .

ان فى دون كارلوس قسمات وملامح من شخصية الشاعر المؤلف ، وبعبارة أخرى أن الشاعر هو بعض دون كارلوس !!

فنحن فى هذه المسرحية **هرنانى** لسنا أمام مؤلف ذكى الفؤاد ، حلو الدعابة ، يحذق الملاحظة،ويذهب بفراسته الى استخراج ما هو قائم وراء الظاهر من الناس،بل اننا فى هذه المسرحية أمام المنظور البعيد لشاعر كبير ، خياله يزرى بالواقع ، وأحاسيسه تنطلق تهدر كالسيل يقطع السدود ، وقد انحنى بشاعريته يتفحص حنية من حنايا الوجود .. شخوصها طين من حمأ مسنون .

٣ — هذه الرومانسية ؟

والكلمة ليست عربية ، كما هو واضح ، وانما هى تحريف لكلمة Romomtisme الأجنبية ..

هذه الكلمة،ما أكثر ما تدور على ألسنتنا وأقلامنا فى مختلف المناسبات ومع ذلك نحس أن جوانبا من ماهيتها يكتنفها شىء من الغموض ، أو هى تعطى ، ولكن بعد مماطلة وتأمل .

والمرجع فى هذا ، كما قلنا ، ان الكلمة ليست عربية أصيلة تكشف عن كل دلالاتها كشفا لا يلابسه الغموض ، كما أن الكلمة فى صيغتها الاجنبية تحمل ، كما سنرى دلالات عدة ، اذا أحطنا بأطراف منها ، بقيت خافية علينا أطرافها الأخرى .

ونبادر بارساء تعريف هذه الرومانسية(١) فنقول انها اتجاه ، أو هي مذهب ، في التعبير الأدبي والفن الأوروبي ، ينهض على التحرر مما هو قائم من قيم ، وصيغ، وقوالب في الأدب ، وفي الموسيقى ، وفي الفنون التشكيلية ، وقد ولى وجهة في استلهاماته ، وفي ابتداعاته نحو الطبيعة غير المقيدة بقوالب مصنوعة ، واتجه نحو الحياة في واقعها ، مستهديا باحساسه الشخصي وبانفعالاته الذاتية .

فالرومانسية (حالة) في الفكر وفي الأسلوب ، تنشد التحرر من قيود ما هو قائم ــ والتحرر ثورة ــ ابتغاء ارتياد آفاق جديدة من الفكر والتعبير (٢) .

و (للحالة) هذه أشباه ونظائر في الآداب والفنون عند الشعوب المتحضرة ، أشباه تتفق في البواعث وفي الأهداف ، ولكنها قد لا تتفق في مقدار توفيقها في تحقيق هذه الأهداف ، وذلك من حيث قيمة ما تقدمه من جديد وطريف في عالم الابتداع الأدبي والفني .

والادب العربي مر بمثل هذه الانتفاضات والثورات في مدارج تطوره ، ونذكر منها على سبيل المثال ، وليس على سبيل الحصر ، ما وقع للأدب العربي حين استوى العصر العباسي وزكي عودة ، اذ ثار على عبوس العصر الأموي السابق له ، وعلى زهده في الترف والرفاهية ، اذ كان عصرا خشنا متقشفا بفعل الحروب والفتوحات الاسلامية ، فاذا الادب في العصر العباسي يبتدع أدب الرسائل ، ويأخذ بالرواء اللفظي وبالزخرفة في الأسلوب البياني ، ويغرق في الأخذ بالخيال ، كما يميل الى اعلاء العاطفة . ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ ـــ

الا أن هذه الثورة ، أو الانتفاضة لم تحمل اسم (نوع) يحدد معالم جوهرها بحيث يميزها عن غيرها ، واكتفى في تسمية هذه الحالات الثورية في عالم الأدب بأنها مظاهر (تجدد) و (تطور) !!

وفي دفعتنا الأخيرة نحو تعريب كل ما هو أجنبي ، أطلق بعضهم اسم (الابتداعية) على هذه (الرومانسية) .

---

١ ــ لعل هذه الكلمة مشتقة من كلمة Romon وتعني قصة يغلب على صياغتها الخيال وتتابع فيها الحوادث في سياقها مؤثرة بحيث تجتذب القارىء . الا أن هناك رأيا ينص على أن كلمة Romon tisme مشتقة من كلمة ايطالية كانت قائمة وهي Romon ticisme ومعناها « التجديد في الأدب بحيث يماشي التيار التحرري القائم » وقد استعمل الكاتب الفرنسي (استندال) Stendal هذه الكلمة ، وهو من رواد الرومانسية ، وهو سابق على (هوجو) نفسه .

٢ ــ والثورة ، أية ثورة ، تقوم بالانفعال الشديد وبالهزة ، وبالحماس المتقد ، وكل هذا يمهد للعاطفة انطلاقات واسعة المدى تتحكم فيها وتسيطر عليها .

والاسم ، كما هو واضح ، يملأ السمع بتركيب حروفه ، ولكنه لا يملأ الذهن بمدلوله لان (الابتداع) ، انما هو درجة من درجات التفوق والتوفيق فى الخلق الأدبى والفنى ويصح أن تكون هناك مجالات ابتداع فى أى مذهب أدبى ، قديما كان أو حديثا فليس مجال الابتداع ، والحالة هذه ، مقصورا على الرومانسية فحسب.

وافدات أجنبية :

ونعود الى هذه الرومانسية لنكشف عنها فى جذورها وفى مقوماتها .

نقول ، أول ما نقول ، انها فى نشأتها الأولى حركة أوروبية وافدة من الشمال وليست فرنسية مثل (الكلاسية) خاصة .

وقامت طلائع هذه الرومانسية فى أواخر القرن الثامن عشر ، وقامت أول ما قامت فى انجلترا (١) ، ثم فى المانيا ، وزحفت بعد ذلك الى فرنسا فى أوائل القرن التاسع عشر ، ثم امتدت الى ايطاليا فاسبانيا ، وعبرت البحر المتوسط الى الضفة المقابلة حيث تقوم أقطار من الشرق العربى .

ثم نقول انها قامت رد فعل لما كان يحكم الأدب والفنون اذ ذاك من (كلاسية) ضارية منذ القرن السابع عشر ، أحالت الانتاج الفنى والأدبى وكأنما هو يصدر من قوالب لا تتغير ويتمشى فيها الجمود والتحجر .

وحينما قامت هذه الحركة المضادة للكلاسية ، لم يكن همها الأول الا محاولة تحطيم ما هو قائم من الأوضاع ، وكان يعوزها المنهج ووضوح الهدف .

سئم الجمهور هذه الكلاسية .. فهو يبحث عن جديد ، وقد تفتحت واعيته لكل ما يجيء يحمل شيئا غير (كلاسى) ...

ويتتابع تدفق التيارات الأجنبية .. من الخارج .

ان (شكسبير) بشعره الحر الطليق ، وبوثباته المحلقة فى سماء المعانى الرفيعة يدق بها أبواب القلب الانسانى ، وفى غير قوالب مفتعلة ومقايسات محسوبة ...

---

١ ــ فى قصص الروائى (ريتشارد سون) تنطلق الانفعالات جامحة تطغى على صوت العقل . وقد ترجمها الى الفرنسية الكاتب (الأبيه بريفوست)Lobee Prevost ثم أصدر هو قصته المشهورة (مانون ليسكو) متأثرا بالكاتب الانجليزى .

ونرى كذلك فى قصص (فيلدينج) و (جولد سميث) حساسية مرهفة طاغية ومسيطرة . وكل هذا ينافى الكلاسية ويرهص لشيء جديد يطل برأسه

وان (شكسبير) (١) أيضا بمسرحياته الخارجة علي الوحدات الثلاث ، والتى تجمع فى ثناياها ما يبكى وما يضحك ، وما هو قبيح وما هو جميل » وتجمعه فى مزيج شهى » ...

وان المسرح الالمانى تحت راية كاتبه المسرحى (شيلر) الذى تعتبر مسرحياته مرحلة انتقال ، اذ تؤلف الحلقة التى تصل بين المأساة الكلاسيكية ودرامات (شكسبير) ....

وان انتشار ماكتبه الناقد الالمانى الكبير (وليم فون شليجيل) فى الأوساط الادبية والفنية (٢) وهو يشيد اشادة بليغة ومؤثرة بمسرح (شكسبير) ويحاول أن يستخلص المقومات التى ستنهض عليها المسرحية الرومانسية ....

وان ماكتبه (استاندال) .. وهو أديب فرنسى ذو شأن ـ فى كتابه (راسين وشكسبير) (٣) وقد اخفض من شأن الكلاسية ، وقرر أن مسرحياتها لم تعد تتفق والمزاج العام الذى عليه الجمهور ، الامر الذى يدعو الى البحث عن قيم حديثة فى صياغة المسرحية وفى قالبها بحيث تروق الجمهور ....

وان ما جاء قبل كل ما تقدم ، مما أورده (جان جاك روسو) (٤) فى مؤلفاته (العقد الاجتماعى) و (الاعترافات) ألخ ، وكله يدعو الى الثورة على الاوضاع القديمة والرجوع الى الطبيعة فى صفائها وبساطتها .....

كل هذا ، شكل جبهة متماسكة تواجه الكلاسية لتنزل بها دقات عنيفة ، وتمهد الرأى العام لاستقبال شىء حديث .

---

١ ـ تعرف الفرنسيون الى شكسبير عن ترجمة بعض من مسرحياته ، ثم من الندوات والمحاضرات التى كانت تتتابع لتقديمه شاعرا ومؤلفا مسرحيا ، وكذلك عن طريق الفرق التمثيلية الانجليزية التى زارت باريس فى عام ١٨٢٢ ثم فى ١٨٢٧ وقد سخر الفرنسيون مما قدمته هذه الفرقة فى المرة الأولى ولكنهم اعجبوا به فى المرة الاخرى .

٢ ـ الكتاب يحمل عنوان (محاضرات فى الادب المسرحى) وقد ترجم الى الفرنسية عام ١٨١٤ .

٣ ـ قرر (استاندال) فى كتابه ان كلا من شكسبير وراسين كان رومانسيا فى عصره ، وذلك بالجديد الذى قدمه فى أعماله المسرحية ، وهو جديد كان يتفق ومزاج العصر ، الا ان راسين بقى أسير القيود الكلاسية ، هذا فى حين أن شكسبير حطم هذه القيود وقدم النماذج التى يسير عليها المسرح الحديث وقد تطور .

٤ ـ من أكبر الكتاب الفرنسيين فى الاجتماع (١٧١٢ ـ ١٧٧٨) .

والذى لا شك فيه أن الذى زاد من فاعلية هذه الدقات ، ان الجمهور كان مهيئا لاستقبال كل حديث ، بعد أن الف التغير المتتابع فى شئون السياسة وفى انظمة الحكم (١) .

والذى لا شك فيه أيضا ، ان الحالة السيئة التى كان عليها المسرح الفرنسى ، من حيث هزال مسرحياته ، جعلته يفتح ذراعيه مرحبا بما عسى أن تجىء به هذه الحركة الصاعدة .

الحدث الكبير

وخرجت (المقدمة) .. على قلم (فيكتور هوجو) كما سبقت الاشارة ..

وهى مقدمة مسرحية (كرومويل) تجمع فى بحث دقيق وشامل أشتات الآراء ووجهات النظر فى هذه الحركة لتستخلص القيم والاوضاع لهذه (الرومانسية) ولتقيم نظريات يرتكز عليها هذا المسرح الصاعد .

بهذه المقدمة أصبحت (الرومانسية) مذهبا واضح المعالم ، ومدرسة ذات تعاليم لتدخل تاريخ الادب الفرنسى خاصة من الباب الكبير .

وماذا جاء فى هذه المقدمة ؟

أعتقد أن بعضا مما ورد فيها ، قد أجريت ذكره فيما تضمنته وأنا أعرف بالمؤلف وبالمسرحية الا أنه جاء خطفا وعبرا ، وللاحاطة السريعة التى كان يقتضيها المقام . ولهذا لابد من رجعة الى ذلك .

لنفصل اذن ما أوردناه اجمالا ، من غير أن نتجاوز النطاق المحسوب لهذه المقدمة مؤكدين خصائص هذه الرومانسية وملامحها فى كتابة المسرحية .

الجمع بين النقائض

ان كلاسية القرن السابع عشر ، قضت بأن تكون المسرحية ، اما للمأساة والحزن واما للفكاهة والضحك خالصا ، وبأنه لا يجوز الخلط بين هذين الامرين واجتماعهما فى وعاء واحد .

ويرى (هوجو) ان فى هذا القيد اعتسافا وتحكما وخروجا على مظاهر الطبيعة والواقع بل ان هذا القيد يتنافى مع ماركبته الفطرة فى الانسان نفسه ، الانسان الذى يؤلف المادة الاولى فى المسرحية .

فالانسان ، كما هو محسوس ، وملموس ، ومنصوص عليه فى العقائدالسماوية، جسم وروح أى هو مادة تفنى وعنصر لا يفنى !!

---

١ ــ سبق أن ذكرنا ان هذا القرن التاسع عشر شاهد ألوانا من انظمة الحكم من ملكية مطلقة ، الى أخرى دستورية ، الى نظام امبراطورى ، الى جمهورية !!

وفى ناحية من الانسان تحكم الغرائز السفلى والشهوات والجنس ، وفى ناحيه أخرى منه نراه يحلق فى أجواء من الرفعة والسمو الخلقى !!

هذا الانسان يبدو ، وكأنه يعيش بقدميه المغروزتين فى الطين ، وبرأسه المرتفع يطالع به وجه السماء ، فهو السمو والتسفل ، وهو الرفعة والانحطاط ، فى وقت واحد !!

بل ان الانسان فى قالبه الشكلى يجمع بين الجمال والقبح ....

فالانسان والحالة هذه ، يتشكل من عناصر دائمة التناقض دائمة المعارك ، ويبدو وكأنه مركب من عدة أشخاص يختلفون طبعا ومزاجا ، فالخلاف بينهم وسوء التفاهم لا ينتهى !!

وأعجب مما تقدم ، أنه من خلال اصطراع هذه المتناقضات وتعاركها ، يتشكل عنصر الانسان ، وهو الانسانية ، وتتألف التمثيلية الخالدة التى تتخذ من الانسان نفسه مسرحا له !!

واذا انتقلنا الى الطبيعة التى تحيط بنا ، وجدنا أن التناقض فيها يؤلف أحد قوانينها الاولى ، فهو قائم فيها على قدم وساق ، بحيث أن لكل شىء فيها ضدا ونقيضا .

فالنور ، والجمال ، والدفء ، والسرعة يقابلها الظلام والقبح ، والبرودة والبطء ... والامثلة كثيرة ..

فانتفاء عنصر التناقض فيما تتضمنه المسرحية ، انما هو خيانة لما تجرى به الحياة ، وخروج بالمسرحية على الصدق الواقعى الذى هو أساس أولى فى التأثير على الجمهور .

وبعبارة أخرى ، ان الجمع بين النقائض فى كيان المسرحيه هو السبيل لآن تشق طريقها الى أن تصبح مرآة للواقع وصورة منه (١) .

الدراما الرومانسية

وارتسمت الملامح الأولى للمسرحية الرومانسية وقد أطلق عليها (هوجو) اسم (الدراما الرومانسية) تمييزا لها عن نوع المأساة التى تنصب كل حوادثها فى قالب محزن ، قلما يضىء به شعاع من فكاهة .

---

١ ــ المذهب الواقعى Rèolisme الذى خلف الرومانسية انما هو فرع منها ، وحنية من حناياها ، ولكنها اكتسبت صفات جديدة بحكم التطور الزمنى وبالخضوع لمقتضيات روح العصر ، وبعد أن تخلت عما فى الرومانسية من ميل شديد الى اعلاء الجمال ، والاخذ بالتجميل ، والاغراق فى الوشى والزخرفة .

واستعمال كلمة (دراما) (١) يجرى فى هذا الصدد كاسم نوع للمسرحية ، وقد سبق (لشكسبير) أن أطلق هذا الاسم على مسرحياته الجدية (٢) .

ويكاد الآن تتبلور أرض لتعريف أولى لماهية (الدراما الرومانسيه) وذلك فى ضوء ما أوردناه ، وهو قليل من كثير سنورده ، ويتلخص هذا التعريف فى أن هذه الرومانسية انما هى فى تركيبها مزيج من أكثر ما أخذ به الانجليزى (شكسبير) فى صياغة المسرحية ، الى جانب ما جرى عليه الألمانى (شيلر) وهذا المزيج يصطفق فى وعاء تجمعت به خصائص المسرحية (الميلودرامية) التى قامت فى المسرح الفرنسى فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر ، وهى المسرحية التى تؤثر على الجمهور بمفاجآتها الكثيرة ومواقفها الحادة المفتعلة ، وبنهايتها المفجعة .

ملامح أخرى

الا أن هناك ملامح أخرى ذات أهمية...وبها تستكمل هذه (الدراما الرومانسية) صورتها مضمونا وقالبا ، وتزداد بهذه الملامح اختلافا عن المسرحية الكلاسيه .

ان الرومانسية ، وهى حماس متدفق فى الوجدان بفعل الارتماء فى أحضان الطبيعة ، تميل الى تغليب الانفعال على خطرات الذهن فى وضوحها واتزانها ، بأن تجعل للعاطفة الكلمة العليا فى (الفعل) بالمسرحية ، وفى سلوك شخوصها بدعوى أن القلب أصل ، وأن الذهن فرع ، هذا وفى القلب تكمن الغرائز التى هى صاحبه كلمة عليا فى سلوكنا .

وان الرومانسية تركبها نزعة تحررية من شأنها أن تجعل التعبير ينطلق حرًا لا بتقليد صيغ موضوعه ، وقوالب مصنوعة . ان الطبيعة ، وهى مصدر الالهام

---

١ — المعنى الأصيل فى كلمة (دراما) Drama انه يفيد (الفعل) Action فيما تتناوله ، فهى تؤلف فيه عنصر النضال والمناقرة ، لأنها مشتقة من الكلمة اليونانية Dromices التى تفيد هذا المعنى ، ومن أجل هذا ، أطلقوا هذه الكلمة وصفا للشعر الذى خرجت منه المسرحية أول ما خرجت ، وهو (الشعر الدرامى) بحكم أن المسرحية تقوم فى عنصرها الأول على (النضال) القائم بين شخوصها لاختلافهم فى الخلق وفى وجهات النظر الى ما يجرى به موضوع المسرحية وباعتبار أن المسرحية حركة وفعل وليست سردا مسطحا ووصفا .

٢ — وقبل شكسبير أطلقوا (الدراما الدينية) Dromo Lituegrgue على المسرحيات التى كان يقدمها (المسرح الدينى) فى القرون الوسطى باوروبا . بل أن لهذه الكلمة مدلولا آخر فى المسرح الاغريقى ، اذ هى تحدد نوعا من المسرحية ، كان يقف الى جانب المأساة والفكاهة وهو نوع (الدراما الساتيرية) وهى مسرحيات تجمع من أخلاط من الحزن والفكاهة .

لا تفرض علينا قوالب وأشكالا حينما نستقى منها .. وان الطبيعة فطرتنا ولكل منا قالبه ومزاجه !!

ان الرومانسية لا تقبل (الانقيادية) وتأبى السير فى الطريق المضروب .

فالرومانسية بهذا تعلى شأن (الذاتية) فى الانتاج الادبى الفنى ، واعلاء الذاتية ينقلب الى لون من (عبادة الفرد) .

والرومانسية تجعل للمخيلة — وهى مثل الذهن والاحساس من ملكات النفس ومن قدرات الخلق الفني — المقام الأول فى تناول موضوع المسرحية وفى معالجته ، ثم فى تحليل شخوصه ، والخيال — وهو ابن المخيلة — خداع تتملص من قبضة المنطق ، ما لم يقم عليه من جانب الذهن حارس يقظ يكبح جماحه . ولهذا فكثيرا ما يقع أن يجىء سلوك شخوص المسرحية ، وهم يدورون فى حوادثها ، على وجه يعوزه المنطق السليم وسلامة الادراك ، وان كان لا يعوزه البهاء ، ووسامة الطلعة .

والرومانسية تستقى مواضيعها من التاريخ الأوروبى ، فى العصرين الوسيط والحديث ، وليس من التاريخ القديم ولا من الالياذة والأوديسة ، ومنابع الأدب اللاتينى . وبهذا تجىء مسرحياتها تجمع ألوانا من الصبغة الاقليمية والمحلية .

والرومانسية تنزع نزعة جمالية فى رسم الواقع لأنها تتوخى دائما الابتكار وتسعى اليه ، والابتكار يخلق الجمال ، بل هى تغلو فى التجميل وفيما يصاحبه من وشى وزخرفة ، ولعل السبب اللاشعورى ، هو ما يحمله الأدب الكلاسى من أسباب الجهامة ولا نقول القبح !!

والرومانسية فى معالجة الموضوع تحرص على أن تجعل أحداثه تجرى فوق المسرح (فعلا) وفى مناقرة ، أى فى أخذ ورد ، وليس حكيا يسرده بعض شخوص فى المسرحية اقحموا اقحاما عليها لأجل هذه الغاية .

والرومانسية ، فى موقفها من (الوحدات الثلاث) تضرب بوحدتى الزمان والمكان عرض الحائط ولا تبقى الا على (وحدة الموضوع) .

ان كلاسية القرن السابع عشر (١) كانت تحكمها نزعة قوية الى الاستقرار الدائم .

وقد تأتى من الأخذ بوحدة المكان أن المسرحية الكلاسية لم تكن تعنى به بالمناظر المسرحية وبمهماتها ، بحكم أنها تجرى فى منظر واحد ، فجاءت المسرحية الرومانسية على نقيض هذا ، أى جاءت مليئة بالحركة ، غنية بالاستعراض ، وبما يثرى متعة النظر .

---

١ — الكلاسية القديمة لدى الاغريق والرومان ، لم تلزم الكتاب بالأخذ بوحدتى الزمان والمكان . أن هذا الالزام من صنع كلاسية القرن السابع عشر التى أرسى قيودها وقوالبها الشاعر (بوالو) كما هو معلوم .

والشعر ، وبه يجرى حوار الدراما الرومانسية ، جاء سلسا وعلى مرونة واسعة المدى ، بحيث يستطيع الشاعر أن يتنقل بسهولة بين المواقف التى تختلف طبيعة ومعنى ، وأن يجرى فيها حرا بعد أن أصبح غير مقيد بنظام (المقاطع) (١) الكلاسية التى كانت تعوق الشاعر عن الانطلاق فى التعبير .

هذا والحوار يكشف فى الوقت نفسه عن كلمات واستعارات حديثة لم تكن معروفة لدى القدامى ، أو هى على الأقل لم تكن تجرى على أقلامهم .

الرومانسية فى عنفوانها

ولم تشمل الرومانسية الشعر وكتابه القصة وغيرهما من ألوان الادب فحسب بل امتدت الى فنون التشكيل (٢) ، والى الموسيقى ، والى النقد الادبى ، والى المصنفات التاريخية .. ألخ .

وليس هذا بالأمر المستغرب ، لأن الرومانسية مذهب ، ومزاج عام ، وأسلوب فى التعبير قضت به روح العصر الذى يضع بصماته على كل ما يقع عليه الحس .

هذا ومن الملحوظ أن الأسلوب الرومانسى نفسه قد يختلف فى منواله ــ وليس فى جوهره طبعا ــ باختلاف أصحابه ، بحكم أن لكل منهم طبعا يخالف طبع الآخر .

فالى جانب (فيكتور هوجو) من كتاب المسرحية والقصة يقف (لامارتين) بقصصه وتأملاته وشعره ، ثم (ألفريد دى فينى) بمسرحيته شاترتون و (ماريشال دانكر) . ثم (اسكندر دوماس الأب) بمسرحيتيه كين وفوضى العبقرية و الملك هنرى الثالث وبلاطه ثم بقصصه .

و (ألفريد دى موسيه) بمسرحيته لورانزاسيو ، وهو ليس الأخير من الكتاب الرومانسيين اذ أن هناك كتابا يؤلفون الصف الثانى والثالث .

ولكل من هؤلاء فى انتاجه الأدبى ، ما يميزه عن غيره .

الرومانسية مجازا

وتجاوز كلمة (الرومانسية) مدلوليها اللغوى والاصطلاحى ، تجاوزتهما الى

---

١ ــ هى أشطر البيت من الشعر .

٢ ــ ففى التصوير برزت أسماء (ديلاكروا) و (جيريكو) و (جرو) وبفرشاتهم استقبل فن التصوير مرحلة جديدة من حيث التكنية فى الانشاء وفى التلوين ، وفى مصادر الاستلهام . وفى الموسيقى اندفعت الالحان مجنحة فى سماء الخيال ، وهى تئن وتضحك فى انفعالات عنيفة ، وجاءت تلاحين أوبرا (لعنة فوست) للموسيقار (برليوز) انموذجا للموسيقى الرومانسية ، وفى النقد الأدبى والفنى ، قدم (سانت بيف) ألوانا من وجهات نظر نقدية تحمل من الرومانسية تحررها وجرأتها ونزعتها الى التجديد . وصنف (ميشيليه) فى التاريخ متأثرا بهذه الرومانسية .

المدلول المجازى ، فصارت تعبر عن حالات خاصة فى التفكير ، وفى العواطف ، وفى السلوك ، وفى المظهر ، وفى أزياء الحياة وفى اللباس أيضا !!

وقد تختلف هذه الحالات من حيث النوع ، ولكنها لا تختلف من حيث ما تكون عليه من صفات ، ترجع كلها الى الجوهر واللباب الذى عليه هذه الرومانسية .

ونضرب على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر :

(فرومانسية التفكير) تعني نزعة فى التفكير تجنح الى التحليق فى أجواء الخيال وازدراء الواقع ....

(ورومانسية الحب) يقصد بها الحب وقد أصبح طاغيا وغلابا بعنف انفعالاته .. وقد يقصد بها الحب فى أخيلته الجميلة وفى دفء أحاسيسه ..

(ورومانسية) الأسلوب البياني ، أن يجري الأسلوب بحيث يعلى الزينة اللفظية والصور العاطفية على أي عنصر آخر .

والقائمة تطول .. والكلام لا يفرغ عن هذه (الرومانسية)

وهناك من يذهب فى تقويم الرومانسية الى القول بأنها قضية من قضايا الانسان ، هى قضية التحرر والانطلاق واغفال ما هو قائم من الأوضاع ، حتى تستطيع النفس بما أوتيت من ملكات وقدرات أن تدق باب المجهول لنطالع الحقيقة الكامنة فى (اللاما وراء) .

وكأنى به يريد أن يقول أن الرومانسية ، هى التطور والارتقاء ، هى التجدد ، وهى الطموح الانسانى الذى لا يعرف الحدود .

٤ ـ الرومانسية فى الأدب وفى المسرح المصرى

جاءت الرومانسية الى الشرق العربى ضمن الوافدات القادمة من أوروبا ، وهى تيارات تحمل جديدا فى أساليب التفكير ، وفى الذوق ، وفى السلوك وفى أزياء الثياب، والموضوعات العامة .

وجاءت فى أواسط القرن الماضى ، وكان الشرق العربى عامة ، ومصر خاصة ، متعطشة الى ما يحمل جديدا يعمل على تطوير ما كانت آخذة بأسبابه ، من حيث احياء التراث العربى ومراجعته . فسرعان ما شملت هذه الرومانسية الوجود العربى فى انتاجه الأدبى والمسرحى أولا ، بعد أن نسجت تأثيرها على الحياة العربية نفسها ، بحيث أصبحت تؤلف خلفية لهذا الانتاج .

اكتسبت الرومانسية ، فى أول الأمر ، أرضا الى جانب حركة احياء القديم من الأدب العربى ، ثم أخذت بعد ذلك تنازع هذه الكلاسية العربية وتدفعها من وعى الجمهور وتعلى للشعر الرومانسى ، خاصة ، أعلاما ورايات .

فى الشعر العربي

وسبق الى هذه الرومانسية ، الأولون من الأدباء ، سبقا غير محسوب ، ثم توارد عليها شعراء المهجر الامريكى (١) فى العقد الاول من هذا القرن ، وفى نفس الوقت برزت خصائص هذه الرومانسية فى الشعر العربى المصرى . على اقلام شعراء (الديوان) (٢) .

وصاحبت هذه الحركة فيوض من المترجمات (٣) عن الأدب الرومانسى بفرنسا وانجلترا وألمانيا خاصة ، تقدم نماذج من هذا الأدب ، وتدعو الى فرض خصائصه على الأدب العربى الصاعد .

وبلغ الشعر الرومانسى فى الأدب العربى حدا بعيدا من النضج فى أوائل الثلاثينات .

وصدرت مجلة (أبولو) (٤) تفيض بآراء جريئة تستهدف تطوير الشعر العربى فى ظل هذه الرومانسية ، وتنادى بقيام (الشعر الحر) الطليق من القافيه ، وهو الشعر الذى كتب به شكسبير مسرحياته .

واتخذ القدامى ، وهم الكلاسيون ، موقف العداء من هؤلاء المحدثين ، وقامت معارك قلمية ــ ما برحت لها اصداء حتى الآن فى أذهان الناس .

فى القصة والصحافة

واخذت القصة المصرية الناشئة سَمْتَ هذه الرومانسية، وتركت تلك الكلاسية التى اصدرت من قوالبها قصصا كثيرة ، لعل أشهرها ، قصة (حديث عيسى بن

---

١ ــ فى مقدمتهم أمين الريحانى ، وجبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وكلهم من الشام .

٢ ــ وهم ابراهيم المازنى ، وعبد الرحمن شكرى ، وعباس محمود العقاد وكانوا أصدروا ، الى جانب انتاجهم فى الشعر ، دوريات نقدية أطلقوا عليها اسم (الديوان) هاجموا فيها الشعراء الكلاسيين المعاصرين.، وفى مقدمتهم الشاعر (أحمد شوقى) .

٣ ــ ترجم (محمود السباعى) الكثير من شعر (لورد بيرون) خاصة وهو الشاعر الانجليزى الذى كان معاصرا (لهيجو) كما ــ ترجم (محمد كامل حجاج) ألوانا من الشعر الرومانسى كما جاء على يراعة (هيجو) وزملائه فى فرنسا ، وكما جاء من الشعراء الرومانسيين فى المانيا وايطاليا وظهرت هذه المجموعة فى كتاب يحمل عنوان (بلاغة الغرب) فى العشرينات من هذا القرن .

٤ ــ أصدرها الدكتور الشاعر (زكى أبو شادى) عام ١٩٣٢ تتضمن نماذج من شعر شباب ثائر على الكلاسية ، نذكر منهم أبو شادى نفسه ، والصيرفى وعلي محمود طه ، وابراهيم ناجى ، ثم أبو القاسم الشابى من تونس .

هشام) للمويلحى ، و (ليالى سطيح) للشاعر الكلاسى ، حافظ ابراهيم .

وفى أوائل الحرب العظمى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) جاء أول عطاء للرومانسية فى القصة المصرية على قلم الدكتور (محمد حسين هيكل) بقصته الطويلة (زينب) وعلى قلم (محمد تيمور) في قصصه (ماتراه العيون) ويجىء عطاء بعد عطاء وكل منه يشق أفقا جديدا للقصة وذلك فى المضمون الثائر على التقاليد والمواضعات ، وفى الأسلوب البيانى الذى ترك السجع ، وأزرى بالمحسنات البيانية .

وقبيل هذه الحرب أصدر (أحمد لطفى السيد) صحيفة (الجريدة) مكتوبة بأسلوب بيانى سهل مشبوب الوجدان يحمل مضمونه من الرومانسية كل جراتها وتحررها فى تحطيم الأوضاع الاجتماعية فنادى بسفور المرأة العربية وبتحررها ، ودعا الى احياء (الصبغة المحلية) المصرية فى جميع قطاعات الحياة .

الرومانسية فى المسرح

ولعل هذه الرومانسية الوافدة وجدت فى المسرح العربى أخصب مجالاتها .

كان المسرح العربى المصرى فى أواخر القرن الماضى يكابد حالة مفزعة من الجمود ومن الكساد ، بعد الموجة الأولى التى جاء بها (الثلاثة الكبار) (١) من رواد المسرح العربى ، جمود فى كتابة المسرحية بعد أن استنفدت وسائلها فى الاقتباس عن المسرحيات الأوروبية ، وكلها من المسرح الكلاسى فى القرن السابع عشر (٢) ثم كساد فى اقبال الجمهور على حفلات التمثيل ، مأتاه السأم من مشاهدة مسرحيات تصدر كلها من قالب واحد ، وتغلب عليها نزعة الى الوعظ والارشاد ، والى تمجيد العقل والتعقل والحفاظ والتحفظ ، هذا والرجال يقومون بأدوار النساء فوق المسرح !!

هذا والحياة المصرية تهزها هزا عنيفا يقظة قومية مأتاها الثورة العمرانية (١٨٨٢) وما خلفته وراءها من يقظة تتطلع الى حال غير الحال القائمة .

وبهذا كان المسرح المصرى مهيئا كل التهيؤ لاستقبال ما يدخل عليه جديدا من شأنه أن يدفع بالماء الراكد فيه الى الجريان .

---

١ ــ وهم مارون النقاش ، وهو أول من قدم مسرحية باللسان العربى ، هى (البخيل) عام ١٨٤٨ فى بيروت ، واليه ترجع المبادرة الأولى فى اقامة مسرح عربى ، ثم (يعقوب بن صنوع) وشهرته ابو نظارة ، واليه يرجع أمر انشاء أول فرقة مصرية تقدم مسرحيات ذات صبغة محلية مصرية ويجرى حوارها بالعامية (١٨٧٠) ثم (أبو خليل القبانى) الذى يعتبر الأب الشرعى للمسرحية التاريخية العربية .

٢ ــ الأكثرية الغالبة من هذه المسرحيات مقتبسة من موليير ، وكورنى وراسين .

هرناني ـ حمدان

كان أول عطاء رومانسي فى المسرح المصرى هو (هرنانى) ولكن بعد ان أجرى تعريبها الشيخ نجيب الحداد واطلق عليها اسم (حمدان) (١) وأجرى حوادثها فى الأندلس ، وهى أسبانيا الاسلامية .

ولاقت هذه المسرحية المصرية نجاحا كبـــيرا فكان أن اجـــرى نفس الكاتب تعريب (٢) مسرحية (الغطاريف ....) وأسماها (ثارات العرب) وجعل حوادثها تجرى بالجاهلية ، وفى شمال الجزيرة العربية ، حيث تتاخم الأرض العربية مقاطعات بيزنطية .

وتتابعت جهود هذا الكاتب فى تقديم مسرحيات أخرى (لهوجو) أجرى ترجمتها ، ولم يعرب واحدة منها ، وهى مسرحيات (مارى تيودور) و (ليكريس بورجيا) و (أنجليلو) .

وواضح أن مسرحيات (هوجو) نالت اعجاب الجمهور ، بدليل أن المسرحيات التى لم يتناولها قلم (نجيب الحداد) قد ترجمت بعد ذلـك ، وهى مسرحيات **ماريون دى لورم** و **الملك يلهو** و **روى بلاس** ، وذلـك فى العشرينـات مـن هـذا القرن وقدمتها الفرق المصرية (٣) كمـا ترجم **هرنانى** الشـاعر خليـل مطـران فى الثلاثينات (٤) .

ولا شك فى أن ما تضمنته هذه المسرحيات من حركة نشطة فى تتابع الأحداث ، ومن حبكة قوية فيها ، مع ما يحيط بها من مواقف حادة ومفاجآت مؤثرة ، كل هذا يؤلف سببا له فاعلية فى اقبال الجمهور على هذه المسرحيات ، هذا الى جانب ما يتمشى فيها من نزعة تحررية ، ودفع الى التجدد والتطور ، وهو دفع كان الجمهور يستجيب اليه فى مختلف مظاهره .

وهناك مترجمات لمسرحيات رومانسية لكتاب آخرين . ولعل أهم هذه المترجمات هى **شاترتون** لافريد دى فينى ، **وكين أو فوضى العبقرية** **لدوماس** الأب ..

---

١ ـ أخذ هذا الاسم مكان اسم (هرنانى) .

٢ ـ التعريب ، هو أن يضفى المترجم على المسرحية مسحة عربية واضحة تشمل أماكن وقوعها ، وحوادثها ، وشخوصها بحيث تبدو كأنها (عربية) والتعريب لون من الاقتباس تسوده الصبغة المحلية العربية .

٣ ـ لا أعرف أن فرقة من المحترفين أو الهواة قدمت مسرحية (كروموبل) والأسباب معروفة وقد أحطت بها فى تقديم مسرحيتنا هذه (هرنانى) .

٤ ـ ترجمها الشاعر الكبير بتكليف من رواد وزارة التربية بناء على اقتراح لمعهد التمثيـل الحكومى التابع لها ، بترجمة بعض روائع المسرحيات العالمية ترجمة نموذجية فى عام ١٩٣١ .

وهناك مترجمات لمسرحيات الصف الثانى والثالث من الكتاب الرومانسيين فى فرنسا وفى ايطاليا خاصة ، نظرا الى تقارب المزاج اللاتينى من المزاج العربى ....

ثم مترجمات مآسى وفكاهيات (وليم شكسبير) الذى يصح أن نعتبره الرائد الأسبق للرومانسية المسرحية ....

ويطول بنا المقام اذا أزمعنا أن نتقصى آثار هذه الرومانسية فيما يقدمه المسرح العربى من مسرحياتها المترجمة ، وحسبنا أننا أحطنا بالأهم مما خرج منها فى القرن الماضى .

التأليف فى المسرح العربي

وكان أمرا طبيعيا أن تتأثر المحاولات الأولى فى التأليف المسرحى العربى بهذه النزعة الرومانسية . بل ان المسرحية الأصيلة التى تبلور لها كيان خلال الحرب العظمى وفيما بعدها نراها تستمد معينها من هذه الرومانسية ، من حيث الصياغة والمنوال .

والملحوظ أن أكثر الانتاج فى كتابة المسرحية عندنا حتى الآن ينزع نزعة رومانسية تختلف صراحة وخفاء ، هذا فى حين أن بعضه يتجه نحو الواقعية ، التى هى وجه من وجوه الرومانسية ، كما سبق أن أشرت ، وأقله يخضع لقيم المذاهب الأخرى من رمزية وتأثرية الخ ..

الا أن الرومانسية القائمة الآن ـ ويطلقون عليها ، اسم

أصبحت تتسم بما يكون عليه السيل وقد ابتعد عن منحدره ، فهى التزام بأن نقصر همنا الأول على الجوهر والصميم فيما نتناوله ، وأن ننصرف عن الهيمان فى الجوانب، وأن نعلى الجوانب المادية . وقد قامت هذه النزعة بتأثير تغير المزاج العام تحت ضغط التقدم العلمى وامتلاء الوعى به ، ثم بتأثير عامل السرعة وسيطرة النزعات الماديـــة .

فن الممثل وفن المناظر المسرحية

وكان أمرا مقضيا أن يتأثر فن الممثل العربى .. باعتباره جزءا من كل ... من فنـــون المسرح .

ان النزعة الكلاسيـة التى كانت تضفى على أداء الممثلين طابع الاتزان ، والاعتدال فى اصدار الصوت والحركة ....

وان محاولة الممثل ، وهو يبتدع دوره أن يجرى على نمط أستاذه أو سلفه فيـــه .....

كل هذا أخلى مكانه لقيام نقائض له ..

انفعالات جامحة تحطم كل شكيمة لردها .. صرخات تعلو حتى الحشرجة ، بحلقة فى النظرات ، ودق على الصدر ... (ذاتية) مندفعة ، تنشد التحرر من كل شىء ، وتبغى تحقيق أبعد الغايات ، ولكن قبل أن تستكمل عناصر كيانها ومقومات قدراتها .. انها رومانسية مخمورة .

ثم جاءت فى أعقاب هذه الحالة الخشنة فى فن الأداء التمثيلى ، رومانسية مهذبة مصقولة تصدر عن مقاييس ، وتحاول أن تجعل للذهن دخلا فى ضبط قدراتها وتنسيقها على الرغم من انطلاقات الانفعالات المشبوبة التى كثيرا ما تتأنق فى اصدار الصوت ، بعد اختيار حاذق فى نبراته الندية المؤثرة ، وذلك على حساب ما تعبر عنه هذه النبرات الصوتية ، وهو شخصية الدور الذى يؤديه الممثل ..

ان النزعة الجمالية غلابة فى هذا اللون من الأداء ، وهى فى الأسلوب وليس فى المضمون .

وبهذا قامت (المدرسة الصوتية) فى الأداء التمثيلى بالمسرح العربى فى العشرينات ، وهى مدرسة ، كما ترى ، تعلى الأداء الصوتى والحركى ، على الخلق الفنى للدور ، أى هى مدرسة تعلى الأسلوب على المضمون ، مدرسة شعارات .

وعلى هذا النمط جاءت المناظر المسرحية ، والاضاءة والملابس ، فهى فى تصويرها ، وفى تنظيمها ، وفى تركيبها وخطوطها ، تنزع الى تجميل الواقع ، واقع المسرحية ، من غير أن يكون هناك داع .. يدعو الى الأخذ بكل هذا .. فهى تقدم اطارا يمتع العين ويسر الخاطر لاأكثر !!

وحينما تكون هذه المناظر للمسرحية التاريخية ، فان مصورها يفرط ، مع أخذه بالنزعة الجمالية ، فى احياء الصبغة المحلية والتاريخية بحيث تجىء هذه المناظر ، وكأنها صورة من الواقع التاريخى ..

الا أن كل هذا قد تطور بعد ذلك بفعل تغير المزاج العام والامتلاء بمفاهيم المسرح.

وهكذا يتضح أن الشعوب العربية تشد كثيرا على يدى هذه الرومانسية ، وذلك بحكم مزاجها المشبوب ، وبفعل ما يختلج به وجدانها من ميول قوية الى تحطيم القيود والى الخروج على القوالب القديمة .. انها شعوب تتطلع الى غد أفضل فى أنظمة الحكم ، وفى مواضعات الاجتماع ، ثم فى تقويم ذاتيتها بحيث تكون للفعل أكثر مما تكون للقول .

الكويت ١٩٧١/١٢/١٥

هرناني

تأليف : فيكتور هيجو
ترجمة وتقديم : زكي طليمات

العنوان الأصلي للمسرحية

VICTOR HUGO

HERNANI

drame

Classiques Larousse

شخصيات المســـرحية

* هرنانـــــى	Hernani
* دون كارلوس	Don Carlos
* دون روى جوميز	Don Ruy Gomez De Silva
* دونيا سول دى سيلفا	Dona Sol De Silva
* دوق بفاريــا	Le Duc De Baviere
* دوق جوتــا	Le Duc Gotha
* دوق لوتز لبورج	Le Duc De Lutzelbourg
* دون سانشــو	Don Sancho
* دون ماتياس	Don Matias
* دون ريكاردو	Don Ricardo
* دون جارسى سواريز	Don Garci Suarez
* دون فرانشيسكو	Don Francisco
* دون جوان دى هارو	Don Juan De Haro
* دون جيل تيلليز جيرون	Don Gil Tellez Giron
* المتآمر الأول	Premier Conjuré
* أحد رجال الجبل	Un Montagnard
* دونيا جوزيفا دورات	Dona Josefa Duarte
* احدى السيدات	Une Dame
* المؤتمرون	Conjares
جبليون ـ سادة ـ حاشية وصفاء	Montagnards, Seigneurs Soldats, Pages, Peuple

((زمن المسرحية ومكانها))

* اسبانيا عام ١٥١٩ .

* تجرى حوادث المسرحية ابتداء من شهر فبراير الى حلول فصل الصيف من العام نفسه .

* توفى الامبراطور ماكسميليان فى ١٥ يناير ١٥١٩ .

* وجرى انتخاب خلفه فى ٢٨ يونيو ١٥١٩ .

* وبهذا يمكننا أن نؤرخ على وجه التقريب ، فصول المسرحية على النحو الآتى :

الفصل الأول والثاني يجريان فى شهر فبراير .

الفصل الثالث فى شهر ابريل

الفصل الرابع فى شهر يونيو

الفصل الخامس فى شهر أغسطس .

الفصـــل الأولـــ

الملك — في مدينة سرقسطه

غرفة نوم . بالليل . مصباح على منضدة .

المشهد الأول

دونيا جوزيفا

دوارت : (امرأة عجوز ترتدى السواد وقد وشى ثوبها في قسمه الأعلى المحيط بالصدر بحجارة من الكهرمان الاسود تبعا للزى الذى كان للملكة ايزابيـــــلا الكاثوليكية .)

دونيا جوزيفا : (وهى تسدل الستائر القرمزية على النوافذ ثم تجرى تنظيم قطع من الأثاث . وتسمع طرقة على باب صغير قائم في الناحية اليمنى من المنظر . فتنصت دونيا جوزيفا ، ثم لا تلبث أن تسمع طرقة أخرى من نفس الناحية)

أيكون هو القادم ؟

(طرقة أخرى)

ان الطرق قادم من السلم الخفى

(طرقة رابعـــة)

لنسرع بفتح الباب

(يفتح الباب الصغير المختفي في الجدار. يدخل دون كارلوس وقد أخفى وجهه بوضع أحد أطراف عباءته فوق أنفه وأسدل أطراف قبعته على عينيه)

طاب يومك أيها الفارس الوسيم .

(توسع الطريق للقادم فيدخل ، ويزيح العباءة فاذا هو يبدو في حلة ثمينة من المخمل والحرير على الزى الشائع فيقشتالة عام ١٥١٩ . وتحدق دونيا جوزيفا في وجهه لتتراجع في دهشة)

ما هذا ! ! ألست السيد هرناني ؟ الغوث . . النجدة

دون كارلوس : (وقد أمسك بذراعها) كلمتان أكثر مما تكلمت أيتها الوصيفة ، وتصبحين في عداد الموتى .

(تحدق دونيا جوزيفا في وجه القادم وقد عقد الفزع لسانها)

ألست في حرم دونيا سول ، خطيبة دوق باسترانا الهرم ، عمها ، السيد الجليل الغيور ؟ أجيبي . . قولى ان الحسناء مدلهة في حب فارس لم ينبت بعد شاربه . . هى تستقبله كل مساء ولا تعبأ بعيون الوشاة والحساد . . تلقى هذا الفارس الوسيم الذى لم تستو له لحية بعد ،

من خلف لحيـــة الشيخ الهرم ، ولا تبالى بشيء .
ألست وثيق العلم فيما أقول ؟

(تلزم دونيـــا جوزيفا الصمت فيهزهـــا دون كارلوس من ذراعها)

أحسبك ستجيبين . .

دونيا جوزيفا : جعلت محظورا على أن أنطق بكلمتين

دون كارلوس : لهذا لا أطلب الا كلمة واحدة . . نعم ، أولا ؛ ان مولاتك هى دونيا سول دى سيلفا ؟ أجيبى

دونيا جوزيفا : نعم ، ولم ؟

دون كارلوس : لا شيء — والدوق خطيبها الهرم ، هل هو غائب الساعة ؟

دونيا جوزفا : نعـــم

دون كارلوس : هى اذن ترقب فتاها ؟

دونيا جوزفا : نعـــم

دون كارلوس : لى الويل ولهـــلاك !

دونيا جوزيفا : نعـــم

دون كارلوس : أيتها المربية . . اذن هنا ، في هذا المكان يكـــون اللقـــاء .

دونيا جوزيفا : نعـــم .

دون كارلوس : خبئيني في مكان ما ، هنا .

دونيا جوزيفا : انت ؟

دون كارلوس : أنا .

دونيا جوزيفا : ولمـــاذا ؟

دون كارلوس : لا لشيء .

دونيا جوزيفا : أنا أخبئك ؟

دون كارلوس : هنا .

دونيا جوزفا : لن يكون هذا .

دون كارلوس : (يخرج من حزامه خنجرا و كيس نقود) تنازلى يا سيدتى بالاختيار . . هذا الكيس ، أو هـــذا الخنجر ؟

دونيا جوزفا : (وهى تلتقط الكيس باحدى يديها) أنت الشيطان بعينيه .

دون كارلوس : نعم أنا هو يامربية .

دونيا جوزفا : (تفتح باب خزانة داخلة في الجدار) اختبئ هنا

دون كارلوس : (وهو يتفحص المخبأ) هذه العلبة ؟

دونيا جوزفا : اذن اخرج من هنا اذا لم ترد .

دون كارلوس : (وهو يعيد فتح باب المخبأ) بلى . (وهـــو يتفحص المخبأ مرة ثانية) أيكون هذا اصطبـــل جوادك كلما خبأت عصـــا [1] مكنستك وانت تتنقلين بها في الفضاء . . اساحرة ؟
(وهو يحشر نفسه داخل المخبأ) أوف ! !

دونيا جوزيفا : (وهى تفرك يديها كمن ستنكر الأمر الـــذى

---

١ — من الشائع فى عالم السحر والسحرة ، خرافة مفادها أن بعض الساحرات ينتقلن من مكان إلى آخر على الهواء وهم ركوب على عصا المكنسة .

تورطت فيه) رجل هنا يا للفضيحة ! !

دون كارلوس : (وقد استوى داخل المخبأ) أكانت مولاتك تنتظر قدوم امرأة ؟

دونيا جوزيفا : يا الهي . . اسمع وقع أقدام دونيا سول . سيدى أسرع وأغلق الباب

(وتدفع باب المخبأ فينغلق)

دون كارلوس : اذا بدرت منك ريبة يامربية ، فأنت مائتة .

دونيا جوزيفا : (منفردة) من الرجل ؟ يا الهى . . ألا أطلب النجدة ؟ ممن ؟

كلهم نيام أهل القصر فيما عداى وسيدتى . . أوه . . ولكن سيحضر الآخر صاحب الأمر فيما نحن فيه . . ومعه سيفه الطويل . احمنا يا الهى من عذاب النار . (وهى تزن كيس النقود بين يديها) ومع كل هذا . . فليس الرجل لصا . . (تدخل دونيا سول تختال في ثوب أبيض فتخبىء دونيا جوزيفا الكيس بين طيات ثيابها)

المشهد الثاني

دونيا جوزيفا — دون كارلوس « المختبئ » — دونيا سول
ثم هرماني

دونيا سول : جوزيفا . .

دونيا جوزيفا : سيدتى . .

دونيا سول : أخشى وقوع مكروه . كان يجب أن يكون هرناني

هنا الساعة !! (يسمع وقع أقدام من ناحية الباب الصغير)

هاهو ذا مقبل . . افتحى الباب قبل أن يدقه . . اسرعى ، هيا ، بادرى . .

(تفتح جوزيفا الباب الصغير ويدخل هرنانى ، هو فارس متدثر في عباءة فضفاضة وعلى رأسه قبعة كبيرة ، ويبدو تحت عباءته زى أهل الجبل مما هو شائع بين سكان أراجون ، له لون رمادى ، هـــذا وقدغطى الفارس صدره بدرع من الجلد وشد السيف والخنجر وبوقا من أبواق الصيـــد الى حزامه ، فتجرى نحوه دونيا سول)

هرنانى .

هرنـــانى : دونيا سول . . أخيرا أأنت أرى ؟ أهذا الصوت الذى أسمع هو صوتك ؟ لماذا تعمل الأقدار على أن تباعد ما بينى وبينك شد ما أنا في حاجة اليك لكى أنسى الآخرين !!

دونياسول : (وقد لمست ثيابه) يا الهى . . ان عباءتك تسبل ماء !! ان المطر شديد ولاشك ؟

هرنـــانى : لا أدرى .

دونيا سول : لابد انك تحس البرد

هرنـــانى : ما أهون أمره ! !

دونيا سول : اخلع هذه العباءة في الحال .

هرنـــانى : دونيا سول . . يا حبيبتى ومتيمتى . .نبئينى ، اذا ما أقبل الليل . ودب النوم في عينيك فاستسلمت اليه وغبت عن الوجود . يحف بك سكون وبراءة وطهر ، بعد أن باعد النوم ما بين شفتيك ، وقرب بأصبعه ما بين جفنيك ألا يهيب بك صوت مـن ملاك يقول : كم أنت مؤنسة وعذبة للبائس الذى هجره كل الناس ، فصار للوحدة والوحشة؟

دونيا سول : لم جئت متأخرا يا مولاى ؟ . . ولكن نبئنى ، أتشعر بالبرد ؟

هرنـــانى : أنا ؟ أنا أشتعل وأحترق حينما أكون قريبا منك . آه . . حينما تغتلى فى رؤسنا تباريح الحب والغيرة حينما تتورم قلوبنا بفعل ما يصطخب فيها مـــن أعاصير الجوى . . فما أيسر أمر سحابة يؤلفها الهواء لترسل فوق رؤوسنا — ونحن نعبر الطريق — بروقا ورعودا !!

دونيا سول : (وهى تخلع عنه عباءته) هيـــا أعطنى العباءة وناولنى السيف

هرنـــانى : (ويده على قبضة سيفه) إلا هذا ، هو صديقى الآخر الأمين الذى لايوارب .

دونيا سول ، خبرينى ، هـــل الدوق الهرم — عمك ، وزوجك المقبل — مازال متغيبا ؟

دونيا سول : نعم . . ان هذه الساعة لنا .

هرنــاني : هذه الساعة !! هذا كله ما نملكه ، ليس لنا الا هذه الساعة . نعم وبعدها ماذا يهم؟ ليس أمامنا الا أن ننسى هذه الحقيقة ، أو أن نموت .

أيها الملاك . الا إن ساعة الى جوارك . ساعـة واحـدة ، اتساوى في الحق الحيـاة كلها لمن يشتهيها ، ولا يهم أن يجيء الموت بعدها .

دونيا سول : هرناني .

هرنــاني : ما أشد فرحي أن يغادر الدوق القصر !! انني — كلص ينتفض فزعا وهو يقتحم أحد الأبواب — أدخل اليك ، وأمثل بين يديك لأستلب الشيخ ساعة من سحر لفظك وأنس نظرتك . انى بهذا جد سعيد ، بل جد محظوظ . واراني أهلا لأن يحسدني كل الناس ، اذ أستلب هذه الساعة ، ولو دفعت حياتي ثمنا لها

دونيا سول : تمالك نفسك (تسلم العباءة الى دونيا جوزيفا) اليك هذا المعطف فجففيه (تخرج جوزيفا وتجلس دونيا سول ، وتومئ الى هرناني أن يقترب منهـا) تعال الى جانبي

هرنــاني : (وكأن لم يصل سمعه ما تقول) اذن فالدوق قد بارح القصر ؟

دونيا سول : ما أجلك في نظرى

هرنــاني : هو غائب عن القصر . .

دونياسول : يا أحب الىّ من روحى ، لانشغل أنفسنا الآن بأمر الدوق .

هرنـــانى : بل يجب أن نشغل أنفسنا به ياسيدتى .
ان هذا الهرم يحبك ، وسيقترن بك ، فماذا بعد ذلك ؟ ثم ، ألم يخطف منك قبلة منذ يوم ؟فكيف تريدينى على ألا أفكر فيه ؟

دونيال سول : (وهى تضحك)أهذا ما يدفع بك الى هذا الضيق؟ ان قبلة العم فوق الجبين ، لأقرب ما تكون الى قبلة الوالد .

هرنـــانى : كلا انها قبلة محب . . قبلة زوج ، قبلة غيور . . ألا ترين انك ستصبحين ملكا له يا سيدتى ! ألا تفكرين في هذا ؟

ياللهرم المخرف !! ان رأسه يستند الى صدره وهو يقطع الطريق الى نهاية حياته . ومع ذلك فهو يؤمل ، ويعمل على أن تكون له امرأة ، بـــل هو يريد فتاة في مقتبل الصبا ليصبح زوجا لها !! فيا للشيخ السفيه المخبول !!

ألا يحس ، وهو يمسك يدك باحدى يديه ، ان الموت يشده من يده الأخرى ويضمه اليه ؟؟ ايه أيها الشيخ الذى يقترب من نهايته ، اذهب الى حفار القبور ليهيئ لك القبر الذى سيحتويـــك . ولكن من ذا الذى دبر أمر هذا الزواج ؟ في ظنى انهم أرغموك عليه ؟؟

دونيا سول : يقولون ان الملك هو من يريد هذا الزواج .

هرنـــانى : الملك ؟ الملك ! ! لقى أبى حتفه فوق منصةالأعدام بأمر من أبيه . وعلى الرغم من تقادم العهد وكر

الأيام بهذا الحادث المفجع ، فان حقدى على الملك الأب ، وعلى ابنه ، وعلى أرملته ، وأتباعه مابرح قائما ، وهو يتجدد كل يوم . وقد مات الملك فانتهى حسابه ، وقد حلفت منذ ان كنت طفلا على أن أخذ بثأر أبى من ابنه . . كارلوس يا ملك قشتالة ، انني في اثرك أينما توجهت فالحقد يتلظى ويتوهج بين أسرتينا منذ ثلاثين عاما قضاها الآباء في نضال واعتراك لايعرفون فيها الرحمة ولا الندم . ولما ذهب الآباء بقى الحقد في الأبناء وظلوا وقوفا في مواقف النضال يرفضون الصلح ولا يجنحون الى السلام . ان الحرب سجال بيننا . آه . . اذن أنت لاسواك ، من يرغب في تحقيق هذا الزواج الكريه ! ! حسن جدا . . كنت أجد في أثرك ، أبحث عنك ، فاذا بى ألقاك تعترض طريقى . .

دونيا سول : انك تملؤنى رعبا .

هرناني : نذرت نفسى لهذه المهمة ، أؤديها كما لو أننى أؤدى فرضا من فروض الله ، وهى مهمة تدفع بى الى أن اكون خارجا على المجتمع وتملؤنى رعبا . أصغ الىّ : ان الرجل الذى اختاروه لك ، على الرغم من اقتبال شبابك ، وهو (روى جوميز دى سيلفا) عمك ، ودوق باسترانا ــ غنىّ من أغنياء أراجون ، له المال الوفير ، والحسب الرفيع ، والجاه الواسع ، بحكم انه كونت قشتاله

وعظيمها ، فاذا فاته الشباب فلن يفوته ، أن يحمل اليك الذهب أيتها الشابة ، وأن يغطيك بالجوهر ، فيشرق جبينك بين الحياة الملكية . وفوق هذا ، فان ما ستبلغينه من مراتب المجد ، والغنى ، والرفعة على يديه ، وأنت دوقة ، سيجعلك محسودة من جانب الكثيرات من ربات التيجان .

هذا ما يقدر الدوق على أن يقدمه لك .

أما أنا . . فانى ابن العوز ، وربيب الفقر ، لم يكن لى ، منذ طفولتى ، غير الأحراش والغابات ، أذرعها حافي القدمين . وقد يكون لى بين مايخفيه صدأ الدمار ، شعار كريم ينبئ عن طيب عنصرى ورفعة أرومتى وقد تتكشف لى فيما هو مخفى خلف الظلال ، وبين ثنيات الدثار الذى يغطى منصة الاعدام ، حقوق تبرز الى النور مع خروج هذا السيف من غمده ، اذا لم يخدعنى الأمل ويعينى الصبر .

وفي انتظار هذا ، فان السماء الضنينة بالعطاء لم تمنحنى غير الهواء والضياء والماء ، منح لاتضن بها على كل الناس .

فلا مناص لك عن أن تتخلصى من الدوق أو منى فاختارى بيننا . تتزوجين بالدوق أو تلحقين بى؟

دونيا سول : أتبعك . . .

هرنـــانى : وسط رفاق غلاظ القلوب خشنين ؟ رفاق هـــم

طلبة الجلاد الذى يعرف أسماءهم من قبـــل .
جماعة لم يرق لهم قلب ، ولم يستقر لهم سلاح في غمد . ولم يسلس لهم قياد ، اذ يحملون ثارات لا تنتهى .

تحضرين لتتولى القيادة في عصابتى — كمـــــا سيجرى القول وتتناقله الأفواه ؟

يبدو انك لا تعرفين . اعلمى أننى قاطع طريق ، وحينما ينطلق الجميع في إثرى ، بأمر من جميع السلطات في أنحاء اسبانيا ، يلاحقوننى للقبض على فلن يعصمنى منهم الا تلك الغابات الكثيفة والجبال الشامخة الذرى ، والصخور التى لا تطل منها غير رؤوس العقبان . . أرض قطلونية العتيقة ، الأم الرؤوم التى تلقتنى ونشأتنى . بين أهل الجبـــال درجت وكبرت ، وكلهم أحرار ، شامخون في فقرهم ، وكلهم أهل نجدة ، فاذا حمل هـــذا البوق صوتى مستنجدا بهم ومدويا بأصدائه بين ربوعهم ، فان ثلاثة آلاف من هؤلاء الشجعان يلبون ندائى ويهبون لنجدتى . .

أراك ترتعدين . . فكرى مرة أخرى ، وأمعنى النظر ! !

تلحقين بى في الغابات ، والجبال ، والشواطـــئ المهجورة ، وفي صحبة رجال يشبهون العفاريت التى تروعك رؤيتهم في الأحلام . .
تحذرين من كل شيء ، وتتوجسين . .

من النظرات ، من الأصوات . من وقع الخطا ،
وتفزعين من الضجيج .
مرقدك العشب ، ومشربك مياه السيول ، وفي
هدأة الليل وأنت ترضعين طفلا أيقظه الجوع .
يخرق سمعك أزيز رصاص البنادق . .
تنطلقين على وجهك معى ، منفية ، يتعقبـــــك
القانون ، ويطاردك رجال الأمن ، وقد يحدث أن
تجدى نفسك مسوقة الى أن تتبعينى الى حيث أمضى
في اثر أبي ، الى منصة الاعدام ؟ ؟

دونيا سول : ألحق بك وأمضى معك

هــــرنانى : الدوق ثرى ، عظيم المقام ، ويحوطـــه الخشب
والازدهاء ، والدوق ليس في عنقه عهد قطعه
بأن يثأر لأبيه، والدوق في وسعه أن يفعل كل
ماتشائين ، والدوق ، فوق ما تقدم ، سيمنحك
مع الزواج غنى المال ، ورفاعة الألقاب ،ورغادة
العيش . .

دونيا سول : نسير غدا جنبا إلى جنب .
هرنانى لا تلمنى على هذه الجرأة العجيبـــة ! !
أأنت شيطانى ، أم ملاكى الحارس ؟ ؟ لست
أدرى ! !
ولكننى أسيرتك وعبدتك ،
أصغ إلى . .
انى أتبعك إلى حيث تريـــد ، تمكث أو تسير

فـــانى رهن اشارتك . .
ولماذا أتصرف على هذا الوجه ؟ لا أدرى ! !
ولكننى أدرى أننى فى حاجة إلى أن أراك ، وإلى أن أراك ثانية ، بل أن أراك دائما ، وحينمـــا يتلاشى وقع أقدامك وأنت منصرف ، أحس أن قلبى لم يعد ينبض ، وتهتاجنى وحشة اليـــك ، إذ أشعر بفقدك ، فأصبح وكأنى غائبة عن نفسى .
ولكن ما أن يطرق أذنى من جديد وقع أقدامك الـــذى يطـــربنى سماعه ، حينئـــذ أذكر أننى أعيش ، وأن الروح ترد إلىّ من جديد ! !

هرنـــانى : ياملاكى . . .

دونيا سول : غدا اذا انتصف الليل ، تعال فى عصبتك تحت نافذتى . . هيا . . سترانى ذات بأس وقـــوة . ولا أرهب شيئا . ستدق ثلاث دقات ايـــذانا بمجيئك .

هرنـــانى : الآن عرفت من أنا ؟

دونيا سول : مولاى ، لم يعد يهمنى هذا الأمر ، سألحـــق بك جنبا إلى جنب .

هرنـــانى : لا . . بما أنك تريدين اللحاق بى فى كل مـــكان أيتها المرأة المسكينة ، فيجب أن تعلمى كـــل العلم ، الاسم ، والطبقة ، والروح الذى ينطوى عليه كيان الراعى هرنانى ، وأن تعرفى المصير الذى سيؤول اليه أمرك . .
قبلت بى قاطع طريق ، أتقبلیننى منفيا مطاردا ؟

دون كارلوس : (يفتح في جلبة باب الخزانة) متى تنتهى مـــن حكى قصتك ؟

أو تظن أن المحبوس في هذه الخزانة يكون في راحة ودعة ؟

(يتراجع هرنانى خطوة وقد لبسته دهشة أذهلته ، وتصدر دونيا سول صرخة فزع ، مرتمية بين ذراعى هرنانى وقد سمرت عيناها المذعورتان في وجه دون كارلوس).

هرنـــانى : (ويده على مقبض سيفه) من يكون الرجل ؟

دونيا سول : يااالهى . . النجدة

هرنـــانى : صمتا يادونيا سول ، ولا توقظى عيون الحساد ، حينما أكون إلى جانبك فأرجو ألا تطلبى العون من غيرى ، مهما يحدث .

(إلى دون كارلوس)

ماذا كنت تصنع هناك ؟

دون كارلوس : أنا ؟ واضح انى لم أكن أستعرض جـــوادى في الغابة ،

هرنـــانى : ان من يسخر باهانـــة غيره ، يكون أهلا لأن يسخر منه .

دون كارلوس : لكل منا دوره . . لنتكلم بصراحة ياسيـــدى ، أنت تحب هذه السيدة ، وفي كل مساء تسعى أنت إلى هنـــا ليتراءى كل منكمـــا في نظرات

صاحبه فتلتقى هذه النظرات من جانبكما في شبه عناق . .
أمر جميل للغاية ، ولا اعتراض لى عليه . .
الا أنني بدورى أهيم حبا بهذه السيدة . . كما أريد أن أعرف من الرجل الذى ألمحه مرارا ، وهو يدخل عليها من النافذة ، بينما أبقى أنا واقفا على الباب ؟

هرناني : اعلاء لقدرك أيها السيد ، سأجعلك الآن تخرج من حيث كنت ترانى ادخل .

دون كارلوس : سنرى . . غير أنني أقدم مشروعا إلى السيدة . . أن تجعلنا نتقاسم حبها ، نحن الاثنان . . ألا توافق ؟ انني أحبها ، وقد رأيت أن روحها الطيب يتفجر عن فيوض من الحب والطيبة والرقة ، مما يجعل السيدة أهلا لأن ترضى . وفي هذا المساء ، وقد نويت أن أحقق هذا المشروع بعد عرضه عليها ، فاقتحمت الطريق إلى هنا ، فإذا هم يحسبونني أنت ، وتواريت مرهفا أذنى إلى الاستماع ، ولكنني — ولا أنكرك القول . . لم أستطع أن أسمع جيدا ما يجرى هنا ، وكادت أنفاسى تزهق لضيق المكان ، ورأيت أن ثوبى الفرنسي قد تجعد وفقد استواءه وبهاءه ، فلم أجد بدا من الخروج .

هرناني : وخنجرى أيضا تضيق أنفاسه بالبقاء في غمده . .

دون كارلوس : (محييا) أنا عند ما يروقك

هرنـــانى : (وهو يمتشق حسامه) خذ حذرك

(دون كارلوس يمتشق حسامه بدوره)

دونيا سول : (وهى ترتمى بين السيفين المشرعين) هرنانى . . أتوسل اليك

دون كارلوس : تمالكى نفسك ياسيدتى

هرنـــانى : ما اسمك ؟

دون كارلوس : هيه ! ! بل قل لى أنت ما اسمك ؟

هرنـــانى : أبقيه سرا لا أبوح بـــه الا لشخص واحـــد ، وسيسمعه وأنا جاثم فوق صدره وقـــد اخترق خنجرى قلبه

دون كارلوس : إذن ما اسم هذا الشخص الآخر ؟

هرنـــانى : وما يعنيك من شأنه ؟ خذ حذرك ودافع عـــن نفسك .

(يتلاقي السيفان ، دونيا سول تقع وهى ترتعد فوق تكأة ، وفجأة يسمع طرق على الباب الكبير القائم في مؤخرة المنظر)

دونيا سول : هناك من يطرق الباب . . يا الهى ! !

(يمسك المتبارزان عن الحركة وتبدو دونيـــا جوزيفا داخلة من الباب الصغير وقد تملكهـــا الفزع الشديد)

هرنـــانى : (الى جوزيفا) من عسى أن يكون هذا الطارق؟

دونيا جوزيفا : (الى دونيا سول) شخص لم يكن منتظرا مجيئه ياسيدتى ، انه الدوق ، وقد عاد على غير انتظار.

دونيا سول : (وهى تمسك يدا بالأخرى) . . الدوق ؟ ضاع كل شيء . . ويالتعاستى !

دونيا جوزيفا : يا للمسيح ! ! الرجل المجهول ! ! سيوف ومبارزة . مفاجآت لم تكن تخطر لى ببال ! !

(يرجع كل من المتبارزين سيفه الى غمده ، ويتدثر دون كارلوس في عباءته كما يرخى حوافي قبعته على عينيه ، ويسمع الدق من جديد)

هرناني : ما العمل ؟

(الدق من جديد)

صوت : (من وراء الباب) دونيا سول افتحى

(تخطو دونيا جوزيفا خطوة نحو الباب ولكن هرنانى يعترضها)

هرناني : لا تفتحى .

دونيا جوزيفا : (وهى تخرج مسبحتها من جيبها) أيها القديس سان جاك ، مولانا ، أنقذنا مما نحن فيه .

(الدق يعود من جديد)

هرناني : (مشيرا بيده الى دون كارلوس والى الخزانة) فلنختبئ .

دون كارلوس : في الخزانة ؟

هرنـــانى : (مشيرا الى بابها) ادخل ، أتكفل بأن أجعلهـــا تسعنا نحن الاثنين .

دون كارلوس : لك جزيل الشكر ، انها أكبر من أن تسعنا .

هرنـــانى : (مشيرا بيده الى الباب الخفى) اذن لنهرب من هنا .

دون كارلوس : مساء الخير ، أما أنا فباق .

هرنـــانى : ستدفع غاليا حين يجيء حسابك ، دمك ورأسك (موجها الكلام الى دونيا سول)
ماذا اذا حصنت المدخل بالأثاث ؟

دون كارلوس : (الى جوزيفا) افتحى الباب .

هرنـــانى : ماذا تقول ؟

دون كارلوس : (الى جوزيفا وقد ترددت في فتح الباب) افتحى قلت لك .

(الدق مستمر على الباب ، فتتجه جوزيفا وهى ترتعد لتفتح الباب)

دونيا سول : انتهيت . .

المشهد الثالث

السابقون – روى جوميز دى سيلفـــا

(في لحيته وفي شعره الأبيض وفي بزته السوداء ، ثم أتباع يحملون في أيديهم المشاعل وهى مضاءة)

روى جوميز : رجال في حضرة ابنة أخى في مثل هذه الساعة من الليل ! !

ادخلوا جميعكم فالموقف يحتاج الى الاشهاد والى الايضاح ، الى المجاهرة بالصوت العالى .

(الى دونيا سول)

قسما بالقديس يوحنا دافيلا ، أننا ثلاثة في هذا المكان ، وأقسم بنفسى أن في اثنين منا كفاية يا سيدتى ! !

(موجها الكلام الى دون كارلوس وهرنانى)

أيها الفارسان الشابان ما تعملان هنا ؟ في الزمن الماضى كان (السيد) و (برنار [1] هذان العملاقان اللذان كانت تخضع لهما اسبانيا ، بل العالم كله ، كانا يحترمان الشيوخ ويحميان الفتيات وكانا من الأبطال ذوى البأس الشديد ، الذين يجدون فيما يحملونه من أثقال العدة والسلاح شيئا أخف من لباس المخمل والحرير . . أقول كان هؤلاء الرجال يحترمون الشيوخ ذوى اللحى الغبراء ، وكانوا يخضعون لواعج الحب في قلوبهم ، لما تقضى به شريعة الكنيسة ، فلا تراهم الا ركعا أمام الهيكل ، وفي عقد قران ، ولا يخدعون ولا يخادعون ، اعلاء لشرف الأسرة فاذا رغب أحدهم في امرأة أخذها نقية العرض ، وفي النهار المبصر ، وأمام كل الناس ، وقد أمسك بيده السيف أو الفأس ، أو الرمح .

---

١ — من كبار فرسان قشتاله باسبانيا ومن كبار قادتها .

أما هؤلاء الخبثاء المراوغون . الذين يركبــون
الليل متسللين الى مقاصدهم الدنيئة وعيونهـــم
لا تنقطع عن النظر الى الوراء ، والى كعـوب
أحذيتهم ، ليسطوا على شرف الزوجات اللواتى
غفلت عنهن عيون الأزواج . . فانى أؤكد لو أن
(السيد) ، وهو سيدنا جميعا ، يعلم أمرهم ،
لألقى بهم على وجوههم احتقارا لهم ، ولنحّى
عنهم النبل الذى اغتصبوه ، صافعا بالسـيف
شاراته وشعاراته .

هذا — ويا للألم الذى أحسه — ما كان يفعله رجال
الزمن السابق برجال الزمن الحاضر .

تكلما فيما جئتما من أجله ؟

ألأنكما تريان فيّ شيخا فانيا جديرا بأن يضحك
منه الشباب ويسخروا ؟

أتسخران منى أنا بطل (زامورا) [1]

اتضحكان مني اذ تريانى أتعثر في شعرى الأبيض ؟
اذا كان الأمر كذلك فلستما انتماعلى الأمل ،
اللذان يضحكان في آخر الأمر .

هرنـاني : أيها الدوق . .

روى جوميز : صمتا . . عجيب أمركم ! ! بين أيديكم السيف ،
وتتبارون فى التقاط الخاتم بسنان الرمح وتحتكم

١ — مدينة فى احدى المقاطعات الاسبانية أكسبتها شهرة معركتان حربيتان قامتا فيها
احداهما فى عام ٩٠١ ، والأخرى ١٠٩٣ .

الخيول تركض . تركبون للصيد تتقدمكم الصقور والكلاب المدربة . تقصفون في المآدب . تنشدون الأغانى بالليل تحت الشرفات . لكم الريش يزين قبعاتكم ، والصديرية من الحرير . ترتادون المراقص . تلهون فى المركبات . هذا والصبا ملء أعطافكم ، والمرح يصطخب في أجسامكم . ولكن ما أن ينالكم السأم أيها الفتية حتّى تنطلقوا بلا تبصر ، وحيثما اتفق ، تبحثون عن ألعوبة تلهون بها ، وتتخذون من شيخ طاعن في السن أُلْهِيَةً لكم !!

آه . . انكم حطمتم هذه الأُلْهِيَةَ ، ولكن الله يأبى الا أن يصيّب حطامها المتطاير وجوهكم !! اتبعانى . .

هرنانى : سيدى الدوق . .

روى جوميز : اتبعانى قلت لكما . اتبعانى . .

أيها السادة هذا الموقف ليس للتندر والضحك ! ماذا !! هنا في بيتى كنز ثمين . . انه شرف فتاة ، وكرامة امرأة وسمعة أسرة . وأنا أحب هذه الفتاة وهى ابنة أخى ، ويجب أن تستبدل قريبا بخاتم القران منى ، هذا الخاتم الذى في يدها ، لتصبح زوجتى .

اننى أعتبرها عفيفة ونقية ، ومقدسة في نظر كل رجل ، وأهلا لاحترامه ، فاذا وقع أن أترك بيتى ساعة أنا (روى جوميز دى سيلفا) ، فاننى

لا أستطيع أن آمن عليها من أن يتسلل اليها لص من لصوص الشرف ؟

الى الوراء يا رجالا بلا أرواح وبلا ضمائر . نظفوا أيديكم من الدنس ، اذ لا تكاد تمتد الى نسائنا ، حتى يصبحن ملوثات .

ولكن فيم يفيد كلامى ! حسن ما انتما عليه وتابعا ما جئتما من أجل سلبه أتريدان شيئا آخر ؟

(وهو يخلع قلادته من حول عنقه) إليكما هذه القلادة فاهرساها بأقدامكما وأهرسا أيضا هذا الوسام ، وسام الفروسية

(ويلقى بقبعته الى الأرض)

واليكما شعرى فشداه شدا ، ولوثاه ، كما يحلو لكما واجعلا منى أضحوكة . .

وفي وسعكما غدا أن تفخرا في المدينة [1] ، بأنه لم يسبق من قبل لفسقة مفسدين مثلكما ، أن أتيح لهم من أسباب المهاترة واللهو ، مثلما أتيح لكما اليوم ، وأن يلوثوا رأسا أنصع بياضا من هذا الرأس .

دونيا سول : سيدى .

روى جوميز : أيها الأتباع ، أيها الأتباع انى أدعوكم الى أن تقفوا الى جانبي وتشدوا أزرى . هاتوا لى الفأس

---

١ — مدينة فى احدى المقاطعات الاسبانية أكسبتها شهرة معركتان حربيتان قامتا فيها احداهما فى عام ٩٠١ ، والأخرى ١٠٩٣ .

والخنجر وهاتوا سيفى الطليطلى[1]

(الى الرجلين)

اتبعانى أنتما الاثنان .

دوق كارلوس : (متقدما خطوة) أيهـا الدوق ، اعلم أولا أن الموقف ليس كما تقول وتقدره ، ان الأمر — فيما نحن فيه الآن — يتعلق بوفاة مكسيميليان ، امبراطور ألمانيا . (يلقى بعباءته جانبا ويزيح القبعة عن وجهه)

روى جوميز : أتسخر منى ؟ . . ويا الهى . . الملك !

دونيا سول : الملك ؟

هرنـانى : (وقد التمعت عيناه) ملك اسبانيا .

كارلوس : نعم كارلوس . ماهـذا يادوق ! هل فارقك حسن الادراك ؟ جـدى الامبراطور توفي . ولم يبلغنى نعيه الا هذا المساء ، فبادرت لأطلعك عليه بنفسى ، أيها التابع الأمين ، نظرا الى حبي اياك ، ثم لكى أستهدى بنصائحك ثم . . ثم كان أمرا لازما أن أجىء اليك متخفيا وفي الليل .

فالأمر ، كما ترى ليس بذى بال ولا يستأهل كل هذه الضجة التى أثرتها !! (يصرف روى جوميز أتباعه باشارة ثم يقترب من دون كارلوس . هذا

---

١ — نسبة إلى مدينة (طليطلة) وكانت لها شهرة فى صنع السيوف .

بينما بقيت دونيا سول في مكانها تحدجه بنظرات ملؤها الفزع والدهشة . أما هرناني فبقى في ركن يغطي دون كارلوس بنظرات من نار)

روى جوميز : اذن ولم تأخرتم كل هذا التأخير في فتح الباب ؟

دون كارلوس : لم تأخرنا !! لانك جئت في حرس كبير . وحينما يكون مجيئى الى قصرك لتناول سر من أسرار الدولة ، أيكون من اللائق أن يقف خدمك عليه ؟

روى جوميز : يا صاحب السمو سامحنى ، فالمظاهر . .

دون كارلوس : أيها الأب الطيب اخترتك محافظا على قصر (فيجير) ولكننى لا أدرى من أختاره الآن ليحافظ عليك !!

روى جوميز : أرجوك الصفح . .

دون كارلوس : يكفى . ولنمسك عن الكلام في هذا الأمر . أقول أن الامبراطور توفي .

روى جوميز : أليس هو جدكم أيضا يا صاحب السمو ذاك الذى توفي ؟

دون كارلوس : وها أنت ذا ترانى الآن يا دوق والألم يفيض بي.

روى جوميز : ومن سيخلفه ؟

دون كارلوس : يتحدثون عن ترشيح دوق ساكس ، وهناك منافس آخر ، فرنسوا الأول ملك فرنسا .

روى جوميز : وأين يجتمع ناخبوا الامبراطور ؟

دون كارلوس : اختاروا ، فيما أظن ، مدينة (ايكس لا شبيل) وقد يجتمعون في مدينة (سبير) أو (فرانكفورت)

روى جوميز : وملكينا — حفظه الله وأطال أيامه — ألم يفكر في أمر هذه الامبراطورية ؟

دون كارلوس : لم أنقطع يوما عن التفكير فيها .

روى جوميز : سيؤول أمرها اليك .

دون كارلوس : أعرف هذا .

روى جوميز : والدك كان أرشيدوق النمسا ، فلن يغيب عن أذهان الناس بالامبراطورية انه جدكم هو من يلف الآن بالكفن ، بعد أن خلع بزة الحكم الأرجوانية .

دون كارلوس : وفوق هذا فانى من مواطنى مدينة (جاند)

روى جوميز : في مستهل صباى شاهدت جدكم ، وأنا وحدى الآن من تبقى من جيل قد مات ناسه ، أقرر أن جدكم كان امبراطورا عظيما وحازما ، وأسفاه . .

دون كارلوس : (منساقا مع خياله) ستقف روما إلى جانبي . . .

روى جوميز : وكان شجاعا صلب الارادة في غير تعسف ومن غير أن ينزل ظلما بأحد ، كان من ألبق الرؤوس التى علت الجسم الجرمانى القديم ، وساست أموره . كم أرثى لك اذ أراك — وأنت مازلت في مقتبل العمر — تحمل ارزاء هذه المحنة .

دون كارلوس : (متابعا خياله) البابا يريد أن يعود إلى بسط كفه
على صقلية . . ولكن هيهات فانها لى . ويزعم
انه لا يمكن للامبراطور أن يحتفظ بهذه الجزيرة .
ولكن إذا وقع ووافق على تنصيبي امبراطورا ،
فسأكون ملزما — بحكم طاعة الابن لأبيه — بأن
أعيد اليه أيضا نابلى ! ! !

لنستولى أولا على الامبراطورية يزين مفرقها شعار
النسر ، ثم لنر بعد ذلك هل نترك له أن يقص
ريش جناحيه .

روى جوميز : كم سيسعد سلفك الراحل إذ يرى جبينك الواسع
ينزل فيه تاجه الكبير ويستقر .

ايه يامولاى .. معك سنبكى سويا ذلك الامبراطور
الطيب الشديد التمسك بشعائر الكنيسة ! !

دون كارلوس : (يناجى نفسه على حدة) حق ان قداسة البابا
لرجل حذق ومهارة ! !

فما هى صقلية ؟ انها جزيرة مدلاة من احد
أطراف مملكتى . نعم هى جزيرة صغيرة ،
أشبه ما تكون بخرقة ، أو قطعة مهلهلة من ثوب ،
هى تكاد ترتبط باسبانيا بخيط رفيع ، وتتعلق
بجوارها ..

ويخيل إلى أنه سيسألنى » ما عساك أن تفعل يابنى
بهذه الجزيرة الحدباء التى شدت بخيط إلى
أطراف امبراطوريتك ؟ ان امبراطوريتك ،

ولا شك غير متناسقة الأقسام والأحجام ..
تعالى سريعا الىّ ومعك المقص ولنصلح الأمر .
ايه أيها الأب الأقدس ، شكرا لك ! !
ولكن اعلم ، انني إذا وافاني الحظ السعيد ، فانني من هذه الخرق الصغيرة المهلهلة سأضم أرضا جديدة إلى الامبراطورية المقدسة ، توسع من رقعتها . وإذا حدث أن انتزعت مني هذه الشرائح من جزر أو دوقيات ، عمدت الى ترقيع جوانب دولتي بأشباه لها .

روى جوميز : لنتعزففي السماء امبراطورية تضم الاخيار والصالحين ، وفيها يرى الموتى وقد تألقوا قداسة ومجدا !

دون كارلوس : هذا الملك فرنسوا الأول طموح وطمّاع ! ! ما ان توفي الامبراطور الشيخ ، حتى أسرع يتطلع بعينيه إلى الامبراطورية ويرمقها بنظرات محب وامق !! عجبا ! !

أليست له فرنسا العريقة في مسيحيتها وتقواها آه . . ولكنّ الصفقة في الحق مغرية وأهل لأن يُسْتَحْوذَ عليها . كان جدى الامبراطور يقول للملك لويس : « لو كنت الرب الأب ، وكان لى ولدان ، لجعلت الأكبر منهما ربا ، ولجعلت من الآخر ملك فرنسا »

(موجها الكلام إلى روى جوميز)

أو تظن انه في وسع فرنسوا ان يحقق أمله في نيل الامبراطورية ؟

روى جوميز : ازدان جبينه أخيرا بانتصارات حربية .

دون كارلوس : لكي يتحقق له ما يريد ، يجب أن تغير الأمور من طبيعتها ، لأن بقانون الانتخاب شرطا يحرم انتخاب أجنبي ...

روى جوميز : ولو أجرى تطبيق هذا الشرط يامولاى ، فأنت بدورك ملك اسبانيا ...

دون كارلوس : انني من مواطني مدينة (جاند)

روى جوميز : حملته الأخيرة في ايطاليا وانتصاره فيها رفعتا من شأن الملك فرنسوا .

دون كارلوس : النسر الذى ربما يستقر شعاره في أعلى خوذتى ، يستطيع أن ينشر جناحيه ليكتسب انتصارات حربية .

روى جوميز : سموكم ، هل يعرف اللاتينية ؟

دون كارلوس : معرفة ناقصة .

روى جوميز : خسارة ، فان نبلاء ألمانيا يميلون إلى أن يخاطبوا باللاتينية ، وهى اللغة الرسمية .

دون كارلوس : بل سيقنعون بأن يخاطبوا بلغة اسبانية مترفعة .. ان الذى يهم في مخاطبة الناس — وصدق ما ما يقولـه لك الملك كارلوس — هو أن ترفع الصوت مجلجلا قاطعا ، ولا يهم أمر اللغة التى تخاطبهم بها .

سأسير إلى الفلاندر .. يجب أن يعود اليك الملك امبراطوا ، ياعزيزى . « سليفا » ، سيثير ملك فرنسا متاعب كثيرة ، ولكننى سآخذه بسرعة المبادرة ...... سأسافر بعد قليل ..

روى جوميز : تفارقنا يامولاى قبل أن تقضى على هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق وهم يعيثون فسادا في الأراجون بعد أن شمخوا بأنــوفهم في أعلى الجبال ؟

دون كارلوس : سأصدر أمرى إلى دوق (أركوس) بالقضــاء على هذه العصابات .

روى جوميز : ورئيسهم ؟

دون كارلوس : ومن يكون هذا الرئيس؟ وما اسمه ؟

روى جوميز : أجهل كل هذا ، ولكننى سمعت أنه رجــل شديد المراس .

دون كارلوس : لا يهم . . أعرف الآن أنه مختف في (جاليس) ومن الحزم أن أسيرّ اليه حملة من الجند تقصفه في وكره.

روى جوميز : لابــد أنها اشاعات لا نصيب لها من الصحــة وقد تواترت بأنه يحوم على مقربة من هنا .

دون كارلوس : نعم انها اشاعات كاذبة . . ستضيفنى الليلة في قصرك ؟

روى جوميز : (وقد أحنى هامته حتى قاربت رأسه وجــه ، الأرض) شكرا يا صاحب السمو :

(مناديا يا خدمــه)

أدوا واجب الشرف كله في خدمــة ضيفى الملك

(يدخل خدم يحملون المشاغل ويجرى الـدوق تنظيمهم بحيث يملؤون مؤخرة المسرح حتى الباب الكبير في صفين متقابلين ، وفي أثناء ذلك تقترب دوينا سول من هرنانى ، وان كانت نظرات الملك تلاحقها في كل مايبدر منهما)

دونيا سول : (بصوت منخفض الى هرنانى) غدا تحـــت نافذتى ، عند منتصف الليل فاياك أن تتأخــر ، ثم تصفق ثلاث مرات

هرنـــانى : (بصوت منخفض) غدا

دون كارلوس : (على انفراد) غدا ! !

(ثم يرفع صوته وهو يتقدم نحو دونيا ســول في لطف وأدب)

اسمحي لى أن أمد يدى اليك لأسير بك الى مخدعك

(تمد يدها ويسير هو بها نحو الباب لتخرج منه)

هرنـــانى : (ويده في صدره يتحسس خنجره) ياخنجرى الأمين .

دون كارلوس : (وهو يتجه منفردا نحو هرنانى) رجلنـــا أراه منقبض الوجه (وقد اقترب من هرنانى) شرفتك بأن جعلت سيفى يلمس سيفك يا سيدى . وانى لشديد الارتياب فيك لاسباب عدة ، ولكـــن الملك كارلوس يأنف من الغدر والخيانة.انطلق،

وسأتنازل أيضا بحماية خروجك .

روى جوميز : (يكون قد انتهى من اعداد الخدم في صفين، وعاد نحو الملك فيشير بيده نحو هرناني) ومن يكون هذا السيد ؟

دون كارلوس : سينصرف . . انه أحد أتباعى .

(يخرج جميع الخدم يتقدمهم الملك يتبعه الدوق وفي يده مشعل)

هرناني : (على انفراد) نعم من أتباعك أيها الملك . . من أتباعك ! !

انى لكذلك .

فى الواقع اننى ، ليل نهار وخنجرى ملء يدى، أمضى مترسما خطاك الواحدة بعد الأخرى ، وعينى لاتفارق أثرك ! !

ان حسبي ودمى يطاردان فيك حسبك ودمك ثم ها أنت ذا أصبحت منافسى وغريمى ! !

مرت بى لحظة كنت أتأرجح فيها بين الحب والبغضاء اذ لم يكن قلبي يتسع لك ولها ويشتغل بكما . .

بل نسيت في حبى لها حقدى عليك . .

ولكن بما أنك أردت أن تذكرنى من أنت ، بل جئت بنفسك تحيي هذه الذكرى ، وهذا جد جميل ، فليكن لك ماتريد . . اننى أذكر الآن كل شيء ، وضعت حبي اياها في احدى كفتى

ميزان ، أمام حقدى عليك ، فاذا كفة الحقد ترجح الكفة الأخرى .

نعم أنا من أتباعك . . أنت نفسك الذى قاله حسن جدا . . اعلم اذن أننى في اقتفاء اثرك ومتابعة سيرك أشد حرصا وأبعد مواظبة من المرائى الذى يتملقك ، ومن السيد الذى يقبل ظلك طمعا في رفدك ، ومن رئيس الخدم الذى يلاحقك وقد أفرغ قلبه من كل شيء لتحل أنت فيه محل الرب ، ومن الكلب الذى ألف أن يلاحق الملك أينما مشى . ان ما يطمع فيه ، كل عظماء قشتالة ، لا يتجاوز أمره الألقاب الجوفاء ، اللعب البراقة ، القلائد اللامعة تحيط بالأعناق .

أما أنا ، فلم يبلغ بى العته ، أن اكتفى منك بتحقيق هذه الرغبات التافهة . ان ما أريده منك ليس منحا سخية تجود بها . .

ان ما أريده انما هو روحك الذى يسكن بدنك ، الدم الذى يتدفق في عروقك . هو كل ما يمكن أن ينتزعه الخنجر الثائر وقد أوغل في اختراق القلب وغاص في سويدائه . .

ان الانتقام الذى يشاركنى السهر ، يرافق دائما خطوى ، ويهمس دائما في أذنى . .

سر أمامى . فأنا في اثرك أراقب وأتحسس في غير جلبة

خطاى تبحث عن خطوك وتقتفى أثرها . .
فى النهار لا تملكك أيها الملك ، أينما وليت
وجهك ، الا أن ترانى رأى العيان في حفلاتك
ومواكبك . . .
واذا جن الليل ، فلا منصرف لنظراتك ، أيها
الملك ، من أن ترى عينى ، وهما يشتعلان
وتتقدان خلفك (يختفى من الباب الصغير)

(ستار)

* * *

الفصل الثاني

قاطع الطريق

في مدينة سرقسطة

ساحة في فصر سيلفا . إلى اليسار تبدو في الليل جدران القصر شامخة متماسكة ، وتتراءى في أحد الجدران نافذة تؤدى الى شرفة ، وفي أسفل الشرفة باب صغير .

وإلى اليمين ، وفي مؤخرة منصة التمثيل ، تتراءى منازل ، وطرق هنا وهناك . وفي واجهات المبانى المحيطة بالقصر ترى نوافذ ما برحت مضيئة .

المشهد الأول

(دون كارلوس — دون سانشو سانشيز دى رويتجا — كونت دى موتيرى — دون ما تياس سانتوريون — ماركيز دى الموتان — دون ريكاردو دى روكاس — سنيور دى كازابالما « يفدون أربعة ، وعلى رأسهم دون كارلوس ، وقد أرخى الجميع قبعاتهم ، وتلففوا في عباءات طويلة ، ترفع سيوفهم أطرافا من ذيولها »)

دون كارلوس : (وهو يتفحص الشرفة بنظراته) تماما — هذه هى الشرفة ...

وهذا هو الباب . آه يثور بى دمى !!

(وهو يشير إلى النافذة المطلة على الشرفة)

ما برحت مظلمة حتى الآن
(ثم يتابع بنظره النوافذ المضيئة)
الضوء في كل مكان : فيما عدا النافذة التى أريده فيها !!

دون سانشو : فلنتابع الحديث يامولاى عن ذلك الخائن . تقول انك تركته يمضى بسلام !

دون كارلوس : كما تقول

دون ماتياس : ولعله يكون قائدا قطاع الطريق .

دون كارلوس : ليكن القائد أو القائم بأمرهم ، انى ماشاهدت حتى بين حملة التيجان رأسا يشمخ كبرياء مثل رأسه .

دون سانشو : ما اسمه يامولاى ؟

دون كارلوس : (دون أن يحول نظره عن الشرفة) مونوز .. فرنان (في حركة من تذكر أمرا فجأة)

دون سانشو : لعله هرنانى ؟

دون كارلوس : نعم .

دون سانشو : هو بعينه .

دون ماتياس : اذن فرئيسهم هو هرنانى ؟

دون سانشو : (للملك) أما زلت تذكر شيئا من كلامه ؟

دون كارلوس : (وهو لم يحرك نظره عن النافذة) لم يصل إلى سمعى شيء وأنا في تلك الخزانة الملعونة

دون سانشو : أعجب لماذا أطلقت سراحه ، وقد كان بين يديك ؟

دون كارلوس : (وقد استدار نحو نحو محدثه في وقار ، ثم حدجه بنظراته وجها لوجه) انك تقف منى موقف المحقق ؟

(يتراجع دون سانشو)

ومع ذلك فلم يكن هو من يشغل بالى ويستأثر باهتمامى . كنت أريد عشيقته ، ولم أكن أطالب برأسه . .

آه انني بها لمفتون ، وأكاد أجن بهذه العيون السود أحلى وأفتن ما تكون بين العيون ! !
ايـــه أيها الأصدقاء .. عيناها ؟ تصوروا مرآتين صافيتين !

شعاعين من نور ! ! مصباحين يتوهجان ..

أقول انه لم يصل إلى سمعى ، من كل حديثهما ، غير هذه الكلمات الثلاث : غدا ، تعال ، بالليل .
وهذا هو كل ما يهمنى في الأمر .

أليس أمرا طريفا ومستغربا ما وقع ؟ بينما كان قاطع الطريق ذو الوجه الوسيم ، قد تأخر عن موعد حضورة لانشغاله بازهاق روح ، أو بحر رمس أجيء أنا مفاجئا ، وأتسلل في لطف إلى عش حمامته ؟

دون ريكاردو : كان الأجدر بانهاء هذه المغامرة ، قتل النسر لانتزاع الحمامة من العش

دون كارلوس : (ياكونت) . اليك نصيحة ذات بال فتتدبر أمرك .. ان لك يدا سريعة في الخطف

دون ريكاردو : (وقد انحنى نحو الأرض) ما اللقب الذى يروق للملك أن يحمله الكونت ؟

دون سانشو : (متدخلا) وموجها كلامه إلى دون ريكارد و) هذا لقب سقط سهوا

دون ريكاردو : (محتجا) خلع الملك على لقب كونت .. وقضى الأمر .

دون كارلوس : كفى . كفى . (الى ريكاردو) . . حسن . تركت هذا اللقب يسقط منى فالتقطه .

دون ريكاردو : (مبالغة في انحناءة أخرى) شكرا يامولاى .

دون سانشو : (الى دون ما تياس) ياله من كونت ! ! كونت صدفة ! !

(الملك يزرع مؤخرة المنصة وهو يتفحص في قلق النوافذ التى ينبعث منها الضوء ، هذا بينما وقف الشريفان السابقا الذكر في مقدمـــة منصة التمثيل

دون ماتياس : (الى دون سانشو) ولكن ما عسى أن يصنع الملك بالحسناء بعد أن يستولى عليها ؟

دون سانشو : (وهو مازال يلاحق دون ريكاردو بنظراته) يصنع بها كونتيسة ، ثم وصيفة شرف . فاذا أنجبت ولدا فسيصبح ملكا في المستقبل ..

دون ماتياس : ماذا تقول ؟ ابن سفاح يمكن أن يصبح كونتا . وقد يغدو صاحب سمو ، ولكنه أمر متعذر كل التعذر أن يجيء من أحشاء كونتيسه .

دون سانشو : اذن يجعل الملك منها مركيزة . . يا عزيزى المركيز

دون ماتياس : انهم يحتفظون بأولاد السفاح لتولى امارات البلدان التى يقهرونها ، يولونهم أمرها بأسماء (نواب الملك) انهم لا يصلحون الا لمثل هذا الأمـــر

دون كارلوس : (وهو يمشي الى المقدمة بعد أن يقذف بنظرات غاضبة ما تبقى من نوافذ يشع منها النور) ألا يصح القول أن هذه النوافذ التى تطل علينا أشبه ما تكون بعيون يواقظ تشتعل بنار الغيرة ؟
أخيرا انطفأ النور في نافذتين . . هيا أيها السادة ما أمض واطول فترات الانتظار !!

الا يوجد من يستحث الساعة على أن تسرع فى المسير ؟

دون سانشو : هذا ماتقوله أحيانا اذ نكون فيحضرة سموكم !

دون كارلوس : وهذا ما يكرر قوله شعبي حينما يجتمع بكم !
(ينطفئ النور في النافذة الأخيرة)

انطفأ النور في النافذة الأخيرة

(يتجه نحو شرفة دونيا سول التى ما برحت غارقة في الظلام) أيتها النافذة الملعونة . . متى سطع فيك النور ؟

ان الظلام دامس في هذه الليلة ، ولكن طلعةدونيا سول ستبدده ، كما يفعل النجم المنير .

(ملتفتا الى ريكاردو)

كم الساعة ؟

دون ريكاردو : سينتصف الليل بعد قليل .

دون كارلوس : يجب أن نفرغ من هذا الأمر ، فان الآخر قد يفاجئنا بحضوره في آ ة لحظة .

(يسطع النور من نافذة دونيا سول ويبدو ظلها مرتسما على زجاجها) أيها الأصدقاء . اشتعل المصباح في حجرتها ، وها هو ذا ظلها ينطبع على زجاج النافذة ، ما رأيت صباحا يولد في مثل هذه البهجة . لنسرع ولنرها الاشارة التي تنتظرها . يجب أن أصفق ثلاث مرات وما أن تنقضي لحظة بعد ذلك ، حتى تروْنها يا أصدقائي ، ولكن ربما يفزعها أن ترانا مجتمعين . هيا ثلاثة منكم يستترون في الظلام هناك ، وعليهم أن يترصدوا القادم الآخر . أيها الأصدقاء لنقتسم العاشقين . . لي السيدة ، ولكم قاطع الطريق .

دون ريكاردو : لك عظيم الشكر .

دون كارلوس : فاذا جاء الآخر فاخرجوا اليه سراعا من الكمين وخذوه بأطراف سيوفكم في رفق ، فاذا ما استعاد صوابه وهو ملقى على الأرض ، أكون أنا قد هربت بالحسناء .. وسنضحك كثيرا بعد ذلك .

ولكن حاذروا أن تقتلوه ، انه رجل مقدام قبل أى اعتبار ، هذا فضلا عن أن ازهاق روح إنسان ، أمر بالغ الخطورة (ينحنى الثلاثة ويخرجون ويصفق دون كارلوس مرتين بمجرد أن يختفى السابقون)

وتنفتح النافذة وتظهر دونيا سول بالشرفة)

المشهد الثاني

دون كارلوس – دونيا سـول

دونيا سول : (في الشرفة) اهذا أنت ؟ هرنانى

دون كارلوس : (منفردا) ياللشيطان ! فلنصمت

(يصفق للمرة الثالثة)

دونيا سول : سأحضر .

(تغلق دونيا سول النافذة فينطفئ النور بالحجرة ، وبعد لحظة قصيرة يفتح الباب الصغير وتخرج منه دونيا سول وفي يدها مصباح وعلى منكبيها معطف) هرنانى . .

(دون كارلوس وقد أرخى أطراف قبعته على وجهه يتقدم مسرعا اليها) ويلى . . هذه ليست خطاه !

(يسقط المصباح من يدها وتحاول الرجوع الى الباب ولكن دون كارلوس يهرع نحوها ويمسكها من ذراعها)

دون كارلوس : دونيا سول .

دونيا سول : وهذا ليس صوته !! ا لشقوتى !

دون كارلوس : وأى صوت يجئ فياضا بالحب أكثر من هـــذا الصوت تريدين سماعه ؟ انه صوت عاشق متيم ، وهذا العاشق المتيم ، هو الملك

دونيا سول : الملك !!

دون كارلوس : اشتهى ما تريدين . . مرى . ان مملكة بأسرها طوع أمرك : ان الذى تصدين عنه ، هو الملك مولاك ، وهو كارلوس عبدك .

دونيا سول : (وهى تتملص بين ذراعيه وتحـــاول الفكاك) النجدة هرنانى . . .

دون كارلوس : انه خوف مشروع وجدير بك ، ولكن الذى يمسك بك الآن قاطع الطريق . وانما هو الملك .

دونيا سول : كلا ، بل قاطع الطريق أنت . ألا تستحى ممـــا تفعل ؟ انى لأحمر خجلا بالنيابة عنك . أهذه احدى المآثر التى يطيب للملك أن تدوى أخبارها بين الناس ؟ يركب الملك الليل متسللا ليسطو على امرأة على كره منها ؟؟ ان لصى خير منك مائة مرة . وانى لأجهر أيها الملك بالقول . لو أن المرء نزل حيث تؤهله سجايا نفسه ، لو ان الله يضع الناس درجات بما يسكن قلوبهم من السمو والترفع اذن لكان هو الملك ، ولكنت أنت أيها الملك ، قاطع الطرق :

دون كارلوس : (وهو يحاول أن يجتذبها نحوه) سيدتي

دونيا سول : أنسيت أن والدى من النبلاء وكان كونتا

دون كارلوس : سأجعل منك دوقة .

دونيا سول : (وهي تدفعه بعيدا عنها) أمسك . . ان ماتأتيه هو العار .

(تتراجع خطوات)

لايمكن أن يقوم بيننا شيء يادون كارلوس . ان والدى الشيخ بذل أنهارا من دمه في سبيلك، وانى لفتاة نبيلة، وبهذا الدم أعتز وعليه أغار. وهو يجعلني أرفع من أن أكون لك خليلة. وأقل من أن أصبح زوجا لك .

دون كارلوس : اجعل منك أميرة .

دونيا سول : أيها الملك كارلوس ، هذه المعابثات الصبوية أبقها لفتيات الهوى . والا ففي وسعى أن أريك انى سيدة ، وانى امرأة اذا تماديت في جرأتك ولم تحفظ عليّ كرامتي

دون كارلوس : حسن تعالى وكونى شريكة لى في تاجى وفي اسمى تعالى ستكونين ملكة . . . امبراطورة .

دونيا سول : لا . . هذا اغراء خادع . . طعم لاصطياد السمك. وفوق هذا ، فاعلم ياصاحب السمو ، أنه اذا وجبت المصارحة ، لقلت لك — ولو لم أعنك أنت بالذات — انى لا أبغى أحدا غير هرنانى ، فهو مليكى، ومعه أوثر أن أهيم على وجهى طوال

العام وأنا خارجة على القانون ولا سلطان لأحـــد على ، أتمرس بالجوع والعطش ، وأقاسمه حظه العاثر بين الاهمال والحرب ، والنفي ، والفاقـــة والجزع ،أوثر أن أكون معه بكل هذا ، على أن أكون امبراطورة تجلس الى جانب امبراطور

دون كارلوس : شد ما هو سعيد هذا الرجل ! !

دونيا سول : حتى وهو فقير ومطارد ؟

دون كارلوس : ما أسعد ما يكونه الفقير المطارد اذ يحس أنـــــه محبوب ومرغوب فيه ! !

أما أنا فوحيد ، هذا في حين أن ملاكا كريمـــا يرعاه ويسير الى جانبه . . يبدو انك تبغضينني

دونيا سول : لاأحبك .

دون كارلوس : (وهو يشد على ذراعها) اسمعي . . تحبينني أو تبغضينني ، هذا أمر لم أعد أهتم به ستمضين معي ، ان يدي أقوى من يدك . ستصحبينني لانني أريدك وسترين جيدا اذا كنت حقا ملك اسبانيا والهند ، ولي السلطان كله . . .

دونيا سول : (وهي تحـــاول أن تتملص من قبضته) مولاي أناشدك الرأفة . ماذا ؟

أنت صاحب سمو وصاحب جلالة ، ومـــلك يدك نبيلات ، دوقات ، مركيزات ، وكونتيسات ، وما عليك الا أن تختار من بينهن من تشاء ، هذا وسيدات القصـــر كلهن ، وفي كـــل وقت ،

متحفزات على أن يبادلنك حبا بحب . ولكــن طريدى . . ما حظه من القدر الضنين ؟

آ ه لك قشتالة ، والأراجون ، ونافارا ،ومورسيا وليون . . مع عشر ممالك أخرى. . لك الفلمنك . والهنـد ، بما فيهـا من مناجم الذهب ، لك الامبراطورية الشاسعة التى لا تغيب عنها الشمس ، والتى لم تتهيأ لعاهل من قبل ، فهل تريد ، على كل ما تملكه أنت الملك القادر ــ أن تنتزعـنى منه ، أنا الفتاة المسكينة ، في حين أن ليس له أحد سواى ؟

(ترتمى جاثية على ركبتيهـا في حين أن الملك يحاول أن يشدها لتسير معه)

دون كارلوس : سيرى معى . لن أستمع لشيء مما تقولين. . سيرى. اذا صاحبتنى جعلتك تختارين أربعا من مقاطعاتى الاسبانية أهبها لك . قولى أيها تريدين ؟

(وهى تتقلب بين ذراعيه)

دونيا سول : لا أخذ منك شيئا سوى هذا الخنجر يامـولا ى لأدافع عن شرفي.

(وتنتزع الخنجر المعلق في حزام سترته فيتركها متراجعا خطوة)

تقدم نحوى الآن . . اخط خطوة واحدة . .

دون كارلوس : لاعجب في أن تتدلهى بثائر عاص ؟

(يحاول أن يتقدم نحوها خطوة فتشرع الخنجر عاليا في يدها)

دونيا سول : ان خطوت قتلتك وقتلت نفسي .

(يتراجع خطوة بينما هي تستدير ناحية وتصيح) هرناني . . هرناني.

دون كارلوس : اصمتي .

دونيا سول : (والخنجر مشرع في يدها) خطوة واحدة وينتهي كل شيء .

دون كارلوس : سيدتي أمام هذا التمرد ، لم يبق مجال للتلطف معك هناك ثلاثة من أتباعي وفي وسعهم ارغامك على ما أريد

هرنـــاني : (وقد ظهر فجأة من وراء الملك) نسيت واحدا آخـــر.

(يستدير الملك فيرى هرناني وقد وقف لا يبدي حراكا ، مشبكا ذراعيه فوق صدره وقد لفتـــه عباءة واسعة ، وارتفعت حوافي قبعته فظهر وجهه واضحا وتبدر من دونيا سول صرخة ثم ترتمـــي بين ذراعيه)

المشهد الثالث

دون كارلوس ــ دونيا سول ــ هرناني

هرنـاني : (في هيئته السابقة الذكر وقد صوب نظراته البراقة نحو الملك) وتشهد السماء أنني كنت أجد في طلبه

في كل مكان ، وها هو ذا في منال يدى ! !

دونيا سول : هرناني انقذني منه .

هرناني : اطمئني يا هواى .

دون كارلوس : وماذا يفعل أصدقائى هناك في المدينة ، وكيف يتركون الزعيم البوهيمى يدخل علىّ ! !

(مناديا) مونتيرى

هرناني : جميع أصدقائك تحت سلطان رجالى ، فلاتستنجد بسيوفهم العاجزة . لولبّى نداءك ثلاثة منهم ، فان ستين من أعوانى سيفدون اذا دعوت . والواحد منهم يوازى أربعتكم . لننته من تصفية حساب هذا النضال . ما هذا ؟ ترفع يدك على هذه الشابة ! ! لا يجرؤ على اتيان هذه الفعلة غير الأحمق ، غير الجبان ياملك قشتالة .

دون كارلوس : (مبتسما في ازدراء) أيها المولى قاطع الطريق . . ليس لمثلك أن يتوقح بلوم على مثلى .

هرناني : هو يسخر ! ! لست ملكا ، ولكن اذا أهانني ملك وسخر مني ، فان غضبي يرفعني ويطيل من قامتي بحيث تعلو قامته . ثم حذار ، فان من يهينني يفزع من رؤية احمرار جبيني أكثر مما يخاف الشعار على خوذة الملك وانك لمعتوه اذا راودك الأمل في انك ستخلص من يدى .

(ممسكا بذراع دون كارلوس)

أتعرف صاحب اليد التي تمسك بك الآن ؟ أصغ إلىّ ، قتل أبوك أبى فأنا أبغضك . . وسلبتني لقبي

وثروتي فأنا أبغضك.. وكلانا مدله في حب امرأة واحدة
فأنا أبغضك. أبغضك. نعم أبغضك من كل جوانحي

دون كارلوس : عظـيم . . .

هرنـاني : نسيت حقدى عليك تلك الليلة ، ولم يكن يملأ نفسي غير رغبة واحدة وشوق واحد ، ولم أكن أهتم الا بأمر واحد . . أن ألقى دونيا سول .
كان الحب — وهو ملء جوانحي — يدفعني دفعا الى هذا المكان . ولكن — ويا عجبا — أفاجئك وأن تحاول أن تنال منها أمرا مشينا !!
يا لله . . ما هذا الذى يجرى !! كنت قد نسيتك فاذا بي أيها المولى أتعثر بك في طريقى .
ها أنت ذا تقع في شرك لامنجاة لك منه ، ولـن يفيدك للخلاص منه صراخ واستنجاد . أنت الآن في قبضة يدى وحيدا منفردا ويحاصرك أعداء من كل صوب . فما أنت صانع ؟

دون كارلوس : (بكبرياء) أتسألني أنت ؟

هرنـاني : كن مطمئنا فلن أكل أمر عقابك الى ذراع خامل مجهول ، ولن أضيع على انتقامى بأن ينالك أحد غيرى . . دافع عن نفسك .
(يشهر هرناني سيفه)

دون كارلوس : انني الملك مولاك . اطعن اذا شئت ، ولكن لن تقوم مبارزة بيني وبينك .

هرنـاني : تذكر أن سيفى قارع سيفك أمس

دون كارلوس : كان ذلك في الأمس ، إذا كنت أجهل اسمك ، وكنت أنت تجهل اسمى ومرتبتى ؛ أما اليوم أيها الرفيق ، ، فكلانا يعرف الآخر

هرنـــانى : ربمـــــا

دون كارلوس : لا مبارزة . . اقتلنى . . تقدم ! !

هرنـــانى : أو تحسب انى ممن يرون في الملوك قداسةتعصمهم من كل شيء؟ لا . . دافع عن نفسك

دون كارلوس : لك أن تقتلنى.

(يتراجع هرنانى الى الوراء تحدق به نظرات نسر من جانب دون كارلوس) واها لكم ياقطـــاع الطريق ! ! أو تحسبون أنه في وسع عصاباتكم الشريرة أن تزرع الاثم في البلاد ، وتثير الرعب، وتعتدى ، وهى تقتل وتنهب ، من غير أنينزل بها القصاص ؟ ثم يحلو لها بعد ذلك أن تتعاطى مظاهر النبل ، وتطلب الينا نحن من كنا هدفـــا لاعتدائهم ، ان نشرف خناجرهم بأن تقـــارع سيوفنا ! ! لا ، لن يكون هذا ، ان الجريمة تدمغ جباهكم . . أينما ذهبتم !

لا . لن تقوم مبارزة . . الى الوراء . . أو اقتل . (يربد وجه هرنانى ، وقـــد أخلد برهة إلى التفكير ، وإلى مداعبة قبضة سيفه ، ثم يستدير فجأة نحو الملك ويكسر سيفه أمامـــه)

هرنـــانى : اذهـــب .

(يستدير الملك نصف استدارة نحو هرناني وهو يرمقه في استعلاء)

سنلتقي في مجالات أفضل من هذه . . اذهب .

دون كارلوس : حسن ياسيدى سأذهب . وبعد ساعات سأكون بقصر الحاكم . أناملكك وسيكون أول عمل أقوم به أن أستدعى القائم على الخزانة العامة . . ألم يرصدوا جائزة مالية لمن يأتى برأسك ؟

هرنـــانى : بــــلى .

دون كارلوس : يا أستاذى . . أعتبرك منذ اليوم ثائرا وخائنا . وانى أنذرك سأطارد ك في كل مكان . وسأذيع انى أسقطت عنك جميع الحقوق المدنية . وانك منفى من جميع أرجاء مملكتى .

هرنـــانى : انى لكذلك من قبل .

دون كارلوس : حسن وسنرى . .

هرنـــانى : ولكن فرنسا قريبة من اسبانيا . وهى ملجأ أمين .

دون كارلوس : سأكون امبراطور ألمانيا ، سأعلن نفيك وأبيح دمك .

هرنـــانى : افعل ما يحلو لك . ستبقى لى بقية من العالم لا يمتد اليها سلطانك .

دون كارلوس : وإذا ملكت العالم بأسره ؟

هرنـــانى : حينئذ يبقى لى القبر .

دون كارلوس : سأدق رأس مؤامرتكم الوقحة .

هرنـــانى : الانتقام أعرج ، يسير على مهل . ولكنه يصل إلى ما يريد .

دون كارلوس : (وهو يضحك ساخرا بجانب من فمه) أنا ألمس بيدى المرأة التى يتعشقها قاطع طريق ! !

هرنـــانى : اذكر انك ما برحت في قبضة يدى . ولا تنس أيها القيصر الرومانى المقبل . انك الآن رهن كفى ، وأراك بين أصابعى شيئا هزيلا هشا . بحيث إذا شددت على هذه الكف التى هى منى . سحقت داخل البيضة نسرك الامبراطورى

دون كارلوس : افعل .

هرنـــانى : اخرج .. قلت لك اخرج

(يخلع عباءته ويلقى بها على كتف الملك)

اهرب ، واياك أن تنحى عنك هذه العباءة . لانى أخشى عليك ، بدونها ان تنالك نصال رجالى

(الملك يندثر في العباءة)

انطلق مطمئنا الآن . ان ثأرى منك لن يقوم به أحد سواى ، ولن أتخلى عنه ليد غير يدى المتعطشة إلى دمائك ، وفي هذا ما يجعل رأسك منى شيئا مقدسا أحافظ على سلامته .

دون كارلوس : أيها السيد ، يامن جرؤت على مخاطبتى على هذا

الوجه ، لا تسألني يوما رحمة ولا غفرانا .

(يخــــرج) .

المشهد الرابع

هرنـــانى — دونيا سول

دونيا سول : (ممسكة بيد هرنانى) والآن فلنسرع بالهرب

هرنـــانى : (وهو يبعدها عنه في لطف ووقار) ياحبيبتى ، يجمل بك أن تراجعى أمرك .

انه لشعور نبيل وكريم أن تبقى مصرة على أن تشاركينى قدرى الجائر ، وعلى ألا تتراجعى عن أن تكونى إلى جوارى طوال أيامى حتى النهاية . شعور كريم لا يصدر الا عن قلب ملوءه الوفاءو والاخلاص . الا أننى يا الهى — لا أجد الراحة في هذا ، فاننى رغم سعادتى ،اذ أرانى أضم إلى جانبى هذا الكنز من المحاسن ، ورغم ما أحسه من الزهو ،إذ أجد دونيا سول طوع أمرى وملك يمينى أثرت غيرة الملك ، فان كل هذا يخلد بى إلى الخجل ويسلمنى إلى وخز الضمير . ان منصة الاعدام أصبحت قريبة منى ، ولم يعد أمامى متسع في الحياة .

دونيا سول : ما تقول ؟

هرنـــانى : هذا الملك منزل بى عقابا لاشك ، لاننى واجهته، ثم جروءت على العفو عنه قادرا ، إنطلق هاربا

من هنا ولعله الآن في قصره يحيط به أعوانه وحراسه وخدمه والجلادون .

دونيا سول : يا الهي ، هرناني انك تجعلني أنتفض رعبا . . هيا لنسرع بالفرار جنبا الى جنب ..

هرناني : جنبا إلى جنب . . لا . . لا ، ان الوقت قد فات ويا للأسف ! !

دونيا سول . . . حينما تنازلت فخصصتني بحب هو الاعزاز والغوث ، استطعت على فقرى ، وبؤس حالى . . أن أقدم لك غابتى وجبلى ، ومشربى من السبيل المتدفق ، ثم زادنى جرأة ، اشفاقك علىّ ، فبذلت لك خبزْ الطريد ، وجانبا من مرقدى الأخضر المبطن بالعشب الذى أهدته لى الطبيعة ، أما أن أمنحك اليوم نصف منصة الاعدام ، فلا ، وأرجوك المعذرة ، دونيا سول ان هذه لى أنا وحدى من غير شريك .

دونيا سول : ومع ذلك سبق أن وعدتنى بها

هرناني : (جاثيا على ركبتيه) أيها الملاك . في هذه الساعة التى أرى فيها الموت محلقا فوق رأسى ، اذ أنا أحسه وهو يقترب منى متسللا في الظلام ليضع نهاية محزنة لحياة ملؤها الأحزان ، أرفع الصوت عاليا بأنى — رغم كونى طريدا ، أنوء بأثقال الهجوم وقد ولدت في مهد ينضح بالدم ، وعشت حياة لها سواد الحداد . . أرفع الصوت بأنى رجل سعيد ، وأود أن يحسدنى الناس ، لأنك

أحببتنى ، لأنك صارحتنى بهذا الحب ، لأنك باركتنى همسا ومسحت اللعنة التى تعلو جبينى.

دونيا سول : (وقد انحنت برأسها فوق كتفه) هرنانى .

هرنـــانى : فلأحمد لهذا القدر الرفيق الحانى . إذ وضع هذه الزهرة على حافة الهاوية التى تنتظرنى

(يهم هرنانى واقفـــا)

ولا أعترف بما قلت لكى تسمعيه ، ولكن لكى تردد أصداءه السماء وليصل الى مسامع الله .

دونيا سول : اسمح لى أن أتبعك .

هرنـــانى : انها لجريمة أن نقتلع الزهرة ونحن نتحدر في الهاوية يكفى انى تنشقت أريجها . لا . . صلى أيامك التى كدت أكدر صفوها بأيام رجل غيرى . تزوجى ذلك الهرم . أنت في حل منى . سأعود أنا الى ليلى المدلهم السواد ، كونى سعيدة ولوذى بالنسيان .

دونيا سول : كلا . . سأتبعك . أريد حصنى من كفنك . . أربط نفسى بأقدامك

هرنـــانى : (وهو يضمها بين ذراعيه) آه . . دعينى أهرب وحيدا

(يحاول الابتعاد عنها)

دونيا سول : (في حزن وقد أمسكت احدى يديها بالأخرى.) هرنانى ، أتهرب منى ؟

مجنون من يهب حياته لمن يمعن في الابتعاد عنه .

أليس من حقى – بعد ما كابدت من آلام
الحب ومتاعبه – أن أسعد بالموت الى جواره ؟

هرناني : انني مجرم منفي . . أنا طريد . . أنا شؤم وبؤس وشقاء

دونيا سول : أنت جحود ناكر جميل .

هرناني : (وهو يعود) لا ، لا . . ها أنا ذا باق . . أنت تريدين ذلك ، فليكن ، تعالى بين ذراعي ، سأبقى . . سأبقى ما أردت أنت هذا . البقاء لننس مافات . . لنجلس

(وهو يجلسها على مقعد حجرى)

اجلس فوق هذا الحجر . .

(وهو يجلس عند قدميها)

النور وقد اشتعل في عينيك يبهر ناظرى . هيا انشدى ما كنت تنشدينه أحيانا والليل ساج كنت تنشدين والدمع يجول في عينيك الدعجاوين لنكن سعداء لنمرح ، لنحتس الكأس فقد قاربت أن تفيض بما فيها . . هذه الساعة لنا ، وما تبقى بعد ذلك فهباء وخيال . تكلمى ، أفرغى علينا فتنة وسحرا .

ألا ترين ما أحلى الحب ؟ وما أمتع أن ترى من تحبين يجثو دائما عند قدمى محبوبته ؟ ! ثم ما أروع أن نكون اثنين منفردين يتشاكيان الجوى في الليل والناس يغطون في النوم ! !

دعيني أسند رأسي الى صدرك وأستسلم الى الحلم الجميل

دونيا سول : يا غرامى . . ما أبدع . . .

(يسمع من بعيد قرع أجراس)

دونيا سول : (تهب واقفة وقد تملكها الفزع) ناقوس الخطر يدق لإيقاظ الناس

ألا تسمع ناقوس الخطر ؟

هرنـانى : (مالبث جاثيا على ركبتيه) ليس هذا ناقوس الخطر . انه الناقوس الذى يعلن عرسنا

(تزداد عنفا دقات النواقيس وتخالطها صيحات غير واضحة المعالم ، وتظهر وسط الظلمة مشاعل تضيء هنا وهناك ، وأنوار تسطع في النوافذ وعلى أسطح المنازل)

دونيا سول : انهض . . اهرب . . يا الهى ان سرقسطة تشتعل .

هرنـانى : (وقد هب في نصف قومة) سيكون لنا عرس على أضواء المشاغل .

دونيا سول : عرس الموتى . عرس المقابر .

(يسمع صليل سيوف وصراخ)

هرنـانى : (وهو يضجع على المقعد الحجرى) الى صدرى .

أحد الجبليين : (وهو يدخل وسيفه في يده) مولاى ان رجال الشرطة والحراس يتدفقون جماعات خلف جماعات في الميدان . تنبه وخذ حذرك يا سيدى .

(يهب هرنانى واقفا)

دونيا سول : (وقد علاها الشحوب) كنت أتوقع هذا .

أحد الجبليين : النجـــدة . .

هرنـــانى : (الى الجبلى) هأنذا وعلى تمام الاستعداد .

(أصوات من الخارج تصيح الموت لقاطع الطريق)

هرنـــانى : (الى الجبلى) هات سيفك (الى دونيا ســـول) الوداع .

دونيا سول : أنا من عملت على فقدك . الى أين أنت ذاهـــب؟ (تشير الى الباب الصغير) تعال . . لنهرب من هذا الباب .

هرنـــانى : يا الهى . . أترك رفاقي ! ! ماذا تقولين ؟

(ضجيج وصياح)

دونيا سول : هذا الصراخ يمزق قواى . (ممسكة بهرنانى) اذكر أنك اذا لقيت حتفك فانى لاحقة بك .

هرنـــانى : (وقد أمسك بها في عناق) قبلة .

دونيا سول : . . . . . . روحى ، سيدى . . هرنانى

هرنـــانى : (وهو يطبع قبلة على جبينها) ويحى هذه هـــى القبلة الأولى .

دونيا سول : أسفاه . . ولعلها القبلة الأخيرة .

(ينطلق هرنانى خارجا وتقع هى على المقعد الحجرى)

(ســـــتار)

الفصـــل الثـــالث

قصر دى سيلفـــا

(ويقع في جبال مقاطعة أراجـــون)

بهو قامت به صور كبيرة لوجوه من أسرة دى سيلفا ، بهو واسع الأرجاء تزينه هذه الصور وقد علقت على الجدران ضمن اطارات ثمينة تعلوها تيجان الدوقية وشعاراتها . وبين هذه الاطارات تقوم مجموعات من أسلحة ، كل واحدة منها تنتمـــى الى عصر من العصور .

وفي مؤخرة البهو باب كبير على الطراز القوطى .

المشهد الأول

دونيا سول : (وقد ارتدت ثوبا أبيض اللون ووقفت الى جوار نضد)

روى جوميز

دى سيلفا : (جالس على المقعد الدوقي الكبير المصنوع مـــن خشب السرو)

روى جوميز : أخيرا . . لن ينقضى هذا النهار ، بل لن تمـــر ساعة من الزمن يا دوقتى ، الا أصبح لك الزوج ، بعد أن كنت لك العـــم . ولكن أخبريني هل صفحت عني حقا ؟ كنت مخطئا . . أعـــترف

بذلك . . كنت السبب في أن يحمر جبينك وفي أن تعلو الصفرة خديك . . كنت متسرعا في شكوكي . . وما كان لي أن أقضي بأمر في حقك قبل أن أسمعك . ما أكثر ماتورط في اصدار أحكام خاطئة ! ! حقا كان هناك الشابان الوسيمان ولكن ماذا يهم ؟ كان يجب ألا أحكم بما رأته عيناى . ولكن ماذا تريدين يا صغيرتى . . انها الشيخوخة ! !

دونيا سول : (في جمود وفي تحرز) تعيد ذكر هذا الحديث دائما ! ! هل لامك أحد في شيء ؟

روى جومير : أعترف أنا المذنب . كان يجب أن أعرف أن من لها نفس مثل نفسك يادونيا سول ، يجرى فيها الدم الاسبانى الأبيّ ، لا يمكن أن يدير رأسها عبث من معابثات الهوى .

دونيا سول : حق يامولاى انه دم أبيّ ونقى وقد نرى مصداق ذلك عما قريب (١)

روى حومير : (ينهض ويقترب منها) أصغ الىّ . بعد علينا أن نسيطر على فعالنا حينما نقع في شرك حب مثل حبى اياك . . ويكون هذا الحب في الوقت نفسه طاعنا في السن . ثم . . . . هو يكون غيورا ويكون خبيثا . . ولماذا ؟ لأن السن تكون قد تقدمت بنا ، لأن الوسامة واللطافة في الآخرين ، تخيفنا

---

١ - لعل في هذه العبارة تلويحا غامضا انها تعتزم الانتحار .

وتهددنا ، وتسلمنا في الوقت نفسه الى أن نخجل من نفوسنا .

ثم ياللسخرية ! ! ان هذا الحب يدبّ على قدم واحدة فهو ، وان أعاد الى القلب نشوته وحرارته ، فانه ينسى الجسم . . لايعيد اليه شبابه وفتوّته . نعم وانى لكذلك . . . .

ويقع أحيانا أن يمر بى راع في مقتل الشاب وهو يغنى في خفة في حين أن أجدنى نهب تأمل عميق جاد . وبينما هو يضرب بسيره في مروجه الخضر ، أرانى أسير في دروب قصرى القاتم .
ايه أيتها الأبراج ذات الشرفات العالية . .
ايه أيها البرج الدوقي الشامخ والطاعن في القدم ! شد ما أنا مستجيب الى أن أتنازل عنك ! ! نعم أعطيك ، كما أعطى حنطتى ، وغاباتى ، وقطعانى الكثيفة التى تجتر العشب في تلالى بل وكم يسعدنى أن أنزع عنى اسمى القديم ، ألقابى العتيقة ، أطلالى القائمة . . وأن أخلع عنى أسلافي الذين يترقبون أن أصير اليهم . . أنزل عن كل هذا ، في مقابل كوخ هذا الشاب الحديث العهدبالبناء ، ومن أجل أن يكون لى جبينه المشرق ، وشعره الفاحم السواد وعينه التى تلمع مثل عينك أنت . فاذا وقع نظرك عليه لم تتمالكى عن أن تقولى: آه . . من هذا الشاب ! ! ثم سرعان ماتعودين

الى التفكير في شخصى أنا الشيخ الذى أثقلتـــــه السنون ! !

أعرف كل هذا . .

حق أن اسمى (سيلفا) ، غير أنه لا يكفى ، كما أنه لا يعوضك شيئا فتأملى اذن مقدار حبى لك! ! انى أعطى كل شيء في سبيل أن أعود شابـــــا ووسيما ، كما أنت شابة وجميلة .

ولكن ما الفائدة في أن أتمادى في هذا الحلـــم ؟ أنا أعود الى الصبا والجمال ؟ أنا من سيتقدمك الى القبر ؟

دونيا سول: من يدري ؟

روى جوميز: ولكن اسمعى — وصدقينى فيما أقول :

ان ما يحمله كل من هذين الفارسين الطائشين في قلبه ، لايزيد عن كونه عاطفة تفنى مع الكلام . فاذا إستسلمت فتاة الى حب أحدهؤلاء المراهقين فلا تلبث أن تفضى بحبها ، وهو واقف يسخر منها ! !

ان شأن هؤلاء المراهقين العابثين ، شأن عصافير الزينة ، لها الريش الملون الجميل ، والصوت الغريد الحنون الا أن حبهم لا يستقر على حال اذ هـــو دائم التغير ، شأن الريش في أجنحتهم .

أما نحن . . فنجيد الحب ، ونصدق فيه ونفنى ، لأنه في قلوبنا عقيدة راسخة .

حتى أن أقدامنا ثقيلة الخطا . . أليس كذلك ؟ . . وان نظراتنا يعوزها الدفء . . كما أن جباهنا تخططها الغضون ، ولكن قلوبنا لا تعرف هذه الغضون والتجاعيد .

ثم ان الشيخ ـ وأسفاه ـ اذا أحب فواجب أن تحوطه أسباب الرفق والرعاية . ان القلب لايهرم ، هو في شباب دائم ، وفي وسعه دائما أن يتفصددما.

ثم . . ثم اعلمي أن حبي ليس ألعوبة من الزجاج تلمع ، يرتعش الضوء عليها ويرقص ، بل هو حب عنيف صارم ، عميق الأغوار ، متين ، مستوثق من ذاته ، أبدىّ ، ودّى ، وفيه صلابة خشب السنديان الذى صنع منه هذا الكرسى الدوقي . . كذلك حبي لك . .

بل هو يتجاوز كل هذا ، ، في دلالته وفي أسلوبه . .

ان حبي لك ، شوقي الى طلعة الفجر ، ونضرة الزهر ، واشراقة النور في السماء . وانى لأصخب فرحا وابتساما ، بل أحس أنني أعيش أفراحا لا تنتهى ، ومآدب . . لا تنقضي ، كلما شاهدتك أنت كل يوم ، نعم أنت . . وأنت تتمايسين دلالا ، وتتمايدين في خطوك الرشيق ، ولك الجبين الوضاء ولك العين الدعجاء ، المتألقة والنظرة الشامخة.

دونيا سول : وا أسفاه !

روى جوميز : ثم هناك أمر آخر . .

ان الناس يقفون أمام مظهر رائع من مظاهر الجمال والرأفة حينما يرون رجلا وقد استسلم يجــود بروحه على مهل ، بحيث اذا أوشك أن يقف على حافة القبر وجدوا امرأة تقف الى جانبه ، هى الملاك في طهارته ، والحمامة في وداعتها ، تسهر عليه وترعاه ، وتسكنه الى جوارها وتكابد فى علاجه وتتألم . . هذا الشيخ الطاعن في السن الذى لم يعد يصلح لأمر الا أن يموت .

ألاترين ان هذا عمل مقدس جدير بالثناء والاكبار لأنه نبض قلب يفيض بالمروءة والمودة !!

وما أروع القلب اذ ينحنى يواسى الراحل عن هذه الدنيا ويتظاهر بأنه يحيطه بالحب ، وان كان هذا القلب لا يحب حقا !!

ستكونين أنت منى هذه المرأة التى تحمل قلب ملاك ، وسترعين نهاية أيامى رعاية شطر منهـا هو حنان الابنة ، وشطر منها هو اشفاقة الأخت .

دونيا سول : قد أسبقك الى القبر يامولاى ، بدلا من أن ألحق بك . . اننا لا نعرف متى نموت ، والصبا لا يعصم من الموت وأسفاه ! . وكثيرا ما يبطئ الشيوخ ، في حين يسرع الشباب ، وتنغلق جفونهم عــلى العيون ، كما تنطبق جنادل وصفائح على قــبر مفتوح .

روى جوميز : هذا كلام محزن وكئيب ، اذ يجيء في يوم لـه قداسته . انه يوم يجب أن يكون للهزة والمرح . . ولكن ما هذا ؟ أراك لم تتهيء بعد للذهاب الى الكنيسة ؟ هيا وارتدى ثياب العرس . انى أحسب اللحظات .

دونيا سول : ما برح هناك متسع من الوقت.

روى جوميز : بل لم يعد . . (يدخل أحد خدام القصر) ما وراءك أيها المراقب ؟

الخادم : بالباب رجل يامولاى ، وما أدرى أهو من الحجاج أم من المتسولين !! المهم في الأمر انه يلتمس المأوى في القصر . .

روى جوميز : مهما يكن من أمره فهو على الرحب والسعة ، ان السعد في ركاب الوافدين . ليدخل ، وفيما عدا ذلك ما عندك من الأخبار ؟ وماذا سمعت منها خاصا بزعيم قطاع الطرق . هـذا المتمرد الذى خرج على القانون ، وأثار العصيان في غاباتنا .

الخادم : انتهى أمر هرنانى ، وقضوا على أسد الجبال

دونيا سول : (منفردة) يا إلهى

روى جوميز : أفصـح .

الخادم : تفرقت العصابة وتحطمت ويقولون ان الملك نفسه تعقب آثارها وهو يرصد الآن جائزة قدرها ألف قطعـة ذهبية تحمل صورتـه ، لمن يأتى برأس هرنانى . والشائع على الألسن أنه قتل .

دونيا سول : (على حدة) ماذا ؟ أهكذا تموت يا هرنانى وحدك وبدونى ! !

روى جوميز : حمدالله ، مات الثائر العاصى ، ولنا أن نبتهج الآن يا جمياتى ، ياكبريائى وزهوى ، هيا . . ارتدى ثياب العرس وتجملى، اليوم لنا عيد وعيد.

دونيا سول : (منفردة) سأرتدى ثياب الحداد

روى جوميز : (الى الخادم) اسرع وأحضر الحلية التى اخترتها هدية لها (وهو يجلس على المقعد الكبير)
بى شوق الى أن أراها في زينة تشبه تلك التى عليها صورة العذراء ، ان جمالها اذا تألق في حلاوة عينيها ، وفي طرافة الحلية التى أهديتها اليها . لم يملك العابد المتبتل الا أن يجثو أمامه . . .
ولكن ما هذا ! ! انصرفت عن الرجل الذى جاء يلتمس المأوى عندنا . . قل له أن يدخل ، وأبلغه اعتذارنا اذ أبقيناه في الخارج . . أسرع .
(ينحنى الخادم ويخرج)
من سوء الأدب ترك الضيف ينتظر
(ينفتح باب المؤخرة ويظهر هرنانى متنكارا في زى أحد الحجاج وينهض الدوق ويسرع لاستقباله .)

المشهد الثاني

روى جوميز — هرنانى

هرنانى : (وهو على عتبة الباب) مولاى . . انى أحمل اليك السلام والسعادة .

روى جوميز : ولك مثلها ياضيفى . .

(يتقدم هرنانى . ويجلس الدوق على المقعد)

أمن الحجاج أنت ؟

هرنانى : نعم يامولاى

روى جوميز : جئت ولا شك من أرميلاس ؟

هرنانى : سلكت طريقا آخر لأنهم يتقاتلون في ذلك الطريق

روى جوميز : يقاتلون عصابة ذلك الطريد المنفى . أليس كذلك

هرنانى : لا أدرى

روى جوميز : وزعيمها هرنانى . . أتعرف ماذا انتهى اليه أمره ؟

هرنانى : أيها المولى . . ومن يكون هذا الرجل ؟

روى جوميز : ألا تعرف ؟ خسارة . أضعت مبلغا كبيرا من المال . . مكافأة رصدت لمن يأتى برأسه . اعلم أن هرنانى متمرد على الملك ولكنه ظل مدة طويلة من غير أن يناله عقاب . . إذا انتهى بك المطاف إلى مدريد ، فيمكن أن تراه وهو معلق في المشنقة

هرنانى : ليست مدريد في طريقى

روى جوميز : ان رأسه ملك لمن يناله

هرنانى : (منفردا) ليتقدم من يريد أن يناله

روى جوميز : أى مكان تقصد أيها الحاج الصالح ؟

هرنانى : سرقسطة أيها المولى .

روى جوميز : لتفى ولا شك بنذر نذرته على شرف أحد القديسين ، أو لسيدتنا العذراء ؟

هرنـــانى : نعم يادوق . لسيدتنا العذراء .

روى جوميز : سيدة بيلار .

هرنـــانى : نعم سيدة بيلار.

روى جوميز : جحود ووضيع من لا يفى بنذوره للقديسين . ولكن ما مقصدك بعد أن تفى بنذرك ؟ أن تكتفى بمشاهدة العذراء فحسب ؟

هرنـــانى : نعم أريد أن أملأ ناظرى بالشعل والشموع . وبالسيدة العذراء وقد استقرت في نهاية الرواق المظلم وهى تسطع داخل صندوقها الوهاج الذى يتضمن بعضا من مخلفاتها .. أملأ ناظرىّ بكل هذا ، ثم أعود .

روى جوميز : عظيم جدا . . وما اسمك يا أخى ؟ أنا روى جوميز دى سيلفا .

هرنـــانى : (مترددا) اسمى ؟

روى جوميز : أبقه سرا إذا أردت ، فليس لأحد هنا أن يعرفه — أجئت تلتمس المأوى ؟

هرنـــانى : نعم ادوق .

روى جوميز : أهلا وسهلا ولك كل ما تريد أما اسمك ، فهو ضيفى ، ولتكن من تكون . انى لأمنح الشيطان ضيافتى ، مادام الله أرسله لى .

(يفتح باب المؤخرة على مصراعيه وتدخل دونيا سول مرتدية ثياب العرس في زيه القسطلانى ،

وخلفها غلمان وخدم ، وسيدتان تحملان ، على وسادة من المخمل ، صندوقا مجدولا بالفضة ، ويدعانه على المنضدة ، هذا وفي داخل الصندوق التاج الذى تلبسه الدوقة وقد وضع داخل علبة ثمينة ثم أخلاط من عقود وأساور وجوهر)

(هرناني ، وقد فوجئ بهذا المنظر ، يلتقط أنفاسه مبهورا وقد استقرت عيناه على دونيا سول ، ولم يعد يصغى إلى ما يقوله الدوق)

المشهد الثالث

السابقان – دونيا سول – غلمان وخدم ووصيفات

روى جوميز : (مستمرا في حديثه) وهاك سيدتى أنا ، سيدتى العذراء ، وإذا ابتهلت اليها جاءك السعد والاقبال (يهب واقفا ويمد يده إلى دونيا سول التى عراها جمود واصفرار ثم يقدم دونيا سول إلى (الضيف) زوجتى الحسناء . . تعالى . . ماهذا ؟ ألم تضعى بعد خاتم الخطبة في إصبعك؟ والتاج على رأسك؟

هرناني : (منفجرا في صوت يرعد) من يبغى ألف دينار ذهباً

(يلتفت اليه الجميع وقد لبسهم العجب ثم يشق هرناني ثوب الحاج الذى يرتديه ويظهر في لباس أهل الجبل)

أنا هرناني

دونيا سول : (منفردة في فرح شديد) الهى ! ! انه حى .

هرنـــانى : (الى الخدم) أنا هو ذلك الرجل الذى يبحثون عنه (الى الدوق) كنت تريد إذا كنت أسمّى بيريز أو دياجو ؟ لا . . لست واحدا منهما . اسمى هرنانى ، وهو اسم أغلى وأشهر منهما لأنه اسم منفى وطريد مطلوب . أترى هذا الرأس ؟ انه يساوى من الذهب ما يكفى دفع نفقات عرسك .

(إلى الخدم)

هذا الرأس أعطيه لكم جميعا وستنقدون عنه مالا كثيرا ، خذوا هذا الرأس هيا . . أوثقوا يدى ، ضعوا الأغلال في قدمى ، تقدموا ولا تهابوا شيئا ، فانى مكبل بسلسلة لا أقوى على تحطيمها .

دونيا سول : (منفردة) ما أشد تعاستى ! !

روى جوميز : هذا جنون . . ان ضيفى مجنون .

هرنـــانى : ضيفك قاطع طرق !

دونيا سول : لا تلقوا بالا الى ما يقول .

هرنـــانى : قلت ما يجب أن أقول .

روى جوميز : ألف دينار ذهبا . . يا سيدى هذا مبلغ كبير من المال . . ولا أثق في كل رجالى .

هرنـــانى : وماذا يهم ! ! من الخير أن يكون بينهم واحد يغريه هذا المال .

(الى الخدم)

أسلمونى . . خذوا ثمن رأسى .

روى جوميز : (وهو يحاول اسكات هرناني) حسبك والاوجدت بينهم من يأخذك بكلامك

هرنـــانى : (مستمرا) أيهـــا الأحبـــاء . . الفرصة سانحة . . أوكد لكم أنني هرناني المطارد الثائر . .

روى جوميز : صمتـــا

هرنـــانى : أنا هرنـــانى

دونيا سول : (وهى تهمس في أذنه) وماذا بعد ذلك ؟ اصمت

هرنـــانى : (مستديرا نحو دونيا سول) عرس يقام هنا ! وأنا بدورى أريد أن يكون لى عرس إن عروسى تنتظرنى أيضا .

(الى الدوق)

هي دون عروسك جمـــالا يامولاى ، ولكنهـــا ليست أقل وفاء . . عروسى هـــي الموت (الى الخدم)

ألم يتقدم أحد منكم حتى الآن ؟

دونيا سول : (في صوت خافت) رحمة بى

هرنـــانى : أنا هرنانى . . ألف دينار ذهبا .

روى جومير : هذا هو الشيطان بعينه .

هرنـــانى : (مشيرا الى شاب بين الخدم) تعال أنت. .تقدم لتربح هذه الجائزة ستثرى ، وستصبح بعد ذلك حرا بعد أن كنت خادما . .

(الى الخدم الذين جمدوا في أماكنهم دهشة)

وأنتم أيضا ترتعدون !! الى هـــذا الحد انتهى مصابى ؟

روى جوميز : يا أخ . . ان من يمس رأسك ، يخاطر بفقد رأسه ، ولو كنت أنت حقا هرنانى ، أو كنت من هو أخطر منه وأسوأ مائة مرة فلن أبيع رأسك ولو أعطيت امبراطورية بأسرها وليست حفنة مـن الذهب .

يا ضيفى ، لك مـنى واجب الحماية حتى من الملك ، ما دمت في هذا المكان ، ان الله هو الذى أرسلك إلى ، ومنه تسلمتك . انى أدفع حياتى اذا سقطت شعرة واحدة من رأسك .

(الى دونيا سول)

يا بنة أخى ستصبحين زوجتى بعد ساعة فالحقى الى غرفتك . سأتولى تحصين القصر ، وسأوصد أبوابه .

(يخرج يتبعه الخدم والغلمان)

هرنـــانى : (وهو يتأمل حزامه الذى خلا من السلاح) حـــتى ولا مدية !!

(دونيا سول تخطو نحو الباب الكبير بضع خطوات على أثر خروج الدوق تريد الانصراف ، ولكنها تتوقف فجأة وتأذن لوصيفاتها بالخروج . فاذا انصرفن تقدمت الى هرنانى يمزقها الألم والفزع)

المشهد الرابع

هـــرنانى ـــ دونيا سول

(هرنانى يرمق باستخفاف صندوق الجواهر ثم يهز رأسه وقد اتقدت عيناه)

أهنئك ، هذا أكثر لها أقدر على وصفه .

هذه الزينة وتلك الجواهر تجذب وتأسر . . انهـــا تستأثر بإعجابى . .

(تقترب من الصندوق القائم فوق المنضدة)

الخاتم في صنعه ينم عن ذوق مرهف . . وهذا التاج يعجبنى رواؤه ، والعقد خرج من يد صناع مبدعة . . وهذا السوار يندر أن يكون له مثيل . الا أن هذا كله يرخص ويفقد قيمته مائة مرة اذا تحلت به امرأة تخفى وراء وجهها الصبيح قلبـــا ملوءه الخزى والخيانة .

(وهو مستمر في تقليب ما بداخل الصندوق باحدى يديـــــه)

وماذا أعطيت في مقابل كل هذا ؟ لنر . . أعطيت قليلا من الحب ؟

ولكنك في الواقع أعطيته من أجل شيء تافـــــه لا يستحق . . وخنت العهـــد . يا الهى ياقادر . . تخونين على هذا الوجه من غير استخذاء ولاخجل !

(يفحص علبة التاج)

ومع ذلك فقد يكون كل هـــذا الحلى مزيفا . .

اللآلئ مقلدة ، النحاس الرخيص يأخذ مكان الذهب الثمين ، زجاج ، رصاص ، ماس كاذب ، ياقوت مزور . . . اذا صح ما أقول فان قلبك يا دوقة ، لابد أن يكون مزيفا مثل حليك . . وأنك لست الى مسحة الذهب وليس الذهب نفسه ! !

(وهو يعود الى الصندوق)

ولكن لا . . لا . ان كل ما أراه أصيل وجيد وجميل . ان شيخا يقف على حافة القبر لا يجرؤ ان يخادع . . كل شيء أراه في تمام كما له وأصالته

(وهو يتناول بدوره قطع الحلى الواحدة بعد الأخرى)

العقود والماس ، والأقراط ، وتاج الدوقية ، والخاتم ، كله من أثمن ما يكون ، ان الحب العميق الصادق الأمين لا يمكن أن يمنح الا ما هو ثمين غال . وهذه العلبة الغالية . . .

دونيا سول : (تتقدم نحو الصندوق وتمد يدها باحثة في أعماقه لتخرج وفي قبضتها خنجر (يدك لم تهبط الى قاع الصندوق . هذا هو الخنجر الذى انتزعته من الملك كارلوس حينما كان يغريني بأن يمنحني عرشا فرفضته من أجلك ، أنت يامن يهينني الآن

هرناني : (وهو يركع) ويلى ! ! دعيني وأنا جاث على ركبتي ، أمسح هذا الدمع المرير الذى تذرفه عيناك الفاتنتان ، ولك أن تأخذى حياتى ثمنا لهذا الدمع .

دونيا سول : (وقد عاودها حنان) هرناني . . أحبك وأعفو عنك . لأنني لا أملك الا أن أحبك . .

هرناني : هي تصفح عني . . تحبني . . آه من في وسعه أن يجعل مني شخصا آخر . بعد أن قلت ما قلت . لأسامح نفسي عما قلته لها وأغفر . ولاأعود الى حبها ؟ آه أريد أن أعرف . ياملكا مختارا من أملاك السماء . أين مواطئ قدميك وأنت تسيرين لأشبعها تقبيلا .

دونيا سول : حبيبي .

هرناني : لا . جدير بي أن أمقت نفسي . . ولكن أصغ الى . . قولي لي أحبك . أعيدي الطمأنينة الى قلب يمزقه الشك ، أعيدي هذه القولة . فكم شفت هذه الكلمات القليلة أوجاعا ومسحت آلاما .

دونيا سول : (في غاية التأثر) أكان يظن أن قلبي على ضعف في الذاكرة بحيث يقذف الى خارجه من هو شغله وهواه ، لينزل مكانه رجالا لا قيمة لهم وينطوون على ميول دنيئة يزعمون انها أعلى مرتبة وأنقى معدنا منه ؟

هرناني : شد ما أنا آسف . . تطاولت على الطهارة وسببتها ، لو كنت مكانك يادونيا سول لعيل صبري وفني جلدي من تحمل هذا المجنون الغاضب ، هذا الممسوس الكئيب ، الذي لا يلاطف غيره ويدلله الا بعد أن يؤذيه ويؤلمه . لو كنت مكانك لقلت له اغرب عن وجهي .

وهأنـذا أناشدك أن تبعديني عنك . أن تقصيني من جوارك . انى أرحب بهذا النفى . بهذا البعاد لأريحك مني . كنت بي حفية ، ووسدتني الحنان والرفق ، ولم تضيقي بما تحملت من أجلي ، انني سيىء الخلق ، أسود نهارك بظلمة ليلي . . وان هذا لكثير . . فـان روحك أنفي وأرفع . واذا كنت أنا على طبع خشن خبيث فما ذنبك أنت في هذا ! !

هيا تزوجي الدوق ، الشيخ . هو كريم ونبيل ، وواسع الثراء ، ورث عن أمه مدينة (أوليدو) وعن أبيه مدينة (أنكادا) وسيكون لك ما هـو أكثر من هذا فاسعدي به وبثرائه .

أما أنا . . أفتعلمين ما تقدر هذه اليد ، عـلى سخائها ، أن تقدم لك من المنح والنفائس ؟ مهر من الآلام تختارين فيها بين الدم والدموع .

النفى ، الاغلال ، الموت ، الفزع ، من هذا كله يتألف عقدك الذهبي ، وتاجك الفخم .

ولن يستطيع زوج ذو اباء وشمم أن يقـدم الى زوجته غير هذا التاج الذى صيغ من البـؤس والأحزان .

تزوجي من هذا الشيخ الهرم . . انـه يستحقك ولأنت جديرة به .

من يصدق ان رأسي — وهو رأس شريد مطارد —

يصح أن يقف الى جانب رأس يتدفق الطهر من جبينه . . هو رأسك ؟

ان المقارنة مستحيلة . .

ومن يطالع كلانا ، انت في وسامتك ، وهدأتك وأنا في عنفي وجرأتي . أنت في سكونك . وفي رقة نموك كزهرة تينع في الظل ، وأنا في صخبي وفي شرتي وقد اصطدمت بما لا يحصره عد الأنواء في هوج العواصف . . . . من يطالع هذا ، ويحكم بأننا ولدنا تحت طالع واحد وأن كلامنا للآخر ؟ لا ، لا . . ان الله الذى أنزل بحكمته الأمور كما يجب أن تكون . لم يبتدعك من أجلى . فأنا لاسلطان لى عليك ، وليس لى الا أن أستسلم ، وأن أتنحى وأوسع الطريق لغيرى . حق أن لى قلبك . . ولكن هذا سلب وسرقة ، ويجب أن أرده الى من هو خليق به .

ان السماء لاتسمح بأن يستوثق حب بيننا .

واذا قلت ان حبي هو قدرك ، أكون من الكاذبين .

وفوق كل هذا ، فليس أمامى الآن الا أن أقول وداعا للثأر وللحب . . . . ان يومى قد انتهى . سأرحل لايرجى منى شيء ، حاملا بين ضلوعى خجلا مزدوجا ، لقد منيت بالخيبة في الانتقام وفي الحب .

ماذا أصنع ؟ دفعوا بى في طريق الكره والمقت ،

بينما أنا خائفة لأن أحب ! ! سامحيني ، اهــربي
مني ، أتضرع اليك . . فلا تروى هذه الضراعة
لأنها آخر ما أصبو اليه .

كوني للحياة . . ودعيني للموت .

فلا أعرف لماذا تلحين في أن ترقدى معى في لحد
واحــد ! !

دونيا سول : أيها الجاحد

هرنــانى : يا جبال أراجون . . وجاليس . . واستر امادور [1]
انى أحمــل الشؤم والشقـــاء الى من يحيط بى .
أخذت زهرة شبابك لاسترداد حقوقي ، فقذفت
بهم ، بلا وازع من ضمير الى جحيم المعارك .
وها هم أصبحوا في عداد الموتى ، وكانوا أشجع
من أنجبتهم اسبانيا الشجاعة .

سقطوا جميعا على الجبل ، سقطوا على ظهورهم
شأن الشجعان الذين يتلقون الموت بوجوههم
ليسلموا الروح ، ولو تفتحت عيونهم لما وقعت
الا على السماء الزرقاء .

هذا ما أنزله بكل من يحيط بى ، فهل من مثل هذا
الحظ العاثر تغارين ؟

دونيا سول ، تزوجى الدوق . . اعقدى عقدا مع
الجحيم . . خذى الملك ، كل هذا معقول وأهون

---

١ – أسماء لمقاطعات فى اسبانيا ، وقد اختارها المؤلف خاصة لأن فى أسمائها رنينـا
يتسق مع ايقاع الشعر الذى ينظم به حوار هذه المسرحية .

شرا . كل ما ليس أنـا خير منى أنا ! لم يبق لى صديق يحمل ذكراى . الجميع نبذونى وتفرقوا عنى . وأخيرا حان الوقت لأن تبتعدى عنى . . يجب أن أبقى وحيدا .

اهربى من صحبتى . لاتجعلى من الحب عقيدة تأسرك .

آه شفقة بى ورحمة . . اهربى منى . .

لعلك تحسبين اننى رجل مثل بقية الرجال ، كائن انسانى ذو ذكاء ورجاحة عقل ، ينطلق مباشرة ومن غير التواء نحو تحقيق الهدف الذى يريده ؟ تخدعين نفسك . . انى قوة تسير لأنـه مقدر لها أن تسير ، وهى لا تسمع ولا تبصر لأنها صدى لأسرار جنائزية محزنة

أنا روح الشؤم والتعاسة .

أين ينتهى بى المطاف ؟ لا أعرف ! !

ولكنى أحس أننى أدفع دفعا من جانب قـوة لا تقاوم ، وبيد قدر مخبول ، فاذا بى أهبط ... أهوى . . ولا أمسك عن الهبوط أبدا . .

واذا وقع أحيانا ، وأنا التقط أنفاسى وجرؤت أن أدير رأسى لأرى أين أنا ارتفع صوت ينادى. . سر . .

هذا والهوة تحتى بعيدة الأغوار ، تتأجج فيها النيران ، وتهدر الدماء فلا أرى فى قاعها إلا حمرة قانية .

ومع ذلك . ففى أثناء انحدارى المخيف ، أبصر كل شيء حولى يتحطم ويفنى والويل لمن يمد يده نحوى

آه . . اهربى . . حيدى عن طريقى الذى رسمه القدر ، والا ، ويالشقوتى ، آذيتك من حيث لا أقصـــد .

دونيا سول : ربـــــاه !!

هرنـــانى : انه شيطان مخيف ومهاب وقادر ، هذا الذى يلابسنى . . أقول لك هذا . الا أن سعادتى هـــى الأمر الوحيد الذى لا يقدر على تحقيقه . . وهذه السعادة هى أنت .

ولهذا فأنت لست لى . . فابغى سيدا غيرى ، اذهبى واذا وقع أن السماء التى حرمتنى وأنكرتنى ابتسمت لى ، فلا تصدقى . ان الأمر لا يتجاوز أن السماء تسخر منى .

تزوجى الدوق .

دونيا سول : ماذا ؟ ألا يكفى انك مزقت قلبى ، وتريد الآن أن تحطمه !! انك لم تعد تحبنى .

هرنـــانى : ويحى . . قلبى ، وروحى . . أنت .
مصدر أشواقي ومبعث صبابتى . . أنت !!
ألا تريدين أن تهربى يا معبودتى ؟

دونيا سول : لم أعد أريد شيئا الا أن أموت .

هرنـــانى : تموتين ؟ من أجل من ؟ من أجلى أنا ؟ أيقع انك تموتين من أجل شيء تافه مثلى ؟

دونيا سول : (وقد أطلقت العنان لدموعها) هذا ما سيقع (تقع على المقعد)

هرنـــانى : (جالسا الى جانبها) ويحى تبكين . . تبكين ! ! هذا أيضا ذنب من ذنوبى ومن سيعاقبنى عليه اذا كنت ستغفرينه ايضا ؟

ومن مخبرك بما أكابد من عذاب عندما أرى دمعة تغرق النور الذى يسطع فى عينيك ؟ ومن وهجه استمد نشوتى وسرورى ؟

أفقدنى الموت اصدقائى ، فأصبحت وبى مسٌ مـــن الخبال .
اعفى عنى . .

لى شوق الى الحب ، ولكننى أجهل كيف أحب ! !
أسفاه ، اننى مع ذلك أجدنى غريق حب بعيـــد الأغوار .

أمسكى عن البكاء ، والا فمن الخير لنا أن نموت
الا ليت لى دنيا بكل ما فيها لأعطيها اياك ؟ !
ولكن أين لى هذا وأنا تعيس ومحروم ! !

دونيا سول : (وهى تتعلق بعنقه) أنت أسدى المغوار الجميل . . أحبك .

هرنانى : يصبح الحب نعمة كبرى ليس بعدها نعمة ، اذا استطعنا أن نفنى به ونموت . .

دونيا سول : أحبك . . مولاى وسيدى أحبك . وانى كلى ملك لك .

هرنـــانى : (وهو يلقى برأسه على كتفها) آه . . ما أعذب طعنة من خنجر تسددها يدك ! !

دونيا سول : (متوسلة) ألا تخشى عقاب الله . وأنت تبيح لنفسك أن تتكلم على هذا النحو ؟

هرنـــانى : (وهو ما زال ملقيا برأسه على كتفها) ليجمع الله اذن بيننا ، وما دمت تريدين ذلك ، فليكن على هذا الوجه . قاومت كثيرا ولم أعـــد أطيق . (الاثنان كل منهما مرتم بين ذراعى الآخر ؛ وكل منهما يحدق في وجه الآخر في نشوة بحيث لم يعد يرى أو يسمع شيئا ، وكأنهما غابا عــــن الوجود بعد أن امتص كل منهما صاحبه . . ويدخل روى جوميز من باب المؤخرة ، ويرى ماتقـــدم ذكره فيتسمر في مكانه مبغوتا وذاهلا .)

المشهد الخامس

هرنانى — دونيا سول — روى جوميز

روى جوميز : (على عتبة الباب ، لا يبدى حراكا ، وقد عقد ذراعيه فوق صدره)

هكذا يكون شكر الضيف للمضيف ! !

دونيا سول : يا الهى . . الدوق

(تلتفت هي وهرناني وكأنما أوقظا من نوم عميق)

روي جوميز : (وهو على الموقف السابق ذكره) كذا يكون أجرى منك ياضيفي ؟

إيه أيها المولى الطيب القلب . . اذهب لترى إذا كانت أسوار القصر عالية وحصينة ، ولتستوثق أن الأبواب محكمة الاغلاق ، وان حملة النبال قابعون في الأبراج ، واقطع ساحة القصر ذهابا وايابا ، وابحث في مستودع السلاح عن عدة قتال تناسب قامتك ، وجرب وأنت في الستين أن تعيش فيها .

هذا ما يقضي به واجب الولاء نحوك لنحميك ممن يطلبونك ، فانظر إلى ما تقدمه أنت الينا ، بما أنت عليه الآن ! !

أيها القديسون ! ! قطعت أكثر من ستين عاما من العمر ، شاهدت خلالها الكثير من قطاع الطريق ممن تتجاوز جرأتهم كل المحظورات شرعت السيف في وجوه مجرمين هم طلبة الجلاد وصيده ، ورأيت أخلاطا من القتلة والسفاكين ، ومن المزيفين ، ومن الخونة ، ووقع بصري على من يلبسون زى الخدم — وهم ليسوا من الخدم — ليدسوا السم في طعام السادة . .

ووقفت أمام من أسلموا الروح من غير أن يباركهم الصليب ، أو تحوطهم مراسم الجنازة ،

علمت بما انتهى إليه أمر (سفورزا) [1] و
(بورجيـــا) [2] و (لوثـــر) [3] ولكنـــنى
لم ألتق بفساد وعفن مثل ماأراه ماثـــلا أمامى !
من ذا الذى لا يخشى أن تصعقه الصواعق إذا
جرؤ على خيانة مضيفه ؟

مثل هذه الخيانة الدنسة لم تكن في زمنى

مثل هذه الخيانة السوداء تحيل الشيخ الهرم إلى
حجر وقد وقف إلى عتبة بابه ، وتجعل منه تمثالا
يصح أن يوضع فوق قبره ، حينما يخر ميتا ،
هذا السيد الطاعن في السن .

أيها البربر ، أيها القسطلانيون ، مسلمين كنتم
أو مسيحيين بماذا تصفون هذا الرجل ؟

(يمر ببصره على الصور المعلقة على الجدران)

وأنتم يا آل سيلفا جميعا ، يامن تسمعوننى هنا ،
صفحاإذا قلت ما قلت أمامكم وغفرانا إذا دفعتنى

---

١ — هو لودفيج سفورزا ولقبه المغربى ، حكم مدينة (ميلان) بايطاليا بالســيف والنار ودس السم لابن أخيه وغدر بالفرنسيين بعد أن لبوا الدعوة لنجدته ثم هزمه لويس ١٢ ومات سجينا فى قصر (لوش) .

٢ — (سيزار بورجيا) الابن غير الشرعى للبابا اسكندر السادس ، وشقيق (ليوكريس) التى عالج شخصيتها نفس مؤلفنا فى مسرحية كتبها عام ١٨٣٣ باسم ليوكريس بورجيا ومثلت . وعاش سيزار حياة كلها مؤامرات وفضائح .

٣ — (مارتن لوثر) مصلح دينى اثارألمانيا بمطالبه الاصلاحية فى شئون الدين وتجاوز هذا الأمر إلى إنغماسه فى مؤامرات سياسية .

سورة الغضب أن أقول ان الدعوة إلى الضيافة نصيحة يجفوها بعد النظر ! !

هرناني : (وهو ينهض) يادوق . . .

روى جوميز : صمتا (يمشى روى جوميز أمام الصور في خطوات قصيرة وهو يمسحها بنظراته أيها الموتى المقدسون يـــا أسلافي . أيها الرجال الأشـــداء يامن، عركوا من يأتى من الجنة أو تقذف به جهنم الأخيار منهم والأشرار ، قولوا أيها السادة من أية طينة جبل هذا الرجل ؟ ليس هذا من يسمى هرناني ؛ هل أسميه يهوذا ؟ حاولوا أن تتكلموا لتذكروا لى اسمه .

(وهو يعقد ذراعيه فوق صدره)

هل شاهدتم طيلة حياتكم شيئا مثل الذى يجرى في هذا المكان الآن ؟ لا ....

هرنـــانى : أيها المولى الدوق

روى جوميز : (وهو مستمر في مناجاة الصور) ترون ؟ ها هوذا يجرؤ على الكلام . . هذا الوغد ، ولكنكم تقرأون في طوايا نفسه ما يفوتنى أن أراه .

لا تصغوا اليه . . هو خب مخادع . .

يتوقع بـــلا ريب ، أن يرى ذراعى تمتد اليه لتلطخ بدمه سقف بيتى .

بل هو يؤمل أن تتمخض ثورتى عن انتقام يضرب به المثل . .

سيقول لكم انه مطارد التجأ إلىّ ، وسيتمسح ، من أجل خلاصه . بأسماء الأجـــداد من آل « سيلفا » و « لارا » وبأنه ، فوق كل هذا ، ضيفي وضيفكم .

يا أجدادى ياسادتى ، هل أذنبت فيما وقع ؟ كونوا حكما بيني وبينه .

هرنـــانى : أى روى جوميز دى سيلفا ، إذا ارتفع نحو السماء جبين ملؤه النبل . .

إذا كرم قلب ، وعلت نفس ، فلن يكون ذلك الجبين غير جبينك ، ولن يكون هذا القلب وتلك النفس ، غير . . قلبك ونفسك ، أيها المولى . يا مضيفى الكريم ، أقر بأننى مخطىء ومذنب ، وليس عندى ما أزيد ، إلا أننى هالك ملعون مقضى عليه بالعذاب .

نعم اختطفت امرأتك . .

نعم أردت أن أغطى فراشك بالدنس .

نعم أنا العار . . والفضيحة .

أسفك دمى ، ثم نظف سيفك منه ، ولا تفكر بعد ذلك فيما وقع .

دونيا سول : أيها المولى ، ليس هو المجرم . . اسفك دمى أنا وحدى .

هرنـــانى : صمتا يادونيا سول ، ان هذه الساعة رهيبة ،

وهى لى وحدى . إذ لم يبق لى سواها . ولهذا اتركينى أعبر عن نفسى إلى الدوق

أيها الدوق — وصدق هذه الكلمات التى هى آخر ما أقول — أقسم لك اننى أنا المجرم الآثم وحدى . وهى الطاهرة الذيل النقية العرض . هذه هى المسألة في جوهرها : أنا المجرم وهى البريئة ، فامنحها ثقتك ، وجد علىّ بضربة من سيفك أو بطعنةمن خنجرك، هذا ما يجب أن يكون ثم لك أن تقذف بجثتى من الباب ، وأن تنظف الأرض من دمى ، إذ لم يعد يهمنى شيء بعد الآن .

دونيا سول : أنا وحدى المسئولة عما وقع . . لأننى أحبه .

(ينتفض الدوق عند سماعه العبارة الأخيرة ، ويستدير نحو دونيا سول ويحدجها بنظرة قاسية فلا تملك الا أن ترتمى على ركبتيها)

نعم أحبه . . وأرجوك المغفرة . . أحبه يا مولاى.

روى جوميز : تحبينه ! ! (الى هرنانى) ارتعدى مما ستلاقين

(تسمع ضجة ، وأبواق تصدح في الخارج ويدخل (وصيف) ماذا في الأمر ؟

الوصيف : ان الملك ، يامولاى قدم يتبعه فريق من حملة النبال ، وحامل البوق هو الذى يعلن الآن عن قدوم سموه

دونيا سول : رباه الملك . . هاهى ذى الضربة الأخيرة .

الوصيف : (الى الدوق) وهو يسأل لماذا أوصدنا أبواب القصر ، ويريد أن تفتحوها .

روى جوميز : افتحوا الأبواب للملك .

(ينحني الوصيف ويخرج)

دنيا سول : ضاع هرناني

(روى جوميز يتجه نحو اللوحة التي تضم صورته والقائمة في آخر الجدار الأيسر ، ويضغط على لولب خفي فتنفرج اللوحة عن باب لمخبأ داخل في الجدار)

روى جوميز : (ملتفتا الى هرناني) أيها السيد [1] أدخل هنا

هرناني : رأسي ملك لك أيها السيد ، فتصرف بها كيفما تشاء ، واني لأسيرك .

(يدخل المخبأ ويضغط روى جوميز على اللولب فينغلق الباب وتعود اللوحة الى مكانها)

دونيا سول : (الى الدوق) رحمة بنا أيها المولى

الوصيف : (يدخل معلنا) حضرة صاحب السمو الملك .

(تبادر دونيا سول بأن تسدل خمارا على وجهها ، وينفتح الباب الخلفي على مصراعيه ، يدخل دون كارلوس في لباس الحرب يتبعه رهط من النبلاء مدججين بدورهم بالسلاح وخلفهم جنود مسلحون بالنبال وبغيرها من أسلحة الحرب)

---

(١) — على الرغم مما وقع بين روى جوميز وهرناني ، فان الأول يعتبر الآخر ضيفا وله حرمته ، والضيف دائما جدير بالاحترام من جانب المضيف .

المشهد السادس

روى جوميز – دونيا سول – دون كارلوس – أتباع

(يدخل دون كارلوس في خطى وئيدة ، ويده اليسرى على مقبض سيفه ، وقد استقرت يده اليمنى على صدره . ويحدج الدوق بنظـرة ملؤها الغضب ، ويتقدم الدوق نحو الملك محييا وينحني أمامه انحناءة كبيرة ، وتمر برهة من الزمن يسودها صمت متوتر . .

ويتقدم الملك ليقف أمام الدوق ، فيرفع هذا رأسه)

دون كارلوس : ما السبب في أن أرى باب قصرك اليوم محكم الاغلاق بالرتاج يا بن العم ؟

وحق القديسين ، كنت أحسب أن سيفك قد أفقد الصدأ لمعته ، وما كنت أظن حينما أجيئك زائرا ، أن أرى هذا السيف ، عاوده بريقه واستقر في قبضة يدك ! !

(يحاول روى جوميز أن يتكلم ولكن الملك يقطع عليه الأمر في حركة حادة)

ألا ترى انه فاتك الزمن الذى تتعاطى فيه الشباب والفتوة ؟

هل جئنا اليك نحمل فوق رؤوسنا عمامات المغاربة ؟

هل هم يدعوننى ابا عبدالله [1] أو محمد [2]

---

١ – آخر ملوك العرب بالأندلس وقد هزمه وطرده من الأندلس الملك فردیناند الكاثوليكى ١٤٨١ .

٢ – يعنى المسلمين .

ولست كارلوس ؟ أجب . . لم أنزلت البـــاب الحديدى المشباك وأغلقت مدخل القصر . بعد أن رفعت الجسر الذى يؤدى اليه ؟ ؟

روى جوميز : (منحنيا في تحية) مولاى . .

دون كارلوس : تسلموا مفاتيح القصر ، واحرسوا الأبواب
(يسرع ضابطان بالخروج ، ويقوم غيرهمـــا بتنظيم الجنود في صفوف تملأ ما بين الباب الكبير والمكان الذى يقف فيه الملك)
(ويلتفت دون كارلوس الى روى جوميز)
آه . . أنت تعمل اذن على بعث التمرد وإيقـــاظ العصيان ؟

وربى . . اذا خطر لكم أيها السادة الدوقـــات أن تسلكوا معى هذا المسلك، فان الملك لن يتوانى عن حزم الأمور معكم ، حزم من يرى الأخطار تحيط به سأنهض بنفسي ، وأطلق يدى اللتين ألفتا القتال للقضاء على سيادتكم بأن أدك حصونكم .

روى جوميز : (رافعا قامته) يا صاحب السمو . ان آل سيلفا يدينون لكم بالولاء . .

دون كارلوس : (مقاطعا) من غير مواربة تكلم يادوق ، والا أمرت بأن تسوى بالارض أبراجك الأحـــد عشر من الحريق الذى أطفأناه بقيت شرارة . .
قضينا على جميع قطاع الطرق ، ولم يبق حيا غير رئيسهم .
ومن يتستر عليه ؟ أنت بعينك .

هرناني . هذا المتمرد الذى يدس سموم الفتنة ، هنا في قصرك ، وأنت تخبؤه .

روى جوميز : أيها المولى هذا حق .

دون كارلوس : حسن جدا ، أطلب رأسه . أو أقطع رأسك ، أتسمعنى يا بن العم ؟

روى جوميز : (منحنيا في احترام) الأمر أقل أهمية من أن يشغلك . ولسوف ترضى .

(دونيا سول تغطي وجهها بيديها وتسقط على مقعد)

دون كارلوس : (وقد خفت حدة غضبه) آه . . أراك تتدارك أخطاءك . . . اذهب وأتنى بأسيرى

(يعقد الدوق ذراعيه فوق صدره ويحنى رأسه وقد استغرقه تفكير عميق . الملك ودونيا سول يراقبانه في صمت ، وكل منهما تمزقه عوامل نفسية . وأخيرا يرفع الدوق رأسه ويتقدم الى الملك ويأخذ بيده ويسير به برفق أمام اللوحات المعلقة بالجدران ليقف أمام أقدام اللوحات ، وهى الأولى في البهو من ناحية يمين المتفرج)

روى جوميز : (وهو يشير بيده الى اللوحة) هذا هو الأكبر والاعظم من آل سيلفا ، وهو رأس العائلة ، والجد الأول (دون سيلفيوس) الذى نصبته روما قنصلا ثلاث مرات يحكم فيها .

(ينتقل الى لوحة أخرى)

وها نحن أمام (دون جالسيران دى سيلفا) ومقامه مقام (السيد) ويحرسون لـــه في بلده (تورو) القريبة من مدينة (الوليد) صندوقا مذهبا تملوءه مخلفات قديسين ، وتضيء حوله ألف شمعة ، لأنه حرر مدينة (ليون) من جزية المائة عذراء التى كانت ترسلها الى المغاربة

(أمام لوحة أخرى)

« دون بلاس » الذى أسلم نفسه مختارا الى النفى الدائم ، لأنه أحس بأنه لم ينصح الملك النصح الصائب.

وهذا هو « كريستوفال » حضر معركة «أسكالونا» فرأى الملك « دون صانش » وهو يفر على قدميه وريشته البيضاء مغروزة في خوذته وقد انهالـــت عليها ضربات السيوف وصاح مستنجدا « كريستوفال » فكان أن نزع كريستوفال الريشة وغـــرزها في سرج جواده .

(أمام لوحة أخرى)

« دون جورج » الذى دفع فدية « رامير » ملك أراجون الى البرابرة في نظير اطلاق سراحه

دون كارلوس : (وقد عقد ذراعيه على صدره وهو يتأمل الدوق من رأسه الى موطئ قدميه) وربى ، انى لمعجب بك يادوق . . ولكن ائتنى بأسيرى .

روى جوميز : (وقد سار بالملك الى لوحة أخرى) وهاك «روى جوميز دى سيلفا » الأستاذ الاكبر الذى تزين

صــدره أرفع أوسمه الفروسية « سان جاك » و « كالاترافا » كانت لأمته الحربية بسلاحها وبدروعها الفضفاضة لا تصلح لقاماتنا . غنم مائة راية ، وانتصر في ثلاثين معركة وكسب للملك مدن « موتريل » و « أنتكوبرا » و « فيجار » ، ومات فقيرا معدما . . يا صاحب السمو فلنحيي البطـل . .

(يخلع روى جوميز غطاء رأسه وينحنى انحناءة طويلة ثم يتقدم الى لوحة أخرى هذا والملك يصغى اليه وقد عيل صبره و بدأ الغضب يتقد في صدره) والى جواره يقف ابنه «جيل» المحبب الى النفوس التى تعلى شأن الولاء .

كانت يده اذا ارتفعت تقسم ، تساوت هذه اليد بأيدى الملوك . (منتقلا الى لوحة أخرى)

«دون جاسيا» وهو في نسبه العريق يرجع الى أسرتى « دى ماندوس »و«دى سيلفا» إن كل بيت عريق وشريف إنما تمتد جذوره الى عائلة « دى سيلفا »

دون كارلوس : (وقد نفذ صبره) ماذا . . أتسخر من نفسك ؟

روى جوميز : (متقدما نحو لوحات أخرى) وهاك « دون فاسكيز » الملقب بالحكيم . . و « دون جايم » وشهرته القوى العملاق . ووقع ذات يوم ان اعترض طريقه « زاميت » أمير البربر ومعه مائة من الأعوان ، فتلقاهم بمفرده واستطاع أن نجو بنفسه !!

(وتجاوز عن ذكر آخر من الأجداد، وكلهم من خيار الناس .)

(تبدر من جانب الملك حركـــة تنم عن غضب يتصاعد في صدره فيتجاوز روى جوميز عـــــن التعليق على عدد آخر من اللوحات حتى ينتهى الى اللوحات الثلاث الأخيرة) وهذا هو جدى النبيل الأبى ، عمر الى الستين ولم ينقض عهدا عقده مع أحد حتى مع اليهود .

(وقد صار أمام اللوحة التى تسبق اللوحة الأخيرة) هذا الشيخ . . هذه الرأس المقدس ، هو رأس أبى كان بالغ العظمة وان جاء في آخر الصف — حدث أن أسر برابرة غرناطة صديقه الكونـــت « ألفار جيرون » ، وهب والدى لنجدته ، فاختار ستمائة من رجاله المحاربين كما صاغ من الحجر تمثالا لصديقه كان يسحبه وراءه وهو ماض في طريقه الى خلاصه من أسره وقد أقسم بشفيعـــه أنـــه لن يتراجـــع الا أن يرى التمثال يـــدير رأسه الى الوراء ، أو ينكص على عقبيه ، وحارب وانتصر وفك أسر صديقه ، وأعاده سالما ! !

دون كارلوس : أريد أسيرى .

روى جوميز : « هو من آل سيلفا وكفى » هذا ما يقوله عن أيهم بين هؤلاء ، من يقف في هـــذا المكان ويشاهد هؤلاء الأبطال .

دون كارلوس : أسيرى أريده في الحال .

(ينحني روى جوميز انحناءة طويلة أمام الملك ، ثم يتناول يده ويسير به الى أمام اللوحة الأخيرة التى يقوم وراءها المخبأ الذى فيه هرناني وتتبعه أثناء ما تقدم نظرات محمومة من جانب دونيا سول . ثم تعقب ما تقدم فترة صمت قصيرة)

روى جوميز : وهذه الصورة لى . وشكرا لك أيها الملك دون كارلوس ، لانك تريد أن يقول الناس اذ يرونها في هذا المكان . وهـذا الأخير الذى انحدر من اصلاب مجيدة كان خائنا حقيرا ، اذ ارتضى أن يبيع رأس ضيفه .

(تهتز دونيا سول فرحا ، وتخيم الدهشة على الحاضرين ، هذا في حين أن الملك يتفصد ضيقا وغضبا ، فينحدر خطوات من مكانه ، وقد مزقه الغضب فاذا شفتاه ترتعشان والعينان تتقدان)

دون كارلوس : يادوق ، أرى قصرك هذا يضايقنى ، فلابد من أن أسويه أرضا .

روى جوميز : لابأس ، مادمت ستنقدنى ثمنه . . أليس كذلك؟

دون كارلوس : سأجعل أعالى هذه الأبراج أسافلها . . واجتثها من أصولها جزاء جرأتك هـذه يادوق ، ثم سأجعلهم يزرعون القنب مكانها

روى جوميز : لأن أرى القنب يزكو في مكان أبراجى ، خير من أن أصم اسم سيلفا العظيم بوصمة عار .

(مخاطبا اللوحات)

أليس ما أقوله هو الحق الصريح ؟ أجيبوا جميعكم

دون كارلوس : أيها الدوق . . رأس هذا الثائر لنا ، وقد سبق لى وعد منك بذلك .

روى جوميز : وعدت برأس من رأسين .

(مخاطبا اللوحات)

أليس ما أقول هو الحق الصريح ؟ (مشيرا الى رأسه) اننى أعطى هذا الرأس فخذه

دون كارلوس : حسن جدا يادوق ولكن هذه صفقة خاسرةبالنسبة لى وشكرا

الذى أطلبه هو رأس فتى اذا ما سقط أمكن حمله من شعر رأسه . أما رأسك فلا يهمنى ، لأن الجلاد سيحاول عبثا حمله ، اذ الشعر فى هـذا الرأس لا يملأ قبضة يده .

روى جوميز : يا صاحب السمو ، أمسك عن الاهانه ان رأسى ما زال جليلا ، وهو أغلى قيمة من رأس عاص شرير . انه رأس لأحد أسرة (سيلفا) . . أراك ممتعضا . . .

دون كارلوس : أسلمنى هرنانى .

روى جوميز : مولاى قلت كلمتى .

دون كارلوس : (الى أعوانه) نقبوا فى كل مكان ، لا تتركوا جناحا ، ولا كهفا ، ولا برجا دون أن تمعنوا فى تفتيشه .

روى جوميز : ان أبراج قصرى أمينة مثلى والسر لا يعرفه غيرى وغيرها ، وكلانا حريص على ألا يبوح به .

دون كارلوس : أنا الملك .

روى جوميز : لن تحققوا رغبتكم الا اذا هدمتم القصر حجــرا حجرا وجعلتم من أنقاضه قبرا لى

دون كارلوس : لم يجد معك رجاء أو تهديد . يادوق أسلمنى قاطع الطريق وإلا أزلت رأسك والقصر

روى جوميز : قلت كلمتى .

دون كارلوس : حسن ، بدلا من رأس واحد ، سكون لى رأسان (الى الدوق الكالا)

جورج ، الق القبض على الدوق

دونيا سول : (وقد نزعت عنها خمارها ووقفت بين المــلك والدوق من ناحية وبين الجند)

أيها الملك دون كارلوس ، أنت ملك سيىء .

دون كارلوس : يا الهى ! من أرى . . دونيا سول ؟

دونيا سول : يا صاحب السمو ، ليس لك قلب اسبانى

دون كارلوس : (وقد مال بجسمه من شدة الاضطراب) ياسيدتى أراك قسوت في حكمك على الملك .

(يقترب منها ويتحدث اليها هامسا)

أنت التى أثرت هذا الغضب في نفسى ، انالرجل ينقلب ملاكا أو شيطانا اذا اقترب منــــك ، وسرعان ما يصبح شريرا اذا أحس أنه غير محبوب من جانبك ، ولو انك استجبت الى ، أيتهـــــا الشابة ، ربما كنت أبدوا عظيما الآن ، أغـــدو

أسد قشتالة . انك جعلت منى . بغضبك علىّ ، نمرا شرشا ، وهــا هو ذا يزأر . فلنمسك عن الكلام .

(ترميه دونيا سول بنظرة قاسية يجيب عليهـــا بانحناءة تفيض بالاحترام)

ومع كل هذا ، سأنزل على ماتريدين

(موجها الكلام الى الدوق)

يا بن العم ، انى أقدر موقفك هــذا ، وأراك بتصرفك انما تصدر عن ضمير حى ونفس عالية. كن وفيا لضيفك وغير وفي للملك . حسن جدا ، انى أصفح عنك لأنى خير منك . ويكفى فقط أن أختر ت ابنة رهينة عندى .

روى جوميز : فقط

دونيا سول : (مرتاعة) أنا يا مولاى ؟

دون كارلوس : نعم أنت ولا شيء أكثر من ذلك .

روى جوميز : ولا شيء أكثر من ذلك ! ! يا للرحمة الرحيمة ، ويالها من رأفة تلك التى تصــدر عن القـــادر المنتصر ، حينما يبقى على الرأس ويعذب القلب. . ياللصفح الجميل ! !

دون كارلوس : لك أن تختار تسليم دونيا سول أو الخائن ، لابد لى من أحدهما .

روى جوميز : أنت صاحب الأمر فاقض بما تريد .

(يتقدم دون كارلوس نحو دونيا سول، ولكنها تتجه الى روى جوميز)

دونيا سول أغثنى .. أنقذنى . (ثم تمسك عن الكلام وتتحدث الى نفسها)

ياشقوتى ! ! تحتم أن يأخذ رأس عمى أو رأس هرنانى .. لماذا لا يأخذ رأسى أنا ! !

(الى الملك)

أسير معك

دون كارلوس : (الى نفسه) وحق القديسين . نجح تدبيرى ، (الى دونيا سول) يجب أن تترفقى بنفسك وتتلطفى يا أميرتى .

(دونيا سول تسير نحو الصندوق الذى يحوى الحلى وتأخذ منه خنجرا تخفيه في صدرها ويسير نحوها دون كارلوس ويقدم يده اليها يدعوها الى مبارحة المكان)

دون كارلوس : وماذا أخذت من الصندوق ؟

دونيا سول : لاشيء .

دون كارلوس : حلية ثمينة ؟

دونيا سول : نعم .

دون كارلوس : أرنيها ..

دونيا سول : ستراها .

(وتمد يدها اليه ويتهيآن للخروج . روى جوميز

وكان واقفا لايبـــدى حراكا يلتفت فجأة الى ما يجرى ، ويتقدم بضع خطوات وهو يصيح

روى جوميز : دونيا سول ! يا أرض ! ! ياسماء ! ! ! ماذا . . تذهب عنى دونيا سول ؟

أنجدينى يا أسلحتى ، وأنت أيتها الجدران تهدمى فوق رأسى مادام هذا الرجل يتصرف بلا قلب ولا رحمة .

(وهو يجرى نحو الملك)

أترك لى ابنتى . ليس لى أحد سواها أيها الملك .

دون كارلوس : (وهو يترك يد دونيا سول) أعطنى أسيرى .

(يخفض روى جوميز رأسه وقد مزقـــه الألم والحيرة ثم يرفع رأسه ثانيه مصوبا نظراتـــه الى اللوحات السابقة الذكر ، ثم يمد ذراعيه نحوها)

روى جوميز : كونوا رحماء بى . . أنتم جميعا .

(يخطو خطوة نحو المخبأ فتتبعه دونيا سول بنظراتها المذعورة ، ولكنه يلتفت الى اللوحات ويخاطبها)

غضوا من أبصاركم ، فان نظراتها تشل ارادتى

(ويسير مترنحا نحو المخبأ ثم يستدير فجأة نحـــو الملك)

تريد أن تأخذه ؟

دون كارلوس : نعم .

(يرفع الدوق يدا مرتعشه نحو اللولب)

دونيا سول : ربى . .

روى جوميز : لا ، لا . (يحثو عند أقدام الملك)

باسم الرحمة ، خذ رأسى

دون كارلوس : بل آخذ ابنة أخيك

روى جوميز : (وقد هب واقفا) خذها اذن ، وأبق لى شرفي

دون كارلوس : (يعود الى أن يمسك بيد دونيا سول) الوداع يا دوق .

روى جوميز : بل الى لقاء .

(يتابع بنظراته خروج الملك مع دونيا سول من الباب الكبير ثم يضع يده على مقبض خنجره)

ليحرسك الله أيها المولى .

(ثم ينحدر الى مقدمة منصة التمثيل وهو يجر قدميه جرا ، وقد جمدت ملامح وجهه حتى ليبدو وكأنه لايرى ولا يسمع . ثم يعقد ذراعيه فوق صدره في حركة عصبية)

(وفي أثناء ما تقدم يخرج الملك مع دونيا سول ويتبعه الأشراف مثنى مثنى ، وتبعا لمستوياتهم الاجتماعية ، ثم تخرج الحاشية فالجنود)

روى جوميز : (على انفراد) أيها الملك ، بينما تبرح أنت داری فرحا جذلان فان ولائى القديم لك يبرح قلبى الباكى .

(يدير نظراته في أنحاء المكان ، واذ يستوثق أنه أصبح منفردا ، ينتزع سيفين من شكمة سلاح

مثبتة بأحد الجدران . وبعد أن يضاهي بينهما ويقارن يضعهما فوق المنضدة . ثم يتجه نحو الاطار الذى يتضمن صورته ويضغط على اللولب فينفتح الباب الخفى .

المشهد السابع

روى جوميز — هرناني

روى جوميز : أخرج .

(يبدو هرناني أمام الباب الخفى ويشير «جوميز» بيده الى السيفين فوق المنضدة)

اختر أحدهما . خرج دون كارلوس ، وحان الوقت الآن لتصفية حسابنا .

اختر أحد السيفين وعجل . . ماهذا ؟ ان يدك ترتجف !

هرناني : مبارزة ؟ لايمكن أن تقوم ، لانك شيخ طاعن في السن .

روى جوميز : ولم ؟ انك خائف ؟ ألم تكن يوما من النبلاء فيحق لى أن أقرع لسيفى سيفك ؟ يا للجحيم . . نبيلا كنت أو لم تكنه ، فان اهانتك لى ترفعك الى مقام النبلاء .

هرناني : أيها الشيخ .

روى جوميز : أيها الشاب ، تقدم ، إمّا قضيت عليك ، وإمّا قضيت أنت علىّ

هرنـــانى : بل اقض أنت علىّ . أنقذت حياتى على الرغـــم من أنك عرفت كل شيء عن حبى فحياتى مـــلك لك . . خذها

روى جوميز : أهذا ماتريد ؟ (مخاطبا الصور) اشهدوا جميعا . هو يريد أن آخذ حياته .

ليكن . . قم بصلاتك .

هرنـــانى : بل اليك أيها المولى صلاتى الأخيرة .

روى جوميز : ارفعها الى المولى العظيم .

هرنـــانى : لا . . لابل اليك أنت أيها الشيخ . اقتلنى . فكيفما كان قتلى ، بضربة سيف أو فأس . أو خنجر ، فانه قتل محبب إلى ، ولكن يحق الرأفة . حقق لى هذه الأمنية الكبرى ، قبل أن ألقى حتفى ، اسمح لى أن أراهـــا .

روى جوميز : تراها ؟

هرنـــانى : أو اسمح لى أن أسمع صوتها على الأقل ، وللمرة الأخيرة ، لاشيء أكثر من سماع هذا الصوت ! !

روى جوميز : تسمع صوتها ! !

هرنـــانى : نعم أدرى مبلغ غيرتك عليها أيها المولى . ولكن ما الغيرة من شخص مقدم على أن يودع الشباب والدنيا وأرجوك المعذرة ! ! قل لى أتريد أن أتريد أن أسمع صوتها من غير أن أراها اذا لزم الأمر ؟ انى سأموت هذا المساء . . أسمع صوتها لاأكثر . أطفئ هذا الشوق ولكن شد ما اسلم الروح فى

راحة وصفاء . اذا تفضلت قبل أن أهرب الى
السماء ، أن أرى روحى في عينيها ، وهى تتراءى
لتطالع روحها . لن أنبس ببنت شفة . ستكون أنت
هناك يا أبي . وستأخذنى بعد ذلك للقاء منيتى

روى جوميز : (مشيرا بيده الى المخبأ الذى ما برح بابه مفتوحا)
عجبا ! هل بلغ هذا المخبأ من الصمم ومن العمق
ومن الاحكام في الغلق ، بحيث أنه لم يكن يسمع
شيئا مما كان يجرى هنا ؟

هرنانى : لم يصل الى أذنى أى شيء .

روى جوميز : كان على أن أسلم دونيا سول أو أسلمك .

هرنانى : لمـــن ؟

روى جوميز : للملك .

هرنانى : يا للشيخ الغبى الغافل ! إنه متيم بها .

روى جوميز : متيم بها !!

هرنانى : اختطفها من أيدينا . هو غريمنا ومنافسنا في حبها

روى جوميز : يا للعنة !! يا رجالى الى جيادكم ، الى جيادكم
وطاردوا هـــذا السلاّب المغتصب . اصـــغ الى
الانتقام الواثق في خطاه لا يحدث جلبة فى مسيرته.
انى ملك يديك وفي وسعك أن تقتلنى . ولكن
ألا تريد أن تجعـــل منى أداة لأثأر لابنـــة أخيك
ولشرفها ؟ ان لى ضلعا في هذا الثأر فلا تحرمنى
متعة المشاركة فيه ، امنحنى هذه الأ كرومة .
إنى أقبّل قدميك إذا لـــزم الأمر من أجل منحى

هذه المشاركة . فلنقتف نحن الاثنان اثر الملك .
تعال . . سأكون منك الساعد الذى يثأر لك .ولك
بعد أن يتم ثأرك . أن تقتلنى .

روى جوميز : وهل ترضى أن تقتل اذ ذاك ، كما أنت راض الآن ؟

هرناني : نعم يا دوق .

روى جوميز : وبم تقسم ؟

هرناني : برأس أبــى .

روى جوميز : أيقع أن تذكر هذا ولا تنساه ؟

هرناني : (يقدم اليه البوق بعد أن ينتزعه من حزامه) أصغ . . اليك هذا البوق ، ومهما يقع من أمر ، وحيثما تكون أنت ، وفي أية ساعة ، اذا رأيت أيها المولى أن موتى قد تحتم ، فما عليك الا أن تنفخ في هذا البوق ، فيتحقق لك ما رأيت من غير عناء . .

روى جوميز : (يمد يده الى هرناني) هات يدك ولنتعاهد . (يشد كل منهما على يد الآخر في مصافحة ثم يلتفت روى جوميز الى الصور) أنتم جميعا كونوا شهودا عليه .

(ستــار)

الفصل الرابع

القـــبر

مدينة اكس لاشابيل [1]

المغائر والكهوف التى تحوى قبر شارلمان في مدينة (ايكس لاشبيل) في جانب منها تقوم عقـود كبيرة من البناء على النمط اللومباردى . وفي الجانب الأخر تنهض أعمدة قصيرة تحمل أقواسا مستديرة ، استقرت على تيجان تلك الأعمدة ، وهى تيجان تحمل نقوشا للطير والزهر.

والى اليمين يقوم قبر شارلمان . هو مقصورة ذات باب غير مرتفع مصنوع من البرونز وقد جاء أعلاه على شكل عقد مستدير . هذا ويتدلى مصباح واحد قد ثبت بمسمار في جدار ، ويضيء ما جاء مكتوبا على لوحة . . (شارلمان) .

الوقت ليل ، ولا يمكن للعين أن ترى ما هو قائم في أعماق هذا المكان ، بل ان النظر قد يضل وسط هذه العقود والأعمدة التى تتكاثف تـارة وتتعارض تارة أخرى وسط هذا الظلام .

---

١ - الواقع التاريخى ينص على أن انتخاب الامبراطور جرى فى مدينة (فرانكفورت) وليس فى مدينة (ايكس لاشبيل) ، ولكن المؤلف خالف هذا الواقع ، وأجرى هذا الانتخاب فى هذه المدينة التى تتضمن قبر (شارلمان) من أجل أن يفسح المجال لتأملاته وانتفاضاته وهو واقف أمام هذا القبر .

المشهد الأول

دون كارلوس ـ دون ريكاردى روكاس ـ كونت دى كازابالمـا

(يحمل أحدهم مصباحا . وقد تدثر كل منهم في عباءة وأرخى أطراف قبعته على وجهه)

دون ريكاردو : (وقبعته في يده) . هنا في هذا المكان .

دون كارلوس : هنا يجتمع المتآمرون، وهنا سأضع يدى عليهم جميعا . أيه أيها السيد « تريف »[1] !! سيكون هنا الاجتماع . أعرتهم هذا المكان ليجتمعوا فيه !! حقا انه لاختيار موفق ، اذ ما أسرع ما تنمو المؤامرة وتزكو وهى تتنفس ريح الرفات ، وانه لأمر صائب أن تشحذ الخناجر على رخام المقابر !! الا أننى أراهم يبالغون في لعبتهم ويركبون الخطر . ان قطف الرأس هو الرهان في هذه اللعبة ، وسوف نرى أيها السادة القتلة . يالله !! لقد أصابوا اذ اختاروا مدفنا لهذه اللعبة ، اذ بهذا يختصرون من طريقهم اليه .

(الى دون ريكاردو)

هذه الكهوف تحت الأرض . . هل تمتد الى بعيد؟

دون ريكاردو : حتى الحصن

دون كارلوس : هذا أكثر مما يحتاجون اليه لضم رفاتهم .

---

١ ـ هو كبير أساقفة مدينة (ايكس لاشابيل) وأحد الناخبين المعادين لدون كارلوس .

دون ريكاردو : ومن الناحية الأخرى تمتد الكهوف الى ديـــر « التانهايم »

دون كارلوس : حيث قضى « رودلف » على « لوثر » . حسن.. مرة أخـــرى ياكونت أعـــد ذكر الأسماء ، والشكاوى ، وأوضح أسبابها وبواعثها .

دون ريكاردو : جـــوتا . .

دون كارلوس : أعرف لماذا يتآمر الدوق الجرىء .. هـــو يريـــد ألمانيا من ألمانيا لتولى حكم الامبراطورية .

دون ريكاردو : هو هينبورج

دون كارلوس : هو هينبورج ، كما أعتقد ، يفضل الجحيم وهو في صحبة « فرنسوا » ملك الفرنسيس ، على أن يكون مصاحبي بالجنة .

دون ريكاردو : دون « جبلِ تللبرْ جيرون »

دون كارلوس : بحق قشتالة والسيدة العذراء ، انه ليشق عصـــا الطاعة على مليكه ، هذا الغارق في حزنه وكمده .

دون ريكاردو : يحكون أنه وجدك ، ذات ليلة ، مندسا في حجرة زوجته ، وانك من أجل ذلك رفعته الى مرتبـــة « بارون » ، ويبدو أنه يريد أن يثأر لشرف زوجته الرقيقة .

دون كارلوس : ومن أجل ذلك يثور ويرفع رايـــة العصيان في اسبانيا ؟
ومن غير هؤلاء ؟

دون ريكاردو : يذكرون اسم نيافة أسقف أفيلا .

دون كارلوس : وهل هو أيضا يتآمر ليثأر لعرض زوجته ؟

دون ريكاردو : ثم « جوزمان دى لارا » وهو ممتعض وغير راضى ويطالب بأن تكون له قلادة الوسام الذى أصدرته

دون كارلوس : آه . . جوزمان دى لارا ! ! إذا كان كل مطلبه هذه القلادة فستكون له

دون ريكاردو : دوق دى لوتزيلبورج . . وينقلون عنه . .

دون كارلوس : (مقاطعا) دوق دى لوتزيلبورج له رأس تشمخ أكثر مما يجب .

دون ريكاردو : جوان دى هارو الذى يطالب بأن يكون له ملكية مدينة استورجا .

دون كارلوس : آل هارو يضاعفون دائما من أجر الجلاد .

دون ريكاردو : ذكرتهم جميعا ، كل المتامرين .

دون كارلوس : كل هؤلاء لايساوون رأسى ، أيها الكونت . ذكرت منهم سبعة ولم ينته حسابى بعد .

دون ريكاردو : تجاوزت عن ذكر نفر من قطاع الطرق يعملون بأجر من جانب « تريف » أو من جانب فرنسا .

دون كارلوس : نفاية من رجال لا وزن لهم ، خناجرهم دائما مشحوذة لأن تعمل ، ويدورون في فلك من يبذل لها الأجور الكبيرة . كما تدور ابرة البوصلة نحو القطب .

دون ريكاردو : الا أنه لفتنى بينهم رفيقان جريئان انضما الى الجماعة جديثا أحدهما شاب والآخر شيخ .

دون كارلوس : ما اسمهما ؟

(رفع دون ريكاردو كتفيه اشارة الى أنــــه لا يعرف ما السن التي عليها كل منهما)

دون ريكاردو : الشاب في العشرين . . .

دون كارلوس : خسارة !

دون ريكاردو : والشيخ جاوز الستين .

دون كارلوس : الأول مابرح في أول العمر والآخر تجاوزه . شيء يؤسف له . سأعنى بهما . وللجلاد أن يعتمد على مساعدتي . اذا لزم الأمر ، انني سأجرد سيفي من بهرجه ليتلطخ بالدم وهو يطيح برءوس الخارجين والعصاة . بل انى لأعير هــذا السيف للجــلاد اذا ثلمت فأسه . واذا لزم الأمر ، أيها الكونت ، فإني سأوسع من الرقعة التي تغطى منصة الاعدام بأن أخبط بسوادها أرجوان ردائي الملكى . ولكن هل أصبح حقا الامبراطور ؟

دون ريكاردو : المجلس المقدس يعقد الآن جلسته ويتبادل الرأى ويدير الامر .

دون كارلوس : ترى ماعسى أن يكون أمرى معهم ؟ قــــد يختارون فرنســوا الأول ، أو ينتخبــون ذلك السكسونى فردريك الحكيم الذى ينتمى اليهــم . آه ان « لوثر » كان على صواب فالأمور تسير سيرا سيئا .

ايه أيها الناخبون ، ياصناع القاب أصحاب الجلالة المقدسة [1] ! !

أراهم لا يخضعون في انتخابهم الا للأسلوب الذى يحمل رنين الذهب .

فهناك سكسونى مارق في عقيدته الكاثوليكية . .
وهناك « كونت » يسمونه « البلاتينى » وهو مدخول في عقله . . .

ثم أسقف « تريف » ، رجل دين ، ولكنه تحلل من الدين ومن الأخلاق . . .

أما ملك بوهيميا ، فانه لى ، وهو يشد أزرى.. .
والى جانب هؤلاء ، أمراء من « هيس » وهم أصغر شأنا من الولايات التى يحكمونها . . .
ثم هناك شبان أغبياء . . .
وشيخ فسقة . . .
نعم توجد تيجان كثيرة — وهذا حسن ولاشك — ولكن أين الرؤوس التى تحملها عن جدارة ؟— ابحثوا عنها ! !
أيها الناخبون الجديرون بالرثاء انى لا أرى غير أقزام ، وأستطيع اذا جدّ الأمر أن أحزمهم تحت ردائى ، وهو مثل جلد الأسد الذى كان يرتديه « هرقل » وزج بمناوئه في طياته . . .
أما اذا حلا لى أن أعريهم من عباءاتهم ، فلن

١ — هو اللقب الرسمى للامبراطور .

تروا الا رؤوسا جوفاء يعشش فيها السخف ،
وهى أكثر فاعلية في البعث على الضحك من رأس
(تريبوليه) [1]

أنا في حاجة الى ثلاثة أصوات يا ريكاردو ، هى
لى كل شيء ، وبدونها أفقد كل شيء .

آه .. انني أمنح «جاند» و «توليد» و «سلامانك»
ثلاث مدن كبيرة ، أمنحها ياصديقى ريكاردو
لمن يعطوننى هذه الاصوات الثلاثة اذا رغبوا فيها.
أترى انني من أجل ثلاثة أصوات ، نعم ،أعطى
ثلاث مدن من قشتالة ، أو من الفلاندر ،أعطيها
الآن ، على أن استردها فيما بعد بالطبع ! !
(دون ريكاردو ينحنى باحترام ويضع قبعته فوق
رأسه) ماذا . . أتغطى رأسك ؟

دون ريكاردو : رفعت الكلفة في مخاطبتى يامولاى (ينحنى محييا
مرة ثانية) وها أنا ذا عظيم من عظماءالاسبان. . .

دون كارلوس : (منفردا) شد ما تثير شفقتى عليك ، أيها الطامع
فيما لا يستحق أن يطمع فيه ! ! يا حقيرا ووصوليا
بالفطرة . هذه الفئة من الناس لا تستطيع أن تحقق
أمانيها الا بالاستجداء وتبعا لما تجود به أفكارنا
وكأنى بهم الدجاج الجائع وقد التف حول الملك
ليتلقى من بين أصابعه فتات الأكل .
(وقد غاب في حلم)

---

١ — هو مضحك الملك فى عهد لويس الثانى عشر ثم فى حكم فرنسوا الأول بفرنسا ،
وقد أنشأ المؤلف مسرحية بطلها هذا المضحك أسماها (الملك يلهو) .

الله وحده ، ثم الامبراطور . فيهما تتمثل العظمة وكذلك في الأب المقدس . . أما من يجيء بعدهم من الملوك والدوقات . . فما شأنهم وماذا يساوون ؟

دون ريكاردو : انى لأرجو أن يقع الاختيار على سموكم

دون كارلوس : سموى . . سموى ؟ ان سوء الطالع سيبقى ملازمى في كل شيء ، اذا بقيت الملك صاحب السمو ! !

دون ريكاردو : (على انفراد) ماذا يهم ! ! اختاروه امبراطورا ، أو بقى ملكا ، هأنذا عظيم من عظماء اسبانيا

دون كارلوس : واذا فرغوا من أمر اختيارهم امبراطور ألمانيا ، فبأية اشارة يعلنون اسمه في المدينة ؟

دون ريكاردو : اذا انتخبوا « دوق ساكس » أطلقوا مدفعا واحدا واذا انتخبوا (فرنسوا) أطلقوا المدفع مرتين ، فاذا وقع اختيارهم على سموك أطلقوا المدفع ثلاث مرات .

دون كارلوس : ودونيا سول هذه . آه كل شيء يعمل على غيظى ، وجرح كبريائى . .
أيها الكونت اذا وقع عفوا واختارونى امبراطورا ، فأسرع اليها واحضرها الى هنا . ربما تتطلع العيون لمن سيصبح قيصرا ! !

دون ريكاردو : (مبتسما) سموكم مفرط في طيبة القلب

دون كارلوس : (مقاطعا في حدة وتعال) الى هنا . . ولا تزد

حرفا ، لم أفصح بعـــد عما أريد أن يرانى الناس عليـــه . .

(مغيرا وجه الحديث)

ومتى نعرف من سيقع عليه اختيارهم ؟

دون ريكاردو : آه . . يبدو لى أن الأمر سيتم في مدى ساعة أو فيما بعدها بقليل .

دون كارلوس : ثلاثة أصوات ! ! لاشيء أكثر من ثلاثة . . ولكن لنسحق أولا هذه النفايات من المتآمرين ،وسنرى بعد ذلك من سيؤول اليه أمر الامبراطورية .

(وهو يعد على أصابعه ويدق بقدمه على الأرض) هى دائما تلك الثلاثة الأصوات التى تنقصنى ، وهم من يملكونها ! ! تنبأ لى بها «كورنى أجريبا» [1] منذ زمن ، اذ شاهد ثلاثة عشر نجما تشق محيط السماء وتتجه نحوى آتية من الشمال ، وهى مطلقة الشراع . . معنى هذا أن الأمبراطوريـــة سيؤول أمرها الى . . أيكون ذلك حقا ! !

ولكن من ناحيـــة أخرى ، هناك من يقول ان الراهب « يوحنا تريتم [2] » تنبأ بأن الأمبراطورية ستكون من نصيب فرنسوا ! !

كان الأجدر بى ، لكى أتبين مسيرة حظى ، أن

---

١ — طبيب ومنجم وساحر ذائع الصيت فى زمنه (١٤٨٦ — ١٥٣٥)

٢ — عالم فى اللاهوت (١٤٦٢ — ١٥١٦) كان يطالع النجوم للملك فرنسوا الأول ويقرأ طالعه .

أعد جيشا يساعد على تحقيق هذه النبوءة .
كل تنبوءات المنجمين – مهما علا قدرهم – لا تحقق النتائج المرجوة الا حينما يقوم وراءها جيش لجب ، تقصف مدافعه وتسطع أسنته ، وتتتابع فرق مشاته وفرسانه على ايقاع العرف الموسيقى ، والنفخ في الأبواق . هذا الجيش وحده ، هو من يفتح الطريق المسدود للحظ اذا تعثر ، ويقوم مقام القابلة في أن يستولده ماهو صحيح .
أى النبوءاتين ستصدق ؟ نبوءة « كورنى أجريبا » أو نبوءة « يوحنا تريتم » ؟ انها النبوءة التى يمشى وراءها العمل والانجاز ، وليس القول والتراخى ، نبوءة الشخص الذى اذا تكلم ، وضع رمحا أو سيفا خلف كل كلمة يقولها ، وحشد في جيشه أخلاطا ممن رضعوا لبان الحروب ، واحترفوا ألوان النزال . . بهذا يستقيم الحظ وتتحقق النبوءة.
ويالهم من مجانين جديرين بالرثاء أولئك الذين يرغبون في أن تكون لهم امبراطورية العالم ، بمجرد أن يبحلقوا بعيونهم ويشمخوا بجباههم ، وهم يتمشدقون قائلين » ان لنا الحق في هذا »
وقد تكون ملء أيديهم المدافع وقد صفت خطا وراء خط ، ولو فتحت أفواهها وانطلقت قذائفها لأذابت بحرارتها جدران المدن . بل ان لهم فوق ذلك السفائن وقد شحنت بالجنود ، ولهم الجياد تختال

بمن يركبونها ، فيخيل اليك أنهم سيسيرون قدما الى تحقيق أهدافهم وهم يسحقون هامات الشعوب في مسيرتهـــم ، ولكن . . ويا للعجب . . . ما أن يبلغـــوا مفرق الطريق الكبير في حظوظ البشر ، حيث تنحرف القدم الى أن تنزلق نحـــو الهاوية ، أكثر مما تستقيم لاعتلاء العرش ، ما ان يخطوا خطوات ثلاثا ، حتى يعتريهم الجمود وتتولاهم الحيرة ويحاولون عبثا أن يقرأوا ماسطره القدر في مصائرهم . انهم يترددون في خطوهـــم بعد أن فقدوا الثقة في أنفسهم ، فاذا هم يهرعون الى العراف ليستحضر أرواح الموتى ، يسألهم عن مصائر الأحياء ، وعن أى طريق يسلكون ! !

(ملتفتا الى دون ريكاردو)

اذهب الآن . أزف الوقت لمجيء المتآمرين . . آه ولكن أين مفتاح الضريح ؟

دون ريكاردو : (وهو يمد يده بالمفتاح) لتذكر يامولاى ، ان «كونت ليمبورج » حارس الضريح أعطانى هذا المفتاح . . هو دائما في خدمتكم ويأمل في رعايتكم

دون كارلوس : أنجز كل ماكلتفك إياه .

دون ريكاردو : (ينحنى مسلما) سأتولى ذلك في الحال يا صاحب السمو .

دون كارلوس : ثلاث طلقات مدفع لابد لى منها . . أليس كذلك

(دون ريكاردو ينحنى ويخرج)

(دون كارلوس ، وقد بقي وحيدا ، يخلد الى تأمل عميق وقد شبك ذراعيه فوق صدره ، وأحنى رأسه. ولكنه يرفع رأسه بعد ذلك ويستدير الى الضريح)

المشهد الثاني

دون كارلوس (وحيدا)

دون كارلوس : شارلمان . . صفحا . هذه العقود والقباب المنعزلة عن العالم لا ينبغي أن تردد جنباتها غير كلمات الزهد في هذه الدنيا .

أنت ساخط ولا شك ، اذ تسمع هذا الطنين الصاعد من مطامعنا وقد تكاثفت أصداؤه فوق ضريحك .

أشارلمان هنا ؟

كيف وسعت أيها اللحد الضيق ، من غير أن تتصدع أركانك ، كل هذا الشيء العظيم ؟ أحق أنت هنا ؟ أنت يا من كنت العملاق في عالم ابتدعته يداك ! !

وكيف أمكن أن ترقد بعليائك وبكامل كيانك في هذا المكان الضيق ؟

انه لمنظر رائع ينشط المخيلة على التأمل ، اذ ترى أوروبا ، كما صنعها ثم تركها أشبه ما تكون بصرح كبير يتربع على قمته رأسان ، بل رئيسان

منتخبان ، يخضع لهما كل ملك منحدر من
أصلاب ملوك .

أكثر الدول والدوقيات والاقطاعات العسكرية ،
والممالك ، والمركيزيات ، كل هذه وراثية[1]
إلا أن الشعب يكون له في الغالب ، قطبان ، البابا
والامبراطور وتجرى الأمور بينهما ، والصدفة
الخاطئة تصلحها صدفة غير خاطئة . هذا ومايجىء
عرضا ، يبقى بلا قصد ولا هدف ، ومن هنا
يقوم التوازن بين السلطات ، ويستتب النظام :
أيها الناخبون ترفلون في الثياب يوشى الذهب
حوافيها ، أيها الكرادلة في أرديتكم القرمزية
ومنكم يتألف مجلسا شيوخ مقدسان ، منهما تهتز
الأرض ، لستم فيما تبرمونه من أمور ، أكبر
شأنا ممن يقدمون استعراضا مسليا . والله وحده ،
هو الذى يفعل ما يشاء .

يكفى ان تطل برأسها يوما ، فكرة استولدتها
حاجة من حاجات العصر ، حتى ترى هذه الفكرة
تنمو ، وتعظم ، وتسعى على قدمين ، بل هى
تجرى . . وقد اختلطت بكل شيء ، لتتمثل كائنا

---

١ – يبدو غريبا أن ملكا صار إلى ما هو عليه بطريق الوراثة ثم هو مع ذلك يصف الملكية بأنها وراثية ! ! اننا نحس أن المؤلف يقف وراء الملك دون كارلوس ويتكلم بلسانه هو ليس بلسان الملك ! ! وينادى بعودة عائلة (البوربون) إلى الحكم ، وهى العائلة التى حكمت فرنسا قبل الثورة ، ثم عادت إلى الحكم بعد انتهائها وانتهاء حكم بونابرت .

انسانيا يأسر القلوب ، ويحفر في صفحة المجتمع خطوطا ، بل يشق أخاديد .

ويقع أن يحلو للملوك أن يطئوها بأقدامهم ، أو أن يلجموا فمها بكمامة . ولكن ما أن تقتحم ذات صباح اجتماع الناخبين [1] ، أو مجمع الكرادله [2] حتى يرى الملوك فجأة هذه الفكرة التي سبق أن كبلوها بالأغلال — تمشى فوق هاماتهم وقد حملت في يدها صولجان العالم بأسره ، أو هى ترفع فوق جبينها التاج البابوى فلا يملكون الا أن يحنوا سيقانهم .

البابا والامبراطور . . هما من يتمثل فيهما كل شيء ، ويعود اليهما كل شيء على الأرض ، اذ فيهما يكمن سر علوى ، ومن السماء هبطت عليهما الحقوق الالهية ، بل ان الله ليمد لهما وليمة فاخرة ألوانها الشعوب والملوك ، بعد أن يبسط فوقها سحبا تقصف رعودها .

يجلس الاثنان ، منفردين ، على هذه المائدة حيث يقدم لهما الله العالم طعاما . يجلسان رأسا لرأس ، يقطعان ويصلان ، يثبتان ويمحوان ، في شئون العالم ، وكأنهما الزارع الذى يفلح أرض حقله . كل أمر يتم بموافقة من جانبيهما ، هذا وقد وقف الملوك بالباب يستنشقون رائحة الطعام الذى يقدم

---

١ — المجلس المنوط به انتخاب الامبراطور .

٢ — الاجتماع الذى يعقده الكرادلة لانتخاب البابا .

اليهما ، وهم ينظرون من وراء الزجاج في يقظة وفي سأم ، وقـد اشرأبت الأعناق ، وتحاملت القامات على أصابع القدم .

ان العالم الذى استوى تحتهما يتجزأ صفوفـا ومستويات ، ثم يعود ليجتمع ويتماسك ، وهما في أخذ مستمر يعقدان ويحلان ، في احدهمـا تتمثل الحقيقة ، وفي الآخر القوة ، هما من هما ، وسبب وجودهما كامن فيهما .

فاذا خرج الاثنان من الهيكل ـ وكأنهما فرسـا رهان يزهو أحدهما في ردائه الاجوانى ، والآخر يشرق في ثوبه الأبيض اجتذبا أنظار العالم ، فاذا هو يرمقهما مبهورا خاشعا . . انه يرى فيهمـا نصفى الإله . . البابا والامبراطور .

الامبراطور . . الامبراطـور . . هـل سأكون امبراطورا ؟ أو لا أكونه ؟ [1]

ولى الويل ألا أكونه ، وان كان قلبي يتفصد شجاعة وبأسا . .

ألا ما كان أسعد الراقد في هذا القبر ! ! ومـا كان أعظم شأنه في زمانه ! ! كانت الأمور أثقل وزنا وأروع رواء . لم يكن البابا والامبراطور مجرد رجلين « بطرس » و « قيصر » بل كانـا يمثلان روما ، في سلطانها المزدوج ، السلطـة

---

١ ـ يبدو أن المؤلف أورد هذا وهو متأثر بموقف (هملت) من البعث بعد الموت ! !

الدينية والسلطة الدنيوية ؛ وقد تمركز السلطان بين أيديهما فاذا هما يمازجان بين السلطتين ، وينسقان بنفس مقدس ، واذا السلطتان تتمخضان عن انسانية ذات طابع جديد وروح جديد ،واذا الشعوب والممالك ، بعد أن يختلط فيها الحابل بالنابل ، تذوب في بوتقة وتنصهر من جديد لتخرج أوروبا الحديثة وفقا للقالب الذى صنعته أيديهما ، وفيه عروق من معدن البرونز ، وهو ما تبقى من أنقاض العالم الرومانى القديم .

آه . . وياله من قدر !! مع كل الذى أعطاه هذا العملاق فان هذا القبر مثواه !!

أكلُّ ما تعطى الدنيا يتضاءل في النهاية ،ويصغر حتى ينكمش ، بحيث يحتويه هذا المكان الضيق ؟ ما هذا . . وياللعجب !!

أبعد أن كنت الأمير ، والملك ؛ والامبراطور ، وكنت السيف ، وكنت القانون أيها العملاق ، الذى استقر بقاعدة تمثاله في المانيا . . وماذا أعدد أيضا !! كان لقبك قيصر ، واسمك شارلمان، كنت أعظم شأنا من « هانيبال » (١) و«أتيلا» (٢)

---

١ – القائد القرطاجنى (١٨٣ – ٢٤٧) الذى هزم روما وسار اليها فى جيش كبير عبر جبال الألب وكاد يستولى عليها .

٢ – ملك الهون (٤٣٢ – ٤٥٣) الذين سكنوا سهول هنغاريا وزحف على رأس جيش كبير فاجتاز نهر الرين إلى فرنسا وحاصراهم مدنها فيما عدا باريس ، ولكن هذا المد الزاحف توقف بعد ذلك .

بل كنت صنو العالم بأسره . . وكل هذا يصبح رهن هذا القبر !!

آه !! جاهد ما استطعت في نيل الامبراطورية، ثم انظر الى التراب الذى صار اليه امبراطور !!

أملأ الخافقين ، سماء وأرضا ، املأهما جلبة ودويا ، أعل البناء ودعم امبراطوريتك ولاتقنع بشيء ، ولا تقل يكفى . . بل اقطع من الصخور الصلبة ما تشيد به صرحا كبيرا . . أتدرى ماذا سيتبقى منها يوما . . وياللجنون ؟؟

لن يتبقى منها غير هذا الحجر !!

أتعرف ماذا يتخلف من اللقب المدوى ، ومن الاسم المجيد ؟

بعض أحرف يدفعون بالأطفال الى تهجيتها !! ومهما يكن الهدف الذى تسعى بكبريائك الى تحقيقه ، ومهما دفعت بهذا السعى الى تجاوز كل حد ، فهذا هو الحد الأخير ، وهنا نهاية السعى !!

الامبراطورية . . الامبراطورية . .

ومع كل ذلك أريدها ، أريد أن المسها بيدى ، وليكن ما يكون ، انى أراها وفق ما أريد . . ان هاتفا يسر الى انها ستكون لى ، وسأكون أنا لها . آه . لو تكون لى ، سأصبح اذن ، يالله ، البداية في كل شيء ، وقد وقفت منفردا على قمة ترتفع طبقاتها الواحدة فوق الأخرى في مستويات حلزونية . .

سأكون .معقد قبة تألفت من ركام عدة دول ، فأرى من تحتي المللوك وقد اصطفوا صفوفا ، فأمسح حذائي برءوسهم ، ثم أرى من هم دون هؤلاء ، الاقطاعيين فالكونتات ، فالكرادلة ، فالأساقفة ، فالدوقات ، ثم الأساقفة ، فرؤساء الأديرة ، فزعماءالعشائر ، فأرباب العائلات ، فالسادة فالكتاب ، فالجند ، لتأتي بعدهم جماهير الناس ، وقد انزوت في ظلال الحنايا ، المنسية من أعماق الهوة .. الناس؟ . . أي الشعب ، وأعني بهم البحر الصاخب المسجور بالدموع والصراخ وبالضحاك المرير ، أحيانا ، الضحك الذي يجأر بالشكوى التي تصل إلى مسامعنا ، خلال هذه الأصداء وكأنها نفخ الأبواق .جماهير الناس ؟ ! . . أسراب من النحل ، تسكن المدن وتعشش في الأبراج حيث تدق النواقيس لايقاظهم ولطلب النجدة .

(وهو مابرح غارقا في تأملاته)

وعلى أكتاف القاعدة ، قاعدة ، الأمم ، ينهض ذلك الهرم الهائل ، الذي يتكيء على قطبيه ويتوازن ، هذا وجماهير الشعب تتلاحق كالأمواج الحية وتتراكب حول هذا الهرم وتضغط عليه ، فاذا هو يرتج ويميد ، فتتبدل معه منازل الأشياء وتتمايل في ذراه العروش وتهتز ، كما تهتز المقاعد وتغير من أماكنها . فاذا قطع الملوك منازعتهم العقيمة ومدوا أبصارهم الى العلاء ، سمعوا من يهتف : أيها الملوك أجدر بكم أن تنظروا الى ماتحت

أقدامكم ، فهناك الشعب . الشعب ؟ المحيط . . أمواه لا تنقطع عن الحركة . . اذا ألقيت فيه بأى شيء فلا بد أن يضطرب فيه كل شيء ! !

الشعب ؟

الموجة العاتية التي تسحق عرشا ، وتهدهد قبرا ! ! المرآة التي قل أن يتراءى فيها وجه وسيم للملك ! ! واذا ألقينا بنظرتنا أحيانا الى هذه الأمواه المعتمة نستشف ما وراء سطحها ، فلا نلبث أن نتبين في أغوارها أنقاض ممالك ، يضيق بها الحصر ، أشبه ما تكون بالسفن الكبرى طواها اليمّ في جوفه بعد أن ضاق بها ، تمخر فوق سطحه ، ثم أسلمها الى تحركات المد والجزر تنكر من معالمها وتمحو .

كيف يستطاع حكم كل هذا وتدبير شئونه ! ! أترضى ، أن تكون له ، أن تجلس فوق هـذه القمة وأنت تدرى انك بطاقتك لا تتجاوز أن تكون انسانا ، وأن تحت قدميك هاوية سحيقة فاتحة فاها . .

آه ! الويل لى — وأرجو ألا أكون لهذا — اذ ذاك ، اذا تملكنى انبهار ودوار ! !

ايه أيها الهرم الدائم الحركة — اذ ما أنت الاأخلاط من ملوك وممالك — ما أضيق رقعة قمتك ! ! والويل للقدم الخائفة ، اذا استقرت على أديمك . لا أدرى بماذا أمسك اذا أحسست بقدميّ تتخاذلان ؟

ماذا يحلُّ بى اذا شعرت أن قواى تخور ؟

اذا وجدت العالم تحت أقدامى يرتعد ، اذ الأرض تنبض وتتفجر ؟

ثم اذا استقرت بين يدى كرة السلطة وصولجان القدرة . . فماذا أنا صانع بهما ؟

أفي وسعى على الأقل أن أقوى على حملهما ؟

ماذا بى وما هذا ؟

أصبح الامبراطور ؟ يا الهى ! ! وأنا من عييت بتحمل أعباء الحكم ملكا ؟

حق انه لابد أن يكون منحدرا من سلالة آدمية ممتازة ونادرة ذاك الذى يقدر على أن يوسع من طاقاته بالقدر الذى يهيؤه انبساط الحظ لتولى هذا المنصب .

ولكن أنا ! ! من أين أستمد هذه المعظمة .؟

وما عسى أن يكون القانون الذى أحكم به ؟ ومن يكون لى الناصح الذى يجنبنى الانحراف والخطأ؟

(يجثو على ركبتيه أمام الضريح)

شارلمان ! أنت وحدك .

وبما أن الله القادر الذى لامرد لقضائه قد أذن لجلالتينا أن يقفا وجها لوجه في هذا المكان ، فأفرغ في قلبى ، من أغوار هذا القبر ، أقباسا من كل ما هو عظيم وسام ، وجميل . اكشف لى عن حقائق الأشياء في مختلف نواحيها ومظانها.

أرنى أن الدنيا صغيرة وحقيرة لأننى أخـــاف أن ألمسها بيدى . قل لى ان كل انسان في هذه الدنيا ، وهى أشبه ما تكون بمدينة بابل من قيصر العظيم الى راعى الضأن وهو في درجته وفي مستواه — دائم الشكوى . دائم الاعجاب بنفسه ، يـــرى سواه أقل منه منزلة وقدرا ويكاد لا يتمالك نفسه من أن يضحك منه . أوضح لى أسرارك في كسب النصر ، وفي تصريف شئون الحكم !

ألق في روعى أن العقاب خير من العفو وأفضل . أليس كذلك ؟

وهل حق انه يحدث أحيانا أن يوقظ صخب الدنيا ، الراقد العظيم في مثواه المنفرد هنا فيستيقظ شبح هائل ، واذا القبر الواسع المضيء ينشق ليخرج منه الى العالم برق لامع يضيء الظلام ، اذا كان حقـــا ماذكرت ، يا امبراطور المانيا فقل لى ما عسى أن يكون في وسعنا أن نصنعه بعد شارلمان ؟

تكلم . . ولو أن نفخ كلامك الشديد الوقع قد يخلع هذا الباب الحديدى ويحطم به جبينى . .

والا دعنى أدخل منفردا الى حرمك لأرى وجهك الذى علاه شحوب المـــوت ، ولا تدفع بى الى الخارج بهبة اعصار من أعاصيرك .

انهض من رقادك ، واتكئ بمرفقك على سريرك الصخرى لنتكلم . . نعم اكشف لى بصوتـــك

الرهيب عما يكفهر من سماعه البصر ، ويصفر له الجبين .

تكلم ، ولا تعم بصر والدك المفزوع بنور مما يسطع به قبرك .

واذا لم يرق لك أن تقول لى شيئا ، فابق ثاويا ودع كارلوس في هدأة السكون الذى يحيط بك يتفحص رأسك ، وكأنه يتفحص العالم ، دعه يسجل مقاييس قامتك كما يحلو له أيها العملاق . . اذ لاشيء هنا على وجه الأرض ، أروع من الفناء الذى صرت اليه ، فلتعظنى رفاتك اذا عز أن يعظنى كلامك .

(وهو يدنى المفتاح من قفل الباب)

فلندخل .

(ولكنه يتوقف فجأة)

يالله ! ! ماذا ، اذا سمعت منه همسا في أذنى ؟ اذا رأيته هناك منتصبا على قدمه يسير نحوى في خطى بطيئة ؟ سأخرج من هذا الضريح وقد ابيض شعر رأسى . لندخل . . (يسمع وقع أقدام)

هناك قادم . . من الذى يجرؤ ، سواى وفي هذه الساعة ، على أن يطرق هذا المكان ليوقظ السكون المخيم عليه من الطارق ؟

آه . . نسيت . . القادمون هم من يريدون قتلى . . فلندخل .

(يفتح باب الضريح ، ويدخل ثم يغلق البـــاب

عليه ، وتدخل جماعة من الرجال في خطى خافته ، وفي أردية تغلف أجسامهم ، وفي قبعات تنسدل أطرافها على وجوههم .

المشهد الثالث

متآمرون يسير بعضهم الى بعضهم الآخر ، وهم يتبادلون اللمس بالأيدى ، والهمس بالكلمات .

المتآمر الأول : (في يده مشعل يضيء) أد – أوجستا

المتآمر الثانى : بير – أنغستا

المتآمر الأول : القديسون يحرسوننا

المتآمر الثالث : الموتى ، يخدموننا

المتآمر الأول : الله يحرسنا

(يسمع وقع أقدام في الظلام)

المتآمر الثانى : من هناك ؟

صوت بالظلام : أد – أوجسيا

المتآمر الثانى : بير – أنغستا

(وقع أقدام أخرى ويدخل متآمرون جدد)

المتآمر الأول : انظر . . جاء ايضا شخص آخر . .

المتآمر الثالث : من هناك ؟

صوت بالظلام : أد – أوجستا

المتآمر الثالث : بير – أنغستا

(يدخل نفر من متآمرين جدد ليتبادلوا مع الموجودين حركات رمزية بالايدى) .

المتآمر الأول : حسن . ها نحن هنا جميعا «جوتا» هات ماعندك، أيها الأصدقاء الظلمة ترقب النور . .

(يجلس المتآمرون متحلقين فوق أحجار القبور . المتآمر الأول يدور عليهم والمشعل في يــده ، فيشعل منها كل منهم شمعة يحملها في يده . ثم يذهب المتآمر الأول ليجلس في صمت على قبر يتوسط الحلقة ويعلو بقية القبور)

دوق جوتا : (ناهضا) أيها الأصدقاء ، ان كارلوس ملك اسبانيا أجنبي من ناحية والدتــه وهو يطالب بالامبراطورية المقدسة .

المتآمر الأول : سيكون له القبر .

دون جوتا : (وهو يلقى بمشعله الى الأرض ويطؤه بقدمه) ليسحق رأسه مثلما سحقت هذا المشعل .

الجميــع : ليسحق

المتآمر الأول : له الموت

دون جوتا : ليمــت

الجميــع : فليذبح

دى جارو : أبوه ألمانى

دى لوتزلبورج : وأمه اسبانية

دون جوتا : لم يعد أسبانيا ، ولم يكن المانيا ، فليمت

أحد المتآمرين : واذا اختاره الناخبون الآن امبراطورا . . .

المتآمر الأول : هم يختارونه ؟ أبدا . . .

دون جيل : تلليزجيرون — وماذا لو اختاروه !! أيهـــا الأصدقاء ، لنضرب الرأس فيموت التاج :

المتآمر الأول : اذا جاءته الامبراطورية المقدسة ، فسيصبح — مهما يكن من يكون — الجليل المعظم والله وحده ، اذ ذاك ، من يستطيع أن يمسه بأصبعه . ؟

دون جوتا : أوثق الأمور أن يموت قبل أن يتم انتخابه .

المتآمر الأول : لن يتم انتخابه .

الجميـــع : لن تكون له الامبراطورية .

المتآمر الأول : كم من الأيدى تكفى لتلفه في الكفن ؟

الجميـــع : يد واحـــدة .

المتآمر الأول : وكم من ضربة في القلب تودى به ؟

الجميـــع : ضربة واحدة

المتآمر الأول : ومن يضربها ؟

الجميـــع : نحن جميعا

المتآمر الأول : الذى أهدرنا دمه خائن . . الناخبون يريدون أن ينصبوا امبراطورا ، فلننتخب نحن رئيس كهنة . ؛ لنقترع . .

(يكتب المتآمرون أسماءهم في أوراق صغيرة . وبعـــد أن يطووها ، يذهب كل منهم بدوره ويلقى بها في جرة قائمة على قبر من القبور)

المتآمر الأول : فلنصل . . .

(يركع الجميع . . ثم ينهض المتآمر الأول)

ليكن المختار عن طريق الاقتراع مؤمنا بالله ، يضرب بيد ثابتة كما يضرب الرومانى ،وليمت صامتا كما يموت العبرى ، يجب أن يسخر من ألام شده الى عجلة التعذيب ومن عض الكلاليب الحديدية فيه،وأن يرفع الصوت عاليا بالغناء كلما شدت عليه آلات التعذيب ، وليقابل بالضحك لسع المصابيع الحارقة ، ليأت كل هذا راضيا مستسلما ، ليفعل كل شيء في سبيل أن يقتل ، وأن يموت .

(يمد يده الى الجرة ويلتقط منها ورقة)

الجميع : ما الأسم ؟

المتأمر الأول : (يقرأ بصوت عال) هرنانى

هرنانى : (وقد برز أمام صفوف المتآمرين) ربحت أخيرا ، نلت الآن ما كنت أجدُ في طلبه ، الانتقام .

روى جوميز : (متقدما الصف ليأخذ هرنانى جانبا) تنازل لى عن هذه الضربة .

هرنانى : لا ، وأقسم بحياتى ، ولا تحسدنى أيها المولى على هذا المغنم ، هذه هى المرة التى ألقى فيها السعادة.

روى جوميز : أنت فقير لاتملك شيئا . . جميع اقطاعياتى ، قصورى ، ما أملك من العبيد ، مائة ألف من الفلاحين يعملون في ثلاثمائة قرية تخضع لنفوذى ، أنزل لك عن كل هذا يا صديق ، في مقابل أن تنزل لى عن هذه الضربة التى ستضربها .

هرنـــانى : لا . .

دوق جوتا : ذراعك لا تقوى على تسديد الضربة القاضية ايها الشيخ .

روى جوميز : الى الوراء يا هذا . . اذا أعوزتنى قوة الذراع فستنجدنى ، دفقات النفس الفتية ، لا تحكم على السيف بما يعلو غمده من الصدأ .

(الى هرنانى)

لا تنس انك ملك لى .

هرنـــانى : حياتى ملك لك ، ولكن حياته هو ، لى وحدى أنا

روى جوميز : (وهو يمسك بالبوق المشدود الى حزامه) أصغ الىّ أذن يا صديق ، انى أعيد اليك هذا البوق . .

هرنـــانى : (مهتزا) ماذا . أتعيد الىّ الحياة ؟ لم أعد أعبأ بها ، كل همى أن أكون للانتقام ، وقد اختارنى الله له . . . أثأر لأبى . . وأكثر من هذا ، فانى أثأر لها . . هل ترجعها لى ؟

روى جوميز : لا . . وانما خذ هذا البوق .

هرنـــانى : كلا .

روى جوميز : فكر جيدا يابنى .

هرنـــانى : دعنى لفريستى يادوق .

روى جوميز : اذن لتكن ملعونا اذ حرمتنى هذه المتعة .

(يعيد البوق الى حزامه)

المتآمر الأول : (الى هرناني) من الرأى أيها الأخ أن تتربص لكارلوس من الليلة ، وقبل أن يتم الانتخاب .

هرناني : لا تشغل بالك ، أعرف كيف أدفع برجل الى قبره .

المتآمر الأول : لتقع على رأس الخائن أوزار خيانته ، وليكن الله معنا ، واذا لم يوفق هرناني في مهمته ، فاننا نبقى على العهد ، ونقسم بأن يتولى انجاز هذه المهمة ، الواحد منا بعد الآخر ، والا يصرفنا شيء عن انجازها . ان كارلوس مقضى عليه بالموت

الجميع : (وهم يشرعون سيوفهم من أغمادها) نقسم .

دون جوتا : (الى المتآمر الأول) نقسم بماذا ؟

روى جوميز : (مديرا سيفه بين يديه بحيث يمسكه من سنانه ويرفعه فوق رأسه فيبدو السيف ومقبضه الى العلاء وكأنه صليب)

اقسموا بهذا الصليب .

(يرفع الجميع سيوفهم في قسم)

الجميع : أن يموت من غير أن يجد فرصة ليتوب فيها الى ربه

(تسمع طلقة مدفع آتية من بعيد يخلد الجميع الى الصمت . يفتح باب الضريح في بطء . يظهر دون كارلوس على عتبة الباب وهو مصفر الوجه ويصيخ بأذنه ليسمع . تسمع طلقة ثانية . ثم طلقة ثالثة . ينفتح باب الضريح على مصراعيه . ولكن دون كارلوس يظل بلا حراك)

المشهد الرابع

المتآمرون – دون كارلوس – دون ريكاردو – يتبعه سادة وحراس – ملك بوهيميا – دوق دى بافيير – دونيا سول .

دون كارلوس : أيها السادة استمروا كما يحلو لكم فيما أنتم فيه . . الامبراطور يسمع ماتقولون .

(تنطفئ جميع المشاعل دفعة واحدة سكوت عميق يسود المكان . يتقدم دون كارلوس خطوة في هذه الظلمة القاتمة التى يترآى المتآمرون خلالها وكأنهم نصب جامدة)

صمت وليل . أطل أول سرب من النحل الطنان ثم غطس . أتحسبون أن هذا الأمر يمر كما لو أننا في حلم وانني ، بعد أن انطفأت الشعل التى كانت بأيديكم ، لن أرى فيكم غير تماثيل من الحجارة فوق القبور ؟

ماذا ؟ كنت أيتها التماثيل ترفعين ، منذ هنهية ، الصوت عاليا بالكلام ؟ هيا ارفعوا رءوسكم التى انخفضت وانظروا . . هاكم (شارلكان) اضربوا . . . تقدموا ، أتجرءون ؟

كلا لن تجرءوا . انطفأت مشاعلكم الدامية تحت هذه العقود وماتت . . قضت عليها نفحة هواء من فمى .

وليس هذا كل شيء ، انظروا حواليكم بعيونكم

الجائرة لترَوا ، أنني اذا أطفأت شعلا ، أوقدت شعلا أكثر عددا منها .

(يدق بالمفتاح على باب الضريح ، فتمتلئ رحاب الكهوف ومساربها بجنود مسلحين ، يحملون بأيديهم المشاعل المضيئة ، وعلى رأسهم دوق الكالا ، والمركيز الموناتن)

انطلقى ياصقورى، هاكم العش، واليكم الفريسة

(الى المتآمرين)

أنير الآن أنا المكان بدورى. . انظروا،ان الضريح يسطع نورا ويتلألأ .

(الى الجنود)

تعالوا جميعكم وألقوا القبض عليهم فهم متلبسون بالجريمة .

هرنـــانى : (وهو يراقب الجند) وضح الأمر وزال اللبس، ..حينما كان قائما بمفرده ، كان يبدو لى عظيما. . حسبته في أول الأمر شارلمان ، فاذا هو شارلكان!

دون كارلوس : (الى دوق الكالا) أيها القائد الأول . . (ثم الى مركيز الموناتن)

وأنت يا أمير بحر قشتالة ، جردوا هؤلاء من أسلحتهم .

(يلتف الجند حول المتآمرين ويجردونهم من أسلحتهم)

دون ريكاردو : (وهو يجرى نحو كارلوس وينحنى أمامه بحيث يقارب جبينه وجه الأرض)

يا صاحب الجلالة .

دون كارلوس : أنت من الآن قائد حراس القصر .

دون ريكاردو : (ينحني مرة ثانية) وفد ناخبان ليرفعا التهنئة الى جلالتكم المقدسة ، نيابة عن المجلس .

دون كارلوس : ليدخـــلا .

(بصوت منخفض)

دونيا سول . . لاتنسى

(يحى ريكاردو ويخرج . ويدخل ملك بوهيميا ودوق دى بافيير يتقدمهما نفر من حملـــــــة المشاعل ، ومن النافخين في الأبواق ، وهما في لباسهما الرسمى المذهب ، ويعلو التاج جبين كل منهما . هذا ويمشي وراءهما رهط من اشراف ألمانيا يحملون علم الامبراطور وهو يمثـــل راس نسر ذى رأسين ويتوســـطه الشعار الاسبانى . وينتظم الجنود بحيث يؤلفون صفين منهـــــم ، ابتداء من المؤخرة حتى مكان دون كارلوس ويمر من بينهما الناخبان الوافدان اللذان يتقدمان نحـــو الامبراطور وينحنيان أمامه . . تحية طويلة يـــرد عليها دون كارلوس برفع قبعته)

دون دى بافيير : اى شارل ، ملك الرومانيين ، صاحب الجلالة المقدسة ، أيها الامبراطور ، ان العالم الآن بين

يديك اذ انتهت اليك الامبراطورية . . وبهذا صار لك العرش الذى ينعقد عليه طموح كل ملك اختار المجلس في أول الأمر فردريك، دون ساكس ، ولكنه رأى انك أنت أجدر منه بهذا المنصب ، فاعتذر عن قبولــه . فتقدم اذن والبس التاج ، وامسك الكرة بيدك . ان الامبراطورية المقدسة أيها الملك تخلع عليك الرداء الأرجوانى وتقلدك السيف الكبير النصل. . وانك للعظيم المتعالى .

دون كارلوس : عند عودتى سأذهب الى المجلس لأشكر له مـــا خصنى به ، ثم انى لشاكر لكمـــا مبادرتكما بالتهنئة. فتقدمونى أيها السادة الى المجلس، هيا . . أخى ملك بوهيميا ، ويا بن العم دوق بافاريا ، سألحق بكما

ملك بوهيميا : شارل ، كان أجدادنا معروفين بتبادل الحـــب والوداد بينهما . وكان أبى صديق أبيك وكان أبواهما من قبلهما ، متصادقين متحابين . شارل كنت في صباك هدفا لمتاعب كثيرة ، وعرفتك منذ أن كنت طفلا ، ولا يمكننى أن أنسى ذلك فهل تريد أن تتخذنى أخا بين اخوتك ؟

دون كارلوس : (مقاطعا) ملك بوهيميا أجدك أسرفت فى رفع الكلفة بيننا

(يقدم يده اليه فينحنى ويقبلها . وكذلك يفعل دوق دى بافييرا ويخرج الناخبان يتبعهما الموكب بعد أداء التحية الواجبة)

تفضلوا .

الجميـــع : يحى الامبراطور

دون كارلوس : (منفردا) انتهيت اليها ، وانفسح لى الطريق ، وصرت الامبراطور . بعد أن تنحى فردريك الحكيم

(تدخل دونيا سول يقودها دون ريكاردو)

دونيا سول : جنود الامبراطور !! يا الهى .. اية مفاجأة .. هرنانى .

هرنـــانى : دونيا سول .

روى جوميز : (جانبا) لم ترنى

(تجرى دونيا سول نحو هرنانى ، ولكنه يتوقفها باشارة)

هرنـــانى سـيدتى .

دونيا سول : (وهى تخرج خنجرا من صدرها) احتفظ دائما بخنجره معى .

هرنـــانى : (وهو يمد يديه نحوها) يا حبيبتى .

دون كارلوس : صمتا .. جميعكم . (الى المتآمرين) هل عاودكم الصواب الآن ؟

يجدر بى أن ألقى درسا على العالم .

« لارا » القسطلانى ، و « جوتا » السكسونى .. تكلما ، بل تكلموا جميعكم ماذا جئتم تعملون هنا ؟

هرنـــانى : (متقدما خطوة) مولاى ، ليس الأمر عسيرا ،

ونستطيع أن نجاهرك به ، جئنا نحفر الحكم على جدار بلتزار [1]

(يشهر خنجره ويلوح به في الفضاء)

ونعطى نقيصر ما يجب أن يعطى لقيصر [2]

دون كارلوس : هذا حسن . (الى روى جوميز) وأنت أيها الخائن سيلفا ؟

روى جوميز : من منا ، نحن الاثنين الخائن يامولاى ؟

هرنانى : (وهو يوجه الكلام الى المتآمرين) رؤوسنا والامبراطورية صارت له ، نال كل ما يرغب فيه (الى الامبرا طور) رداء الملوك الأزرق كان يعوقك في مشيتك ، أما الرداء الارجوانى فانه وفق ما تريد ، ان الدم اذا خضبه ، فلن تظهر أثاره عليه

دون كارلوس : (الى روى جوميز) دى سيفا يا بن العم . خرجت على ولائك لى ، فمن العدل أن أمحو بارونيتك من شعار الدولة . . يادون روى ، اقترفت الخيانة العظمى ، ففكر في الأمر .

روى جوميز : من ملوك رودريك انحدرت كونتات جوليان

دون كارلوس : (الى دوق الكالا) لاتحتجز الا من هو دوق أو كونت ، أما الآخرون . . (يخرج من زمرة

---

١ — آخر ملوك بابل ، وقد ظهرت نبوءة مكتوبة على جدار قصره بأنه الأخير من ملوك بابل .

٢ — من كلام السيد المسيح ، ووارد فى الانجيل .

المتآمرين دوق روى جوميز ، دوق دى لوتزيلبورج ، دوق دى جوتا ، دون جوان دى هارو ، دون جوزمان دى لارا ، دون تيليز جيرون البارون دى هوهينبرج ، ويبقى بقية المتآمرين ، وبينهم هرنانى ، وقد أحاطهم دوق الكالا بحراسة شديدة)

دونيا سول : (على حدة) نجا .

هرنانى : (خارجا من الزمرة) الآن أطالب بأن أعدّ منهم (الى دون كارلوس) مادامت الأمور قد انتهت الى أن تقضى فيها فأس الجلاد ، وأن هرنانى الراعى الحامل الذكر سيمر من بين قدميك دون أن يناله عقاب ، لأن رأسه لا يرقى الى مقام سيفك ، وانه لكى أموت ، لابد أن أكون من العظماء ، فلا مفر اذن من أن أرفع قامتى وأكشف عن حقيقتها .

ان الله الذى يعطى الصولجان لمن يشاء ، وقد جاد به عليك ، جعلنى دوقا لسفورا ودوقا لكردونه ، ومركيزا لمونروا ، وكونتا للبتراء ، الى غير ذلك من أماكن يفوتنى أن أحصى عددها .
أنا يوحنا الارجوانى ، الحامل درجة أستاذ فى وسام (دافيس) .

ولدت فى المنفى ، ودرجت ابنا طريدا لاب قتل بحكم من أبيك يا كارلوس ياملك قشتالة ، فللقتل بين اسرتينا أعمال جارية . . أنتم تعدون منصة

الاعدام ونحن نجهز الخناجر . وعليـــه فان الله
جعلني دوقا ، ولكن النفى جعل منى جبليا ،
فاذا كان سيفي الذى شحذته على صخور الجبال
وفي مجارى السيول الندية لم يفدنى في شيء ، فأنا
أضع قبعتى فوق رأسى .

(موجها الكلام الى المتآمرين)

فلنضع قبعاتنا فوق رءوسنا يا عظماء اسبانيا .
(الى كارلوس) من حقنا ألا تسقط رءوسنا
أمـــامك الا وهي تحمـــل قبعـــاتها (الى
الأشراف المتـــآمرين) سيلفا ، هارو ، لار ا ،
يا من تحملون ألقاب الشرف ، ويارجال المناصب.
المناصب . يادوقات ياكونتـــات ، مكانـــا لى
بينكم ، مكانا ليوحنا الأرجوانى .

(الى الأشراف حول الامبراطور والى الجنود)
أنا يوحنا الأرجوانى أيها الملك ، أيها الجلادون ،
أيها الخدم ، فاذا كانت منصة الاعدام تضيق بنا ،
فأبدلوها بأخرى

(يذهب الى زمرة النبلاء ويقف بينهم)

دونيا سول : ربـــاه

دون كارلوس : في الواقع نسيت هذه القصة !

هرنـــانى : ان من ينطوى على جرح يدمى ، لاتخونه الذاكرة ،
والاساءة قد ينساها حمقا من تصدر منه ،ولكنها
لا تغيب عن ذاكرة من نزلت به

كارلوس : اذن لى اللقب الذى يغنينى عن كل لقب سواه ، وهو انى سليل أبـــاء كانوا يقطعون رءوس أبائك ! !

دونيا سول : (وهى تركع أمام الامبراطور) عفوا ورحمة بنا يامولاى ، والا فاقطع عنقينا نحن الاثنين . هو حبيبى ، هو زوجى ، ومنه أستمد الهواء الـــذى أتنشقه . آه اننى أرتجف فزعا . . مولاى كن رحيما وأمر بقتلنا نحن الاثنين . . . يا صاحب الجلالة . . اننى أزحف راكعة حول قدميك المقدستين . اننى أحبه ، انه لى ، وهو منى بمنزلة الامبراطورية منك . . الرحمة . .

(يستمع دون كارلوس وهو يحدق فيها من غير حراك وقد امتقع وجهه) ماهذا الحزن ؟ الذى يستولى عليك ويمتصك ؟

دون كارلوس : (وقد أفاق من تفكيره) هيا . . يا دوقة انهضى . . ويا كونتيسة البتراء ، ويا مركيزة دى‌مونروا . . (الى هرنانى) ماهى بقية ألقابك يادون جوان؟

هرنـــانى : من الذى يتكلم هكذا ؟ الملك ؟

دون كارلوس : بل الامبراطور .

دونيا سول : (وهى تنهض) أيها الاله القادر .

دون كارلوس : (مشيرا بيده الى دونيا سول) اليك زوجتك يا دوق .

هرنـــانى : (دونيا سول بين ذراعيه وعينـــاه تنظران الى السماء) أيها الاله العادل

دون كارلوس : (الى روى جوميز) أراك غيورا ، يا بن العم ، على نقاء السلالة في أسلافك ، أعرف هذا ، ولكن لا ضير في أن يتزوج آل أرجون ، من آل سيلفا .

روى جوميز : (في كآبة) ليست غيرتى من أجل هذا .

هرنـــانى : (معانقا دونيا سول وناظرا في عينهـــا) حقدى يذهب عني (يلقى بخنجره بعيدا عنه) .

روى جوميز : (على انفراد وهـــو ينظر اليهما) أأطلق العنان لما بى ، وأفجر لوعتى ؟ لا . لا . هدوءا ياجنون الهوى ، ورحمة أيها الآلام السوار . لن تثير فيهما غير الشفقة عليك أيها الاسبانى العتيق ، ولن تلقى الا السخرية منهما اذا تبينا هذا فيك . أيها الشيخ احترق من غير أن تندلع ألسنة اللهب ، واعشق ماحلالك ، وتألم ماشئت ، ولكن في الخفاء وفي صمت ، دع قلبك ينفطر وحذار أن يصدر منك صوت . . سيضحكون منك .

دونيا سول : (مازالت بين ذراعى هرنانى) أنت دوقي .

هرنـــانى : الحب يملأ كل شغاف قلبي . لم يعد هناك مكان لشيء سواه .

دونيا سول : يالسعادتى . .

دون كارلوس : (منفردا) انطفئ أيها القلب الذى يتأجج بنيران

الصبابة والشباب وأفسح المجال للعقل يبسط سلطانه ، فياطالما أغفلت أمره . بعد اليوم سيكون هواك ، ستكون عشيقاتك ، صباباتك ، ـــ ويا للأسف ، هي المانيا والفلاندر ، واسبانيا .

(وقد تركزت عيناه على العلم الذى ارتسم عليه النسر ذو الرأسين)

الامبراطور شبيه بهــذا النسر ، ففي مكان القلب مني لم يعد ينبض غير هذا الشعار .

هرنـــانى : أنت قيصر .

دون كارلوس : (الى هرنانى) ان نبل قلبك ، يادون جوان ، لجدير بنبل محتدك .

(مشيرا الى دونيا سول) وانك لأهل لها . اركع أيها الدوق

(يركع هرنانى ويخلع دون كارلوس عنــــه القلادة الذهبية ليطوق بها عنق هرنانى)

اليك هذه القلادة .

(ثم يشهر دون كارلوس سيفه ويدق به على كتف هرنانى ثلاث مرات) كن مخلصــا . باسم القديس (سانت أتين) أرسمك فارسا .

(وينهض هرنانى ، ويعانقه الملك)

ولكن لك قلادة أخرى أرفع من هذه وأجمل لم أحزها أنا رغم مرتبتى ولم تطوق عنقى. . . لك ذراعا امرأة تحبها وتحبك . .

ستكون سعيدا ولاشك . . اما أنـــا . . . فأنا الامبراطور

(والى المتآمرين)

لم أعد أذكر أسماءكم أيها السادة . الحقد والغضب لم يعد لهما مكان في قلبي . اذهبوا جميعا فأنتم طلقاء . عفوت عنكم ، وهذا ما يجدر بي أن ألقيه اليوم على العالم . ليس عبثا أن يخلف الامبراطور شارلكان الملك شارل الأول ، وأن يصدر قانونا يغير من وجه الأمور في عين أوروبا اليتيمة التى تشهق بالبكاء اذ يجعل من صاحب السمـــــو الكاثوليكى ، صاحب الجلالـــة المقدســة . .

(يركع المتآمرون)

(يركع المتآمرون)

المتآمرون : (يهتفون) المجد لكارلوس .

روى جوميز : (الى دون كارلوس) أنا وحدى بقيت المقضّى عليه .

دون كارلوس : وأنا ! !

روى جوميز : (لنفسه) ولكننى لم أعف مثلما فعل .

هرنـــانى : يالله . . ومن ذا الذى غير من أحوالنا هذا التغيير ؟

الجميــع : (الجند والمتآمرون والاشراف) تحيا المانيا . المجد لشارلكان

دون كارلوس : (مستديرا بجسمه نحو الضريح بل المجد لشارلمان دعونى الآن واياه منفردين (الجميع يخرجون)

المشهد الخامس

دون كارلوس (منفردا)

دون كارلوس :: (وهو ينحنى أمام الضريح) أأنت راض عنى ؟
هل أحسنت تحرير نفسى من تفاهات الملك
ياشارلمان ؟ ؟

هل صرت رجلا آخر اذ أصبحت امبراطورا ؟
هل أستطيع أن أزاوج بين مطالب خوذتى الحربية
وما تريده قبعة رجال الدن في روما ؟
هل لى الحق في أن أقضى في مصائر العالم ؟
أأصبحت لى القدم الراسخة الخطا تضرب باطمئنان
بين الانقاض ، في الطريق التى شقتها لنا نعلاك
الضخمتان ؟

هل وفقت في أن أقبس من فيوض أضوائك ما
أوقدت به مشعلى ؟

هل وعيت الصوت الذى كان يناجينى داخل
قبرك ؟

آه شد ما أحسست الوحدة والضياع أمام
امبراطورية تضج وتصخب ، ويهدد كل من
فيها ويتآمر ! !

كان يجب أن أعاقب الدانيمركين ، وأن أدفع
للأب المقدس . . مقاطعات من مملكتى أنزل له

عنها . . ان أحذر أهل فنيسيا ، ومن سليمـــان العثمانى ، ومن لوثر ، ومن فرنسوا ملك الفرنسيس.
ألف خنجر حولى تلمع في الظلام وهى متعطشة لسفك دمى . . .

فخاخ وحبائل ، وأعداء ليس يحصيهم العدّ . . . عشرون شعبا ، كل منها يملأ بالفزع قلـــوب عشرين ملكا . .

كل هذا رأيته يتطلب منى حلولا عاجلــة ، وفي وقت واحد ، ويلح في اتخاذ مايحد من جماحه ، فدعوتك صارخا : أرشدنى من أين أبدأ ؟

فأجبتنى : ياولدى ابدأ بأن تكون رحيما .

(ســتار)

★ ★ ★

الفصل الخامس

العرس

في مدينة سرقسطة

شرفة واسعة الأرجاء بقصر أراجون ؛ وينحـــدر منها درج الى الحديقة التى تغيب معالمها في خضرة داكنـــة

بالشرفة بابان ، يمينا ويسارا . هذا ويحيط بالشرفة «درابزين» يتألف من صفين من عقود على الطراز الموريسك « المغربى العربى » وتترآى من فوقهـــا ومن خلالها اشجار الحديقة ، ونوافير الميـــــاه التائهة في الظلال ، ومجموعات من شجـــيرات تتعانق أغصانها وتتخللها الأضواء .

وفي المؤخرة قامت أعمدة على الطراز القوطى ، والعربى .

الوقت ليل .

تسمع من بعيد أصوات أبواق . . . .

ويرى أناس يسعون جيئة وذهابا في الشرفـــة ، منفردين أو في جماعات وقد تنكروا في أزيـــاء حفلات الرقص المقنعة .

وفي المقدمة ، مقدمة منصة التمثيل ، وقف جماعة من الشبان النبلاء يحملون أقنعتهم التنكرية بأيديهم ، وهم يتضاحكون ويضجون في صخب مرتفع .

المشهد الأول

دون سانشو ــ كوبت دى مونتيرى ــ دوق ماتياس سانتوريون ــ ماركيز دالمونيان دون ريكاردو ــ دى روكاس ــ كونت دى كاسبالاما ــ دون فرانشيسكو ــ دى سوتومايور ــ كونت دى فيللاكازار ــ دون جراسى سوارز دى كارباجال كونت دى بينالفير .

دون جراسي : في الحق يحيا المرح ولتحي العروس .

دون ماتياس : (وهو يطل من الشرفة) سرقسطة في أبهى زينة

دون جراسي : كل شيء على مايرام . لم نر قبل اليوم عرسا قام على أضواء المشاعل وجاء أبهج من هذا العرس ، وما من ليل أصفى من هذا الليل ، وما من عروسين أجمل من هذين .

دون ماتياس : وما أطيب نفس الامبراطور .

دون سانشو صاحبته ذات مساء ، وقد انقضى النهار ، وسرنا نجدّ في البحث عن مغامرة تشغلنا .

من كان يصدق أنها تسفر يوما عما أسفرت عنه الآن؟

دون ريكاردو : (مقاطعا) كنت معكما (الى المستمعين) أصغوا سأقص عليكم القصة .

كان هناك ثلاثة عشاق ينشدون حب حسناء ويضيقون عليها الخناق ، أولهم قاطع طريق تبحث عنه منصة الاعدام ، وثانيهم دوق ،

وثالثهم ملك . وحينما وقع الهجوم أتدرون من
الذى كتب له الفوز ؟
قاطع الطريق ! !

دون فرانشيسكو : ليس عجبا أن يقع ماوقع . ففى شئون الحب كما في شئون الحظ باسبانيا أو في غيرها ، يكون زهر النرد مخادعا ، ولا يظفر بالكسب غير اللص .

دون ريكاردو : من ناحيتى انـا ، أعترف انى التقطت حظى الأوفر ، اذ سرت وراء ركاب الحب . كنت في أول الأمر كونتا ، فأصبحت عظيما من عظماء أسبانيا ، وأخيرا صرت قائد حراس القصر . لم يضع وقتى عبثا ، ولم يشك أحد في مقاصدى .

دون سانشو : السر في نجاح هذا السيد أنه كان يقف في طريق الملك

دون ريكاردو : (مستمرا) وأعلى الملك من حقوقي وخدماتى .

دون جارسى : غنمت ماغنمته أنت ، من انتهاز الفرص فى متابعة معابثاته ولهوه

دون ماتياس : وما الذى انتهى اليه أمر الدوق العجوز ؟ أتراه يعد مسامير نعشه ؟

دون سانشو : أيها المركيز ، لاتضحك منه ، انه رجل ذو نفس أبية ، أحب دونيا سول وهو شيخ . ستون عاما جعلت من شعره خليطا من بياض وسواد ، وقدر يوم واحد على أن يحيل هذا الخليط قطعة من بياض .

دون جارسى : يقولون انه لم يعد يرى في سرقسطة

دون سانشو : (وهو يهمس الى دون ماتياس) أكنت تريده أن يجر وراء نعشه ليحضر هذا العرس ؟

دون فرنشيسكو : وما يعمل الامبراطور ؟

دون سانشو : الامبراطور اليوم كئيب ، « لوثـر » يشغلـه ويضايقه

دون ريكاردو : هذا المدعو« لوثر » الذى يستغيث منه الناس ويثير همومهم ، أعطونى أربعة من الجنود وأنا أقضى عليه سريعا .

دون ماتياس : وسليمان سلطان العثمانيين ، يلقى عليه بظلـه الثقيل . .

دون جارسى : أوف. .لوثر . . سليمان . . نبتون ، الشيطان . وجوبيتير ، مالنا بهم ؟
النساء فاتنات ، وصارت نـادرة المساخر التى تسرى عن النفس ، وقد تحدثت بمائة كلمة مما يوحى به الجنون .

دون سانشو : هذا كلام سليم وفي صميم الموضوع

دون ريكاردو : جارسى لم يخطئْ وأنـا لست أنا في أيـام الأعياد والمسرات ، وأعتقد أنه يكفى أن أضع قناعا على وجهى ، حتى أتغير وأبدو وكأننى غيرى

دون سانشو : (هامسا الى ماتياس) لم لا تطول أيام الأعياد والمسرات ؟

دون فرنشيسكو : (مشيرا بحركة من رأسه) ستراهما قادمين بعد قليل .

دون فرنشيسكو : أتظن ؟

دون جارسى : بل متأكد .

دون فرنشيسكو : حسن جدا . . في الواقع ما أحلى العروس !

دون ريكاردو : وما أطيب قلب الامبراطور !! واليكم . . هرنانى هذا الثائر قد عفا عنه ، وقلده قلادة الخصلة الذهبية ، ثم زوجه !! ولو أنه استشارنى في الأمر ، لجعلته يعطى هذا العاشق سريرا من الحجر ، ويعطى السيدة سريرا من الريش .

دون سانشو : (وهو يهمس في أذن دون ماتياس) أما لو كان الأمر بيدى أنا ، اذن لقتلته بسيفى ، هذا الذى يدعى نبل المحتد ، هذا المزيف الذى يختفى خلف ثوب مزركش بالخيوط الخشنة ، وتحت صديرية ، مما يرتديه الكونتات ، وقد انتفخت بمغامرات مع رجال الشرطة .

دون ريكاردو : (وهو يقترب من المتحدثين) ما تقولان ؟

دون ماتياس : (بصوت منخفض الى دون سانشو) كونت . . لسنا هنا للمنازعات (إلى ريكاردو) كان ينشدنى أحد قصائد بترارك في معشوقته .

دون جارسى : ألم تلاحظوا أيها السادة ، انه بين الورود والنساء ، والثياب التى جمعت كل الألوان ، يقف ذلك الشبح متكئا على «الدرابزين» وهو مرتد ملابسه

التنكرية السوداء ، وكأنه بقعة كئيبة تعكر بهجة هذه الحفلة ؟

دون ريكاردو : ايه . . وربي .

دون جارسي : ومن يكون ؟

دون ريكاردو : يبدو لى مما هو عليه من قامة ، وبما ينبعث منه ، أنه « دون برانكازيو » أمير البحر .

دون فرانشيسكو : لا .

دون جارسي : لم أراه خالعا قناعه مرة واحدة

دون فرانشيسكو : فعل ذلك قصدا . اذ هو « دوق دى سوما » الذى يخالف دائما مـــا يأتيه الغير من أجل أن يلفت الأنظار اليه .

دون ريكاردو : لا ليس هو ، لقد تحدثت الى الدوق من قبل .

دون جارسي : اذن من يكون هذا المتنكر ؟ اليكم . . هاهو ذا قادم الينا

(يبدو رجل يرتدى ثيابـــا تنكرية سوداء وعلى وجهه قناع ، وهو يسير ببطء في مؤخرة الشرفة. ويستدير اليه الجميع يتابعونه بنظراتهم . هذا في حين أنه يبدو وكأنه لا يعيرهم التفاتا)

دون سانشو : اذا صح أن الأموات تمشى ، فهاكم خطاهم

دون جارسي : (يجرى مسرعا نحو الرجل المتنكر) لباس تنكرى بديع (يستدير المتنكر نحـــو جارسي ويقف فيتأخر جارسي خطوة الى الوراء نحو أصدقائه) أقسم بنفسي . . رأيت في عينيه لهبا يلتمع

دون سانشو : اذا كان هو الشيطان فسيجد من يتحدث معه
(متقدما الى الرجل المتنكر الذى بقى واقفا في مكانه دون حراك)
أمر سيِّيء . . أجئت الينا من جهنم ؟

المتنكر : لم أجئ منها . . وأنما أنا ذاهب اليها
(ويعاود سيره ليختفى في درج الشرفة ، هـذا والجميع يتابعونه بنظرات ملؤها الفزع)

دون ماتياس : في صوته أصداء . . سكان المقابر . . هذا مايمكن أن يقال عنه .

دون جارسى : يكفى . . أن ما يخيفنا في ناحية من النواحـى ، يضحكنا في المرقص .

دون سانشو : يا لها من دعابة سخيفة

دون جارسى : أه هو الشيطان ، خازن جهنم ، أتى ليلقى نظـرة علينا ونحن نرقص قبل أن يكون له . . لنرقص . .

دون سانشو : لاشك في أن الرجل يمزح مزاحا سوقيا .

دون ماتياس : سنعرفه في الغـد .

دون سانشو : (الى دون ماتياس) انظر . . أين ذهب ؟

دون ماتياس : (ذاهبا الى «درابزين» الشرفة وهو يدير عينيه في كل مكان) هبط من الدرج واختفى

دون سانشو : ممازح غريب الأطوار ولا شك . . (مفكرا) أمر غريب ! !

دون جارسى : (الى سيدة تمر الى جانبه) سيدتى المركـيزة أنرقص سويا هذه الرقصة ؟

(يحييها بانحناء ثم يمد يده اليها)

السـيدة : عزيزى الكونت ، أنت تعلم أن زوجى يعد كل خطواتى معك .

دون جارسى : وهذا سبب آخر لأن نرقص ، حتى لا نحرمه متعة العدّ لنرقص .

(تعطيه السيدة يدها ويخرجان)

دون سانشو : (مفكرا) حقا هذا أمر عجيب ! !

دون ماتياس : صمتا . . أقبل العروسان

(يدخل هرنانى ودونيا سول ، يد من كل منهما تتشابك مع يد من الآخر . دونيا سول في لباس عرس ناصع البياض ، وهرنانى في لباس من المخمل الأسود وعلى صدره تدلى القلادة الذهبية ، وخلفهما جماعات من السيدات والسادة وكلهم في لباس التنكر ، وقد وضعوا الأقنعة على وجوههم ، وهم في الواقع يؤلفون موكبا للعروسين . فامامهم أربعة من الوصفاء وفي الخلف يسير حارسان يحملان الفؤوس العالية وينتظم كل هؤلاء على المنصة بحيث يفسحون للعروسين طريقا فيما بينهم)

المشهد الثاني

السابقون ــ هرنانى ــ دونيا سول

هرنـانى : (وهو يرد التحية) يا أصدقائى الأعزاء .

دون ريكاردو : سعادتك هذه من سعادتنا يا موى .

دون فرنشيسكو : (وهو يتفرس دونيا سول) وحق القديس سان جاك ، انها لآية في الجمال !

دون سانشو : (الى دون ماتياس) تأخرنا . . ألا ننصرف ؟

(يأخذ الجميع يحيون العروسين وينصرفون من الباب ومن الدرج)

هرناني : (وهو يودعهم) في حراسة الله .

دون سانشو : (بقي آخر المنصرفين . . ويشد على يد هرناني) فلتسعد (ينصرف)

المشهد الثالث

هرناني — دونيا سول

دونيا سول : أخيرا . . انصرفوا جميعا .

هرناني : (وهو يحاول أن يأخذها بين ذراعيه) يا غرامى .

دونيا سول : (وقد احمرت خجلا وتتراجع) يبدو لى أن . . اننا صرنا في ساعة متأخرة من الليل .

هرناني : ياملاكى . . كل مايؤخر لقاءنا يكون مفرطا في طوله .

دونيا سول : أتعبتنى هذه الضجة ، ألا ترى ياسيدى العزيز أن الافراط في اللهو مدعاة الى أن يقلل من شعورنا بالسعادة ؟

هرناني : أنت على حق ، فالسعادة ياحبيبتى شيء له مهابته ، وهى لاتسكن الا القلوب الصلبة لتحفر عليها في تؤدة وجودها . . واللهو وان أضفى عليها جمالا ،

الا أن القلب ينفر منه اذ يجعل ابتساماته أقرب الى البكاء منها الى الضحك .

دونيا سول : في عينيك أطالع هذه الابتسامة وكأنها اشراقة النهار

(يحاول هرناني أن يسير بها الى باب الحجرة ولكنها تمانع في خفر)

مهلا . .

هرناني : أنا أسيرك ، ابقى ماحلالك البقاء، افعلى ماتريدين فلن أسألك شيئا . أنت تعرفين ما تصنعين ، وكل ما تصنعينه محبب الى نفسى . اذا أردت أن أضحك فسأضحك ، واذا شئت أن أغنى فسيرتفع صوتى بالغناء ، قلبي كله نار ولهيب . قولى للبركان أطفئ نارك ، يغلق البركان فوهاته المتثائبة بالحمم ولن ترين على سفوحه وجنباته غير الزهر والعشب الأخضر ، لأن العملاق قد استؤنس ، وبركان « فيزوف » قد استبعد ، وماذا يهمك اذا كان الحمم أضنى قلبه ؟ تريدين رؤية الزهر؟ لا عليك ، اذ ينبرى البركان المحترق يبذل كل جهد ليتفتح زهورا تسر الناظرين .

دونيا سول : ما أرحمك قلبا يحنو على امرأة ضعيفة ! ! هرناني يامن تسكن قلبي . .

هرناني : ماذا يعنى هذا الاسم ياسيدتى ؟ لاتدعيني بعد الآن بهذا الاسم ، أناشدك الرحمة ! انك بهذا الاسم تذكريننى مانسيته .

أعرف أنه كان هناك ، في حلـــم مخيف ، من يدعى هرناني وكان لنظراتـــه بريق السيوف . .
رجل مخاطر يركب الليل ويجوس الجبال ، هو عاص مطارد ، خطت كلمة الانتقام على كل شيء فيه . يائس تلاحقه لعنة أينما ولى وجهه .
ولكنني لم أعد اليوم أعرف هرناني هذا . .
انني أهيم الآن بالمـــروج الخضر ، ويشجيني تغريد البلبل بالزهـــور ،أنا يوحنا الارجوانى ، أنا زوج دونيا سول ، واني لجد سعيد .

دونيا سول : وانني لسعيدة .

هرنـــاني : مـــاذا يهمني الآن . . الأسمال والخـــرق ، والانقاض ، تركتها وراء الباب . وهـــأنذا أعود الى قصرى الحزين ، وعلى عتباته أرى ملكا من السمـــاء ينتظرني . . هأنذا أقيم من جديـــد العمد المحطمة الثاويـــة على الأرض ، أعيـــد اشعال النار ، وأفتح مصاريع النوافذ ، أنزع الحشائش عن أحجار الفناء ، لقد أرجعوا الىّ أبراجى ، وحصونى ، وشرفاتى ، وردوا القابى وريشة خوزتى ، وأعـــادوا مقعدى في مجلس قشتالة :
إلىّ يادونيا سول ، تتهادين في حمرة خـــديك ، وفيخفر عينيك ، وليدعنا الناس في خلوتنا . .
ان مافات ، قد انقضى وراح . أنا ما رأيت شيئا ،

وما قلته وما فعلته. انى أبدأ من جديد، لاننى نسيت
كل ما فات ،وسواء عن حكمة أو عن جنون ،
فانى أحبك ، أنت لى ، وأنت كل متاعى .

دونيا سول : (وهى تتفحص القلادة الذهبية على صدره).
ما أحلى هذه القلادة الذهبية وهى تزهو فوق
خلفية من المخمل الاسود ! !

هرناني : رأيتها قبل ذلك ، إذ كان الملك يقلدنى إياها .

دونيا سول : لم أهتم بالأمر ، إذ هى لا تهمنى في شىء ، إذا
لم تكن لك .
ثم . . أهو المخمل ، أو الحرير الذى يكسب
القلادة هذا البهاء ؟
لا . . لا يادوق ، هو جيدك الذى يزينها
فيك يامولاى نبل وفيك شهى الكبرياء .
(يحاول هرنانى أن يجتذبها)
لحظة ولا تتعجل . أترى مابى ؟ انه هزة الفرح
. . انى أبكى . . تعال نستمتع بجمال الليل .
(تسير إلى الدرابزين)
لحظة يادوق . . مهلة، أن أتنشق الهواء ، وأسرح
الطرف
كل شىء قد انطفأ وسكت ، الأنوار وموسيقى
العرس ولم يبق سوانا : الليل . . . وأنا . . . .
وأنت . . اكتملت لنا الفرحة .
قل لى ، ألا تعتقد أن الطبيعة ترعانا وتسهر علينا
فما من سحابة واحدة تحجب وجه السماء . كل

كائن حولنا يستريح ، كما هى حالنا . تعـال ، واستنشق معى شذى الورود . انظر لم يعد هناك نور يضىء ، ولا جلبة تسمع . كل شيء صامت. كان القمر منذ لحظة طالعا في الأفق ، وحينما كنت تتكلم ، خيـل الى أن ضـوءه المرتجف وصوتك المرتعش – الاثنان معا – ينفذان الى قلبي فأحسست الفرحة تملؤنى ، والطمأنينة تشيع في نفسى .

آه . . ياحبيبي لم لا يأتيني الموت في هذه الساعة ! !

هرنـانى : من ذا الذى لا يغفل عن نفسه ، وينسى كل شيء لدى سماع هذا الصوت العلوى ، كلامك أهازيج جل شأنها أن تحمل شيئا من أناشيد البشر . فانى أتابع بفكرى أحلامك وأخيلتك ، كما ينطلق المسافر على صفحة النهر ، وقد انساب مع التيار في ليلة صافية من ليالى الصيف ، فاذا هو يطالع مروجا لا يحصرها العد ، وقد وشاها الزهر .

دونيا سول : هذا السكوت ممعن في الكآبة . . وهـذه الهدأة توغل في أعماق بعيدة . . . قل لى . . ألا تصبو إلى رؤية نجم يضىء من بعيد في نهاية الأفق ؟ ألا تشتهى سماع صوت رقيق حانى يرتفع فجأة يغنى ويهتف ؟

هرنـانى : يالك من صاحبة مزاج متقلب ؟

كنت منذ ساعة تهربين من الأنوار ومن الموسيقى

دونيا سول : مللت المراقص ، ولكننى أقبل على سماع الطائر

يشدو في الحقول ، البلبل يصدح وقد حجبته
الظلال وأوراق الشجر ، وأحن إلى سماع
المزمار ، وهو يئن من بعيد، ان للموسيقى حلاوة
تأسر ، تتناغم معها النفوس وتنصقل المشاعر ،
وتردد القلوب أصداءها ، فنحس كما لو أن
نشيدا علويا يهبط علينا من السماء .
شد ما أكون سعيدة لو أتيح لى الآن سماعها ! !
(يرتفع صوت يصدح من بعيد)
حمدا لك ياربي . . حققت لى أمنيتى !

هرناني : (وهو يرتجف على انفراد) ما أتعسك !

دونيا سول : ملاك حارس استشف ماوراء فكرى — وهو بلاشك ملاكك الكريم .

هرناني : (في مرارة) نعم هو ملاكى الحارس .
(يرتفع صوت البوق مرة ثانية)
(على حدة) مرة أخرى .

دونيا سول : (وهي تبتسم) يادون يوحنا [1] ، عرفت الآن . . ان ماسمعته انما هو صوت بوقك .

هرناني : أليس كذلك ؟

دونيا سول : تشاركنى الطرب مناصفة في هذه الأغنية الليلية ؟

هرناني : ليكن . . فلى نصفها كما قررت . .

دونيا سول : في الرقص ما يبعث على السأم وأفضل عليه سماع

---

١ — خلع الملك دون كارلوس هذا اللقب على (هرنانى) قرب نهاية الفصل الرابع اذ عفا عنه وأعاد اليه ألقابه وممتلكاته .

صوت البوق يرتفع في أعماق الغـاب. ثم ان صوت بوقك من صوتك .

هرنـاني : (على حدة) النمر يزأر بحثا عن فريسته

دونيا سول : دون يوحنا ، ان هذا النغم يملأ قلبي فرحا

هرنـاني : (يهم واقفا وقد لبس الرعب) ادعيني هرناني .. هرناني ،لم أقطع بعد ما بيني بين وهذا الاسم الذى يحمل الموت في تضاعيفه .

دونيا سول : (وهى ترتجف) مابك ؟

هرنـاني : الشيخ الهـرم ..

دونيا سول : ماهذه النظرات المليئة بالفجيعة ! ! مابك ؟

هرنـاني : هذا الشيخ الذى يرسل ضحكاته في الظـلام . ألا ترينه ؟

دونيا سول : الى أين ينتهى بك هذا الهيمان ؟ ومن هو هـذا الشيخ ؟

هرنـاني : الشيخ الهـرم .....

دونيا سول : (تجثو على الأرض) راكعة على الأرض ،أبتهل اليك . قل لى أى سر من الأسرار يمزقك ؟ مابك؟

هرنـاني : أقسمت .

دونيا سول : أقسمت ؟

(تتابع جميع حركات هرناني في وجل . أمـا هو فيمسك فجأة عن الحركة ويمر بيده على جبينه)

هرنـاني : (على انفراد) ما عسى أن أقوله لها ؟ فلأجنبهـا

المصارحة بالحقيقة .

(بصوت مرتفع)

أنا . . أنا لا شيء بي . . فيما كنت أتحدث به اليك ؟

دونيا سول : كنت تتحدث . .

هرنـــانى : لا تلقى بالا . . كنت مضطربا . . انني أتألم بعض الشيء ولكن ما هذا ! ! لن يذهب بك الفزع الى هذا الحـــد .

دونيا سول : هل تريد أن أقدم لك شيئا ؟ مر فأنا خادمتك

(البوق يصدح من جديد)

هرنـــانى : (على حدة) يريدها . . هو يريد حياتى . عاهدته على ذلك .

(يتحسس حزامه الذى خلا من السيف ومـــن الخنجر)

لاشيء . . لا حيلة في أن يتم الأمر . . آه

دونيا سول : بك ألم شديد ولا شك ؟

هرنـــانى : جرح قديم كنت أظنه التأم . . عاد فاغراً فاه .

(وعلى حدة) فلنبعدها أولا من هنا

(بصوت عال) أصغ الى، دونيا سول ، ياحبيبتى . . تذكرين ولا شك ذلك الصندوق الذى كان يصاحبنى دائما في الأيام التى كنت أفتقـــر فيها إلى السعادة ؟

دونيا سول : أعرف ماتريد . . ولكن ماعسى أن تصنع به ؟

هرنـــانى : فيه زجاجة تحتوى على أكسير للألم الذى ينتابـــنى الآن . هيا اذهبي .

دونيا سول : أنا ذاهبة يامولاى

(تخرج من الباب المؤدى الى غرفة العرس)

المشهد الرابع

هرنـــانى (وحيـــدا)

هرنـــانى : أقبل من سيقضى على هناءتى ! !

هاهى يد القدر المحتوم تبدو على الحائط ! !

آه . . شد مايمعن القدر في السخرية منى ! !

(يغيب في تأمل عميق، ولكن سرعان مايفيق منه)

وبعد؟ كل شئ حولى لا يتكلم؟ ؟ لا أسمع وقعا لقدم؟ ماذا . . أتخدعنى حواسى ؟

(يظهر في مؤخرة منصة التمثيل الرجل المقنع في ملابسه التنكرية فيفزع هرنانى)

المشهد الخامس

هرنانى – المقنـــع

المقنـــع : مهما يقع من أمر، وحيثما يكون . . وفي آية ساعة تريد، وقد رأيت أن موتى أصبح أمـــــرا مقضيا، فما عليك الا أن تنفخ في هذا البـــوق، فيتم لك ماتريد من غير عناء هذا الميثاق شـــهد على صحته الأموات . . هل أنت مستعد ؟

هرنـــانى : (في صوت خفيت) هذا هو .

المقنـــع : هأنـــذا جئت الى سكنك ، جئت لأقول لك ان الوقت قد حان وأراك متأخرا ! !

هرنـــانى : حسن . . واية متعة لك في تنفيذ هذا الأمر ؟ ماعساك صانع بى ؟ تكلم

المقنـــع : لك أن تختار بين السم والنصل ، وما يقع عليـــه اختيارك ، أحضره لك ولنذهب معا الآن . .

هرنـــانى : فليكن

المقنـــع : أتريد أن تصلى ؟

هرنـــانى : لا يهمنى

المقنـــع : ماذا اخترت ؟

هرنـــانى : السم .

المقنـــع : حسن اعطنى يدك .

(يقدم الى هرنانى قارورة فيتناولها وهو شاحب الوجـــه)

اشرب ولينته الأمر .

(يرفع هرنانى القارورة الى شفتيه ولكنه لايشرب ما فيهـــا)

هرنـــانى : كن رحيما وأمهلنى الى الغد .

اذا بقيت لك بقية من قلب يادوق . . .

اذا لم تكن شبحا فرّ هاربا من اللهب ، أو ميتـــا ملعونا ، أو طيفا لعفريت .

اذا كان الله لم يصم جبينك بعد بأن خط عـــلى صفحة كلمة .. لا . . .

اذا كنت تدرى مامعنى السعادة الكبرى في الحب،
وأنت ابن العشرين ، وفي أن تتزوج بمن تحب . .
اذا أحسست يوما الهزة وأنت تطوى بذراعيك
امرأة تحبها وهى ترتجف . . . فالى غد . . أمهلنى
الى الغد ، تعالى الىّ في الغد . .

المقنــع : لا يقول هذا الكلام الا ساذج . الغد ؟ الغد ! !
أتسخر منى !
ناقوس جنازتك دق في هذا الصباح . ثم مــاذا
أنا صانع هذه الليلة ؟
تريدنى أن أموت ؟ واذا مت فمن ذا الذى يمضى
بك بعد ذلك الى القبر ؟
أتريدنى أن أنزل القبر وحدى ؟ أيها الشاب يجب
أن تتبعنى .

هرنــانى : أقول لك لا . سأنجو بنفسى منك . . . فأنـــت
شيطان . . . لن أطيعك .

المقنــع : كنت أشك في أنك ستتبعنى . . حسن جــدا .
فيم اذن أقسمت ، وبم أقسمت ؟ لم تقسم بشيء
أو لعلك أقسمت بشيء تافه . . برأس أبيك ! !
وهذا قسم يتطرق اليه النسيان . . ان بالشباب خفة
ونزقا

هرنــانى : أبى . . أبى . . يكاد عقلى يختلط علىّ ويتداعى

المقنــع : لا ــ ان الأمر لا يتجاوز أن يكون نكثا بعهــد
وخيانة قسم .

هرنــانى : يادوق

المقنــع : مادام الكبار من البنين في بيوت اسبانيا يعبثــون بأقسامهم ويزيفون في كلامهم فالوداع (يهــم بالخروج)

هرنـــانى : لا تذهب .

المقنــع : اذن .

هرنـــانى : أيها الشيخ الذى لا قلب له !
(يمسك بالقارورة)
أأتراجع وأنا على أبواب السماء ؟
(تدخل دونيا سول ، ولكن عينها لاتقع عــلى المقنع اذ يكون واقفا في مؤخرة منصة التمثيل)

المشهد السادس

السابقون — دونيا سول

دونيا سول : لم أعثر على الصندوق .

هرنـــانى : (على جانب) يا الهى ! ! هذه هى ؟ تجىء في مثل هذه اللحظة ! !

دونيا سول : مابه ؟ هل هو يفزع منى ؟ انه يترنح من سماع صوتى ! ! ماذا تحمل في يدك ؟ انى أرتاب . . ماذا في يدك ؟ أجب .
(يقترب المقنع منها وينزع قناعه ، فتبدوا منها صرخة فزع اذ تبين فيه دون روى جوميز)

روى جوميز : هذا سم .

هرنـــانى : ويلى منه

دونيا سول : (الى هرناني) ما الذى حدث مني ؟ وأى سر مخيف سأقف أمامه ؟ كنت تخدعني بادون يوحنا .

هرنـــاني : كان لازما أن أخفي الأمـــر عنك ولا أتكلـــم . وعدت الدوق أن أسلمه حياتي وهو من سبق له أن أنقذها ، ولا حيلة الآن في أن يدفع آل أراجون دين سيلفـــا .

دونيا سول : أنت لست له ، أنت لى وحدى أنا ، ولا تهمني عهودكمـــا .

(الى روى جوميز)

أيها الدوق ان الحب يملأ جوانحي قوة ، بحيث أستطيع أن أنازلك وأنازل جميع الناس في سبيل الدفاع عنه .

روى جوميز : دافعي عنه ان استطعت ، دافعي عنه وقد ارتبط بعهد وقسم .

دونيا سول : أى قسم ؟

هرنـــاني : لقد أقسمت :

دونيا سول : لا ، لا ليس هناك قسم ترتبط به ويقيدك ، هذا أمر لن يكون ، انه جريمة ، اعتداء ، جنون .

روى جوميز : هلم يادوق .

(تبدو من جانب هرناني حركة ليتبع روى جوميز ولكن دونيا سول تحول دون اتمامها)

هرنـــاني : دعيني يادونيا سول ، ليس هناك مفر من انجـــاز هذا الأمر . عاهدت عليه الدوق وأقسمت برأس

أبى على تنفيذه ، وأبى مطل علينا من عليائه .

دونيا سول : (الى روى جوميز) أهون عليك أن تنتزع من النمرة صغارها ، من أن تسلبنى من أحب .
أتعرف من دونيا سول ؟
أخذتك بالرفق ، وتحملتك منذ زمن ، مشفقة على الستين عاما التى قطعتها من عمرك ، فكنت لك الفتاة الرقيقة الساذجة التى يحمر وجهها خفرا ، أما الآن فانظر جيدا الى هذه العين التى تشرق بدموع الغضب ؟
(تنتضى خنجرا من صدرها)
أترى هذا الخنجر أيها الشيخ الخرف ؟ ألا تخشى النصل بعد تهديد العين به ؟ حذار يادون روى.
اننى من الأسرة ياعم ، أصغ الى : لك الويل منى اذا امتدت يدك بسوء الى زوجى .
(برهة صمت ووجوم ، وتلقى دونيا سول بالخنجر بعيدا عنها ، لتقع جاثية على الأرض)
أجثو راكعة على قدميك . كن رحيما بنا ، اعف ، أسفاه يامولاى ، لست الا امرأة .
خارت قواى . فارقتنى صلابتى ، أترامى على قدميك وأبتهل اليك أن تكون رحيما بنا .

روى جوميز : دونيا سول .

دونيا سول : اعف ، اننا معشر الاسبان نستشيط غضبا أمام العبارات الحادة ، ولكن سرعان ما نهدأ عند سماع الكلمات الحلوة الكريمة ، ، أنت تعرف هذا ،

ولم أعهدك يوما رجلا فظا خبيثا . . الرحمة . .
انت تقضى علىّ يا عمى اذا امتدت يدك بسوء
إليه رحمة ، فانى أحبه . .

روى جوميز : (مكتئبا) تَيمَّك حبه ! !

هرنانى : أتبكين ؟

دونيا سول : لا ، لا ، لا أريد أن تموت يا غرامى . لا أريد
(الى روى جوميز)
اعف عنا اليوم . سأحبك ، أنت أيضا ، سأحبك حبا جما

روى جوميز : تحبينى بعده ؟ تعطينى بقايا حب ، أتحسبين انك
تطفئين الجوى الذى يفترسنى بهـذا القليل من
الحب ، ومن الصداقة ؟
(مشيرا الى هرنانى)
هو وحده ، ولـه وحده ، كل شىء . أما أنا
فليس لى منك غير الاشفاق والرثاء . . ثم صداقتك
هذه ، ماذا أفيد منها ؟
ياللغيظ ! ! له وحده القلب ، والحب والسلطان .
النظرة منك ترمين بهـا الىّ ، يعتبرها صدقة
يتصدق بها .
واذا اهتاجنى شوق الى أن أسمع كلمة رضا منك
فهو وحده الذى يأمرك : « قولى هذه الكلمة
وكفى ! ! » وهو يلعن في سره هـذا الشحاذ
الجشع الذى ليس أهلا الا لأن يلقى اليه بثمالات
الكئوس ! !
ياللعار ! ويا للسخرية ! ! لا . لا أقبل . لابدأن

هـــرناني : ننتهي . . اشرب أعطيته كلمتي ، ولابـــد من الوفاء بها .

روي جوميز : هيـــــا

(يرفع هرناني قارورة السم الى فمه ، ولكن دونيا سول ترتمي على ذراعه)

دونيسا سول : تمهل . تفضلا أنتما الاثنان بالاستماع الىّ .

روي جوميز : اللحد فاغرفاه ، وأنا لا أملك الانتظار

دونيا سول : لحظة يامولاي ، وأنت يادون جوان ، ويالى من قسوتكما !!

ماذا أريد منهما ؟ . . انها لحظة هي كل مـــا ألتمسه ، مهلة أن تفضي أمرأة مروعة بمـــا في قلبها . . آه !! دعاني أتكلم .

روي جوميز : (إلى هرنـــاني) إنني على عجل .

دونيا سول : ياسيديّ ، انكما تملآني ذعرا ، ماذا فعلت بكما؟

هرنـــاني : صرخاتها تمزقني .

دونيا سول : (وهي ما زالت ممسكة بذراع هرناني) ترى جيدا أنني لم أفرغ بعد من انهاء ما أريد قوله . .

روي جوميز : (إلى هرناني) يجب أن تموت .

دونيا سول : (وهي مازالت على الوضع السابق) دون جوان ، افعل ما تريد أن تفعله بعد أن أفرغ من كلامي .

(تختطف القارورة من يده)

أخذتها

(ترفع القارورة أما أعينهما وقداستولت الدهشة عليها)

روى جوميز : مادمت أجدنى في هذا المكان أمام امرأتين فيجب أن أذهب إلى حيث ألقى النفوس الكبيرة. أقسمت بالدم الذى أخرجك من الدنيا، وها أنت ذا تحنث بقسمك فلأذهبنّ إلى أبيك في عالم الأموات أحيطه بالأمر .... وداعا.

(يخطو نحو الخارج فيمسك به هرنانى)

هرنـــانى : قف يا دوق.

(الى دونيا سول) أسفاه . . أتوسل إليك

أتريدين أن تريني مزيفا، عاقا، حانثا بيمينه؟

أتريدين أن ترافقني الخيانة أينما وليت وجهى؟

وكأنها مكتوبة على جبينى؟

أشفقى علىّ وأعيدى هذا السم. أستحلفك بحبنا، بنفوسنا الخالدة.

دونيا سول : (في كآبة) تريد ذلك؟ (تشرب السم) خذه الآن.

روى جوميز : (على انفراد) أكان هذا السم معدا لها؟

دونيا سول : (وهى تمد يدها بالقارورة بعد أن شربت نصف ما فيها) خذه. أقول لك.

هرنـــانى : (الى روى جوميز) أرأيت أيها العجوز التعس؟

دونيا سول : لا تلمنى، تركت لك حصتك.

هرنـــانى : (وهو يأخذ القارورة منها) ربى . .

دونيا سول : ما كان في وسعك لو شربت أنت أولا، ان تترك

لى نصيبى . ليس لك قلب الزوجـــة المتدينة ·
ولا تعرف أن تحب كما تحب فتاة من آل سيلفا .
شربت أنا أولا وأنا مطمئنة ، فأشرب أنت الآن،
اذا أردت .

هرنـــانى : ماذا فعلت بنفسك أيتها المسكينة التعسة .

دونيا سول : أنت الذى أراد هذا .

هرنـــانى : انها ميتة مؤلمة

دونيا سول : لا . . ولمـــاذا ؟

هرنـــانى : ان ما شربته يسير بك الى القبر .

دونيا سول : ألم نكن أعددنا كل شيء لنرقد جنبا الى جنب هذه الليلة ؟ ماذا يهم اذ تغير السرير . . .

هرنـــانى : أبى . أراك انتقمت لنفسك منى ، اذ نسيتك .
(يرفع القارورة الى فمه)

دونيا سول : (وهى تلقى بنفسها عليه) الهى هذه الآلام لا تحتمل ، ألق بالقارورة بعيداً عنك . تاه عقلى ، لاتشرب ، ويلى يادون جوان ، يامن أنت لى ، هذا ســم زعاف تطل معه في القلب أفعى ذات ألف ناب تنهش فيه . آه ، ماكنت أدرى أن يبلغ الألم بالانسان هذا المبلغ ! ! ما هذا ؟ انه النار ، لاتشرب . . شد ما ستتألم .

هرنانى : (إلى روى جوميز) ماأقسى قلبك ، ألم يكن في وسعك أن تختار لها سماً آخر ؟ (يفرغ كل مافي القارورة في فمه)

دونيا سول : ماذا تفعل ؟

هرناني : ما فعلت أنت بنفسك .

دونيا سول : إلى ذراعى يا حبيبي ومحبوبى

(وقد جلس كل منهما إلى جوار الآخر)

ألا تحس أن ألالم ممض وفظيع ؟

هرناني : لا .

دونيا سول : ها قد بدأت ليلة عرسنا ، قل ، ألا ترى انني أبدو فيها شاحبة اللون أكثر مما يجب أن تكون عليه العروس ؟

هرناني : آه !!

روى جوميز : حقق القدر ما يريد .

هرناني : يا لليأس ، يا للألم . . دونيا سول تتألم وأراها على هذه الحال !!

دونيا سول : تمالك نفسك . أحس أنني أحسن حالاً ، سنفتح أجنحتنا معاً ونطير في الفضاء فلنرحل في ضربات جناح نحو عالم أفضل. أعطني قبلة.. قبلة واحدة فقط.

روى جوميز : يا للألم !!

هرناني : (بصوت بدأ الضعف يدب فيه) تباركت السماء التي منحتني حياة وعرة ، مليئة بالمهاوى والمخاوف في أول مراحلها، لأقف في ختامها أمام الأشباح. ولكن السماء تلطفت بي بعد أن أمضني السير وحنت عليّ برقدة استقر فيها وفمي على يدك..

روى جوميز : ما أسعدهما ! !

هرناني : (بصوت يغالبه الضعف) تعالى . . اقتربى منى يا دونيا سول . كل ما يحوطنى ظلام . . أتتألمين؟

دونيا سول : (بصوت ضعيف) لا . . لم أعد أتألم .

هرناني : ألا ترين نيراناً تشتعل في الظلام ؟

دونيا سول : لا .

هرناني : (في زفرة طويلة) ها... أنا . . (يقع على الأرض)

روى جوميز : (يرفع بيديه رأس هرناني فيسقط من جديد) مات .

دونيا سول : (وقد تبعثر شعرها ونهضت بنصفها الأعلى عن الأرض) مات ؟ لا . لم يمت . نحن راقدان . . هو في أغماضة النوم . هذا زوجى . كلانا يهيم حباً بصاحبه ، فاضطجعنا هنا . . هذه ليلة عرسنا . (وفي صوت يموت تدريجياً) لاتوقظه يادوق . . فهو متعب (تدير وجه هرنانى نحوها) ياغرامى . . أدر وجهك نحوى ، ادن مـنى ادن أكثر ، أكثر . . .

(تسقط بلا حراك)

روى جوميز : ماتت . . انني مقضىّ علىّ بالهلاك .

(يقتل نفسه و سقط إلى جوارها)

(ستـــــار)

فهرست

***

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ماتويل جاليتش	سمك عسير الهضم
٢	جان آنوى	القبرة (جان دارك)
٣	هال بورلر	البرج
٤	تساو يو	عاصفة الرعد
٥/١	هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس ٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	تيرانس راتيجان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	تييرى مونيية	سباق المولد
٩	جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللامعقول
١٢/١	اوجست ستريندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج ـ ١ ١ ـ مس جوليا ٢ ـ الاب
١٣	نيقوس كازنتزاكى	عطيل يعــود
١٤	بيتر فايس	انشودة انجــولا
١٥	اوليفر جولد سميث	تواضعت فظفرت
١٦/١	موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١ ● مدرسة الزوجات ● نقد مدرسة الزوجات ● ارتجالية فرساى
١٧	دوجلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيلى
١٨	وليم شكسبير	العين بالعين
١٩/٢	اوجست ستريندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج ـ ٢ الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠	رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣	كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٢٤	وليم شكسبير	هاملت
٢٥	نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦/١	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ١
		نساء تراخيس
٢٧/١	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١
		١ ـ رجل الله
		٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	انريكى خارديل پونثيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩/٢	اوجست ستريندبرج	(من الاعمال المختارة) ستريندبرج ـ ٢
		١ ـ الاقوى
		٢ ـ الرباط
		٣ ـ الجرائم انواع
		٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١/١	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ١
		١ ـ حكاية فاسكو
		٢ ـ السيد بوبل
٣٢	هـ . و . فيرمان .	انتصار حورس
٣٣/١	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة)
		جورج برنارد شو ـ ١
		١ ـ بيوت الارامل
		٢ ـ العابث
٣٤	فرناندو ارابال	ثلاث مسرحيات طليعية
		١ ـ قرافة السيارات
		٢ ـ فاندو وليز
		٣ ـ الشجرة القفصة
٣٥/٢	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٢
		١ ـ اوديب الملك
		٢ ـ اوديب فى كولون
		٣ ـ اليكترا
٣٦/١	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ١
		١ ـ اليكترا
		٢ ـ لن تقع حرب طروادة

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٣٧/١	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ١ ١ ـ المغنية الصلعاء ٢ ـ الدرس ٣ ـ جاك أو الامتثال ٤ ـ المستقبل في البيض ٥ ـ الكراسي
٣٨	كوبر ـ تشيرشــل شارب ـ بيرمانج	مسرحيات اذاعية
٣٩/٢	جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ٢ ١ ـ روما لم تعد في روما ٢ ـ المحراب المضيء أو (مصباح النعش)
٤٠	انطون تشيخوف	١ ـ شيطان الغابة ٢ ـ الخال فانيا
٤١/٢	جورج شحادة	(من الاعمال المختارة) جورج شحادة ـ ٢ ١ ـ مهاجر بريسبان ٢ ـ البنفسج
٤٢/١	لويجى برانديلو	(من الاعمال المختارة) لويجى برانديلو ـ ١ ١ ـ ديانا والمثال ٢ ـ الحياة عطاء ٣ ـ لذة الامانة
٤٣	جيمس جويس	١ ـ ستيفن « د » ٢ ـ منفيون
٤٤/٤	اوجست سترندبرج	من الاعمال المختارة ـ سترندبرج ـ ٤ ١ ـ الغرماء ٢ ـ الاميرة البيضاء ٣ ـ عيد الفصح
٤٥/٣	سوفوكل	(من الاعمال المختارة) سوفوكل ـ ٣ ١ ـ انتيجونة ٢ ـ اجاكس ٣ ـ فيلوكتيت

(تابع) ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
٤٦/٢	جان جيرودو	(من الاعمال المختارة) جان جيرودو ـ ٢ ١ ـ سدوم وعمورة ٢ ـ مجنونة شايو
٤٧/٢	يوجين يونسكو	(من الاعمال المختارة) يوجين يونسكو ـ ٢ ١ ـ ضحايا الواجب ٢ ـ مرتجلة الما ٣ ـ سفاح بلا كراء
٤٨/٢	جبريل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبريل مارسل ـ ٢ ١ ـ طريق القمة ٢ ـ العالم المكسور
٤٩	البى ـ شيزجال	١ ـ الحلم الأمريكى ٢ ـ الطابعان على الآلة
٥٠	ارمان سالاكرو	الأرض كروية
٥١/٢	جورج برنارد شو	(من الاعمال المختارة) برنارد شو ـ ٢ ١ ـ السلاح والانسان ٢ ـ كانديدا ٣ ـ رجل القادير
٥٢/٢	هارولد بنتر	الحارس
٥٣	مارتينس دى لاروزا	ابن أمية أو ثورة الموريسكيين
٥٤	وليم شكسبير	مأساة كريولانس
٥٥	انطونيو بويرو بابيخو	القصة المزدوجة للدكتور بالى
٥٦	يوريبيديس	● الكترا ● أورستيس
٥٧	فيكتور هيجو	هرنانى

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بيزا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢ ريال
الأردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١،٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١،٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

المستنيرون **تأليف : ليوتولستوى**

كتب تولستوى هذه المسرحية ليتلهى بتمثيلها أفراد أسرته فى بيتهم المشهور : « ياسنايا بوليانا » .

وتروى كتب الأدب المسرحى ان الكاتب الكبير كان يضحك حتى يستلقى على قفاه لدى مشاهدته تجارب التمثيل .

وما كان غريبا ان يفعل .. ! فالمسرحية حافلة بأسباب الضحك . انها عرض شائق ولذيذ لاحوال الطبقة العليا فى روسيا على أيام تولستوى ، وسخرية لاذعة من عادة تحضير الارواح ، التى كانت جنونا مستشريا آنذاك .

غير أن فى « المستنيرون » شيئا أكبر من هذا وأهم ، وهو نغمة العطف الدافىء على الفلاحين .

ان يكن تولستوى يضحك من الفلاحين ، ومن سذاجتهم التى توشك ان تكون غفلة ، فهو لا يقصر مطلقا فى تبيان ترابطهم ، ووضوح الهدف أمامهم .

ان جماعة الفلاحين لا يهدأ لها بال حتى تحصل على ما جاءت تطلبه ، وهو قطعة من الارض تشتريها من المالك الكبير ، رضى هذا المالك أم كره !

وفى مواجهة هذا التضامن ، يضع تولستوى خمول المستنيرين ، وحماقتهم ، وجريهم وراء الملذات ، ثم يترك لقارىء المسرحية ان يستخلص لنفسه من هذا كله ما يشاء من عبر .

٨

فى هذا العدد

هرنانى **تأليف : فيكتور هيجو**

هرناني : اسم له معان كثيرة فى هذه المسرحية فهو اسم علم لقاطع طريق وطالب ثار لايلين ...

وهرناني : محب وامق كتب بصدق حبه ، وبجرأته ، قصيدة شائقة فى عالم العشق والعشاق ....

وهرناني : اسم لقرية ضائعة فى احدى مقاطعات اسبانيا ..

وهرنانى : معركة أدبية تؤرخ انقضاء عصر فى عالم الأدب والفن وقيام عصر آخر ...

كل هذا يجتمع ويدور فى قصة عجيبة بأحداثها مثيرة بمفاجآتها ...

ومحور القصة ، حسناء يتعشقها ثلاثة رجال فى وقت واحد .....

عجوز متصاب ، عظيم بمحتده ، عظيم بثرائه .....
وملك يركب الليل تصحبه فرقة تنشد أناشيد الهوى تحت شرفات الحسان ...

ثم قاطع طريق ، ثائر على الملك فهو يحمل رأسه على كفه ....

ولمن يا ترى يخفق قلب الحسناء الذى يتقاسمه هؤلاء الثلاثة ؟

بل مَن من بينهم يسيطر عليها ويحكم ؟؟

والجواب الأول : نحن لا نختار حين نحب ..

والجواب الأخير : يكمن فى تضاعيف هذه القصة .

ثم ان الجواب فيما نحن فيه ، ليس وحده ما يثـ
فهناك مواضع استثارات أخرى ....

هذا الانسان الذى يجمع تحت جلده نقائض السمـ
والتسفل ، الجمال والقبح ، الخير والشر ... فى وقت وا